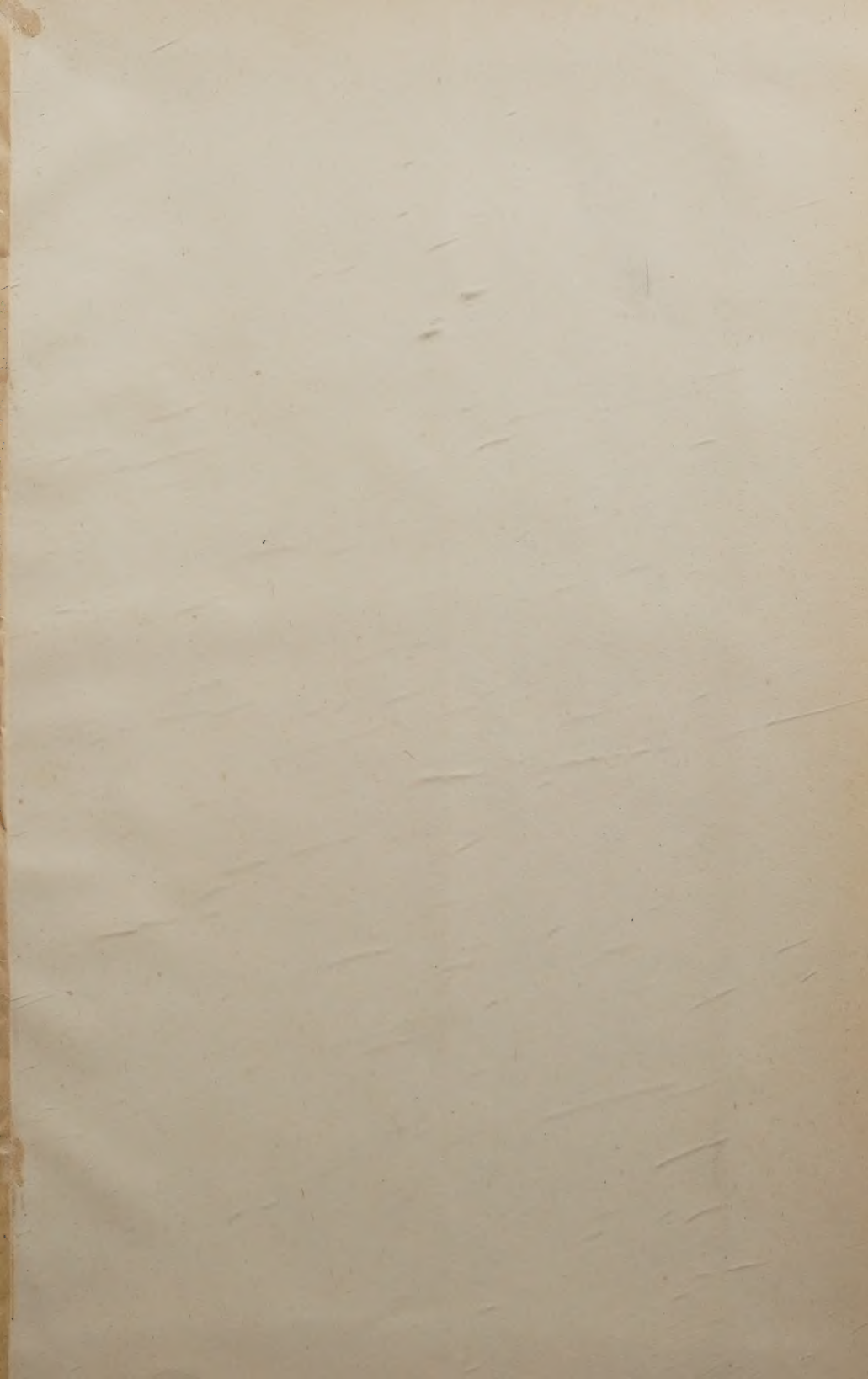




2581

أبي بكر بن سيرين

رواية تاريخية ادبية غرامية

✧ تبحث في الانقلاب العثماني واسراره وسقوط

✧ عبد الحميد وتنصيب جلالة السلطان

✧ الحالي ويختل ذلك فصول في

✧ حالة العصر الروحية وما

✧ سوى ذلك ✧

تأليف

السيدة فريدة عطيه

طبع في مطبعة النجاح طرابلس الشام ١٩١٢

رشد



لما تداعى عرش يلدز و امحى
 بنيت على الاخلاص عرشاً مؤبد
 و كنا قطيعاً بدد الجور شمله
 فاهد بننا سبل الرشاد محمد ايم

المقدمة

الحكم والحكمة لله ليس لسواه : فلا شيء قليل او كثير • صغير
او كبير • زيادة او نقصان • راحة او تعب • صحة او وصب الا بحكمه •
وحكمته • وامره ومشيتته • لو اجتمع البشر والملائكة • والقوات
العلوية والارضية • على ان يحركوا في العالم ذرة • او ان يسكنوها •
او ان يزيديا • او ينقصوا بغير ارادته • وحوله • وقوته • لعجزوا ولم
يقدروا • ما شاء كان • وما لا يشاء لا يكون • ولا يرد مشيئته شيء
مهما كان ويكون •

بيننا انا في اشد احزاني • اعاتب دهرى وزمانى • اجدد العبرات •
واصعد الزفرات على ما اصابني وابتلاني • يرافقتي الغم ويساكنني الهم •
لا أقبل سلوى ولا عزاء • ولا مهنة لي الا الندب والبكاء • اذا الجو قد
ادكن • واغبر الفضاء • وارعد الجو وبرق • واظلمت السماء • وهبطت
صواعق البغي بعد الانقلاب • وحدثت ولا خرج عن الهلع والاضطراب •
الذي خامر القلوب وازهق النفوس من شيخ وشاب • فحدثت المعارك
الدموية في انحاء المملكة العثمانية • وصُغت الارض بالدماء • وانجلت
بعدها تلك الغياهب • وانقضت تلك الظلمات • وبرزت المملكة عروساً
تتهادى في حلالها بهبوط العرش الحميدي • وقبوح الاستانة بلواء محمد
الخامس • وارترقاء العرش الرشادي بسيف قادة الدستور : الابطال
الثلاثة العظام : وجيشهم المظفر ... فصيح قول الشاعر :

عروسة لا تنجلي * ما لم تخضب بالدماء

فرايت ان ادون رواية تاريخية • تُشخص الحقيقة بمواقفها • ووضعها •
يلذ للقارى مطالعتها وسمعتها • أقدمها لولي نعمتنا بلا امتنان • جلالة السلطان
ابن السلطان • السلطان * محمد رشاد الخامس * الفاتح المجيد • والملك
السعيد • الدستوري الاول • والحقان المعظم ايد الله سريره ملكه •
وادامه واعزه • مع نصرائه الكرام • وانجاليه ورجاله العظام • وحسبي
مع انحاء السجود والاحترام • والتماسي مع التعظيم والاكرام • ان تنال
قبولاً من سدته الملوكانية المنيفة والسلام
اصغر افراد الرعية
الصادقة العبودية
فريده عطيه



الفصل الاول

الاضطراب (١)

بيننا انا ملازمة الصمت والتأمل في احوالي الحاضرة • وقد اعتراني
الذهول • سمعتُ اصوات لفظٍ والحديث ذو شجون • • خانت مني
التفاته الى احدى النوافذ في الجيرة • فرأيت في قاعة كبيرة جمعا مختلطاً
من رجال ونساء • البعض في الشبوية • والبعض في الكهولة • والقسم
الثالث وهو الاقل في الشيخوخة • وكل موجّه انظاره ومصغّر الى رجلين
في عنفوان الشباب يتكلمان •

فقال الاول وهو لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من سنه • واسمه
صدي • وعليه ملامح الرزانه والاقتدار موجهاً خطابه لرفيقه : كاميل :
وهو على شاكلة قدّاً وشكلاً إلا انها تلوح عليه سمات الحزن والاقتكار •
- ما قولك في الاحوال الحاضرة •

كاميل - واأسفاه • • هاجت ماجت • عرمت سحاباً - أبرقت •
ارعدت • أمطرت اضطراباً • • ظنناها تاتي بالخير • فتخضر ربوعنا وتونع
اغصاننا • وترهو وتثمر اشجارنا • وتعمر اوطاننا • واذا نحن بالعكس •
اضطراب عظيم في كل انحاء المملكة - خصومات متواترة • امنية مفقودة
سلب • نهب • اعتداء • تهديد • الجوع يتهدد من جانب • الاعداء من
جانب • • الموت يحوم فوق الرووس • اختلاف الاحزاب السياسية •
مغايرة الاراء • اهواء النفوس • كلها حالة بوّس ببوّس • •

فنظر اليه الجميع باعين مفتوحة • وقد علا الاصفرار اوجه الاكثرين
وساد الصمت بينهم كأن على رؤوسهم الطير • •
فاجاب صديقي - الحق ما تقول يا صاح • لا شيء الا الاهوال •
والاكدار • ولحد الآن لم نر شيئاً من اثار الحرية • ولا نتيجة حسية
للدستور • الا حرية المطبوعات (هذه ان دامت) فالاصلاحات التي
أجريت حتى الآن ليست بذات بال • ولم ير فيها الشعب تغييراً في
معيشته • بل جرت على نفسه الزهوق • لانه كان جائعاً عطشاً • ووعد
ان يأكل طعاماً شهياً • ويشرب شراباً مرياً • فازداد به الجوع والعطش •
لذلك الوعد • وازدادت الشهوة • والقابلية • وزاد وقت الانتظار •
وطال الامد • فكادت تطير نفسه شعاعاً • وهو الآن يتراوح بين الموت
والحياة وينزع النزعات الاخيرة • اذا لم يأتِه العون من العلاء •
- كاميل - « والاسف قد رسم على وجهه خيالاً » • • العون اين العون • •
رب الكون • ذو الجلالة المتعال • يؤدبنا الآن لذنوب سلفت • ليعتبر
الراؤن • وليتعظ المتعظون • اذ من كان يتبادر الى ذهنه او يحول في
خاطره • ان الامة العثمانية بعد ان رفعت عن عنقها نير الظلم • وكسرت
ما كانت راسفة به من قيود الاستعباد ترى نفسها تجاه كربة من قوات
البطل التي توهمت انها لاشتها • وامام غارة من جيوش الجور والعدوان
التي ظنت انها ابادتها • • الايام اتتها بما لم يكن في الحسبان فاذا بها ترى
اليوم ان ما توهمته لم يكن الا وهماً غراراً لا يخلق بها الاستنامة اليه •
والتعويل عليه وان الاعداء لا يزالون كامنين كون النار تحت الرماد •
يتحينون الفرص ليشبوا ويعملوا على استعادة سلطتهم • فاذا هي لم تكن
منهم على حذر • ولم تأخذ للامر اهبة لقيت عقبى اهلها • وندمت حين

لا ينفع الندم • قلت انه لم يظهر بعد نتيجة حسية للدستور • الأحرية المطبوعات والجرائد فاقول :

- أجل - لم تصل الفرحة لباب الدار - كان الشعب التعيس الذي أن أنين الثكلي السنين العديدة تحت نير العبودية • وظلامة الحكام • فرحاً • متلهلاً بما رآه من حرية الجرائد • وعد ذلك انقلاباً عظيماً • اذ رآها تكشف سيئات الظالمين • وتندد بأعمال الحكام الجائرين • مما كانت اقل اشارة اليه في الزمن الماضي تجرّ على صاحبها الويلات • وتوقعه في شرّ النكبات • اصبح في طاقته ان سامه احدُ خسفاً • او ناله باذى ان يشكوه علناً الى محكمة الرأي العام • فتصفه من خصمه مهما كان عظيماً • لكن الآن • الآن (رجعت حليلة لعادتها القديمة) سدت عثمانيتنا او بعضها قانوناً بحجاً بالصحافة • كلمة للافواه • حتى لا تنطق بالصدق - وغلالة للانامل والاقلام • حتى لا تكتب الحق • وحددت التفرير والجزاء الكبير • لمن يخالف هذه السنة والقانون • وقامت الصحافة على قدم وساق • لتناضل عن حقوقها • بحج الحرية المعلنة والدستور

فلو راينا عظمة البلدان المتمدنة • وعلو شأنها • وسالنا السرّ في ذلك راينا ان للصحافة اليد الطولى فيه • فان لها قوة تنذرع بها الحكومة لتأييد نفوذها • واعلاء كلمتها • واصلاح شؤونها • وهو امرٌ جليل يعرفه كل مُطالع على حوادث السياسة العصرية ••

- صدي • صدقت في ما قلت • واجدت في ما اشرت • ليس لنا إلا الصبر • ولكن هيهات من يصبر والهول يتقدم • حوادث مكدره في كل مكان • في الاستانة • في حوران • على طريق الحجاز • في ولاية بيروت • وسوريا • وغيرها ••

فاجابه شيخٌ من الحضور طاعن في السن يلعب بلحيته . والذكا . يتوقد في مقلتيه . وقد جذبَ انظار الحضور اليه . - اولادي - ان شمسي على مَغيب . ونبضات قلبي معدودة - دولتنا الحاضرة كهذه الدنيا الزائلة . . هي ابنتها . منها . واليها . . أملٌ بين يديكم . وأجلٌ مَطْلٌ عليكم . شيطان فتان واماني غرارة للاميان تدعوكم فتجيّبوا . وترجرونها فتخبّوا . ناقصة العزيمة مرتجعة العطية . كلٌّ من فيها يجري . الى ما لا يدري .

فلا يغرك منها حسنُ بُردٍ لهُ علمان من علمِ الذّهابِ
فأولهُ رجاءٌ من سرابٍ وآخرهُ رداءٌ من ترابٍ
فاستحسن الحضور كلام الشيخ الجليل . وكادوا يقبلون اطراف لحيته الثلجية . وقلوبهم واجفة خشيةً وخشعةً واذا بشابة كَمَلُ الخالق اوصاف الحسن والبهاء فيها . لها من التّقى حجاباً . والعفة والفضيلة نقاباً . قالت من خاف ستار بصوت الحشوع والوقار :

كنْ مع الله تَرى الله معك * واترك الكُلَّ وحاذر طَمَعك
انما أنتَ لهُ عبدٌ فكُن * جاءلاً بالقربِ منه وَلَعك
كلما نابك امرٌ ثَقِ بهُ * واحترز للغير تشكو وَجَعك
لا تؤمل من سواه اُملاً * انما يسقيك مَنْ قد زَرَعك
ودع التدبير في الامر لهُ * واضع المعروف مع من صنَعك
كن بهُ معتصماً واخضع لهُ * لا تُعانِد فيه واهجر بَدَعك
فصَفَّق لها القوم استحساناً وطلبوا منها ان يتقربوا اليها . فتركت تطريزها ودخات المحفل . فابدوا لها شكراناً . واخصهما الشبان فقد ابديا كل امتنان . وانفض المجلس . وكلُّ بامرٍ يهدس . ويهمس ينتظر ما يأتي بهُ الغد - وكلُّ لناظره قريب .

الفصل الثاني

(سُب في السب)

ما هذا الصوت والاضطراب . جذب افكاري صراخ عظيم .
 واطلاق رصاص متواتر . صوت جمهور متحمس وضجة عظيمة . عبق
 الجو بدخان البارود . وصمت الاذان . فصرخ الصغار في البيت . وقام
 الزائرون عندنا ليروا الخبر . واذاجمهور من رعا القوم اهل القن بايديهم
 المسدسات وهم رافعون علماً اصفر . يصرخون - عبد الحميد لا تهتم :
 حولك عسكر بيلتم - وغيرها من الاناشيد والكلام المختلط . الذي لم
 يفهمه احد . لشدة تهيجهم . وهم متحمسون - جائلون في الاسواق .
 ينضم اليهم من هنا وهناك . من هم على شاكلتهم من الالباش . حتى
 صاروا جمّاً غفيراً كالوحوش الكاسرة . ينتظرون من يدوسونه . او يتحش
 لهم فيهشموه . فكانت الناس تفر من امامهم بخوف ورعدة وتحيد من
 طريقهم . حتى ان نفس العسكر في القشلة يجانبنا الذين كانوا يصوبون
 رصاصهم وبارودهم . وهتافهم الوحشي نحوه . لم يكن ليدي حركة .
 بل جمد كالأحجار . وتحنّني في زوايا قشلتهم . خشية من قيل وقال . .
 ونتيجة دمار ووبال . . كل هذا لم يجعلني اتحرك من غرفتي . او اطل من
 نوافذ بيتي . بل كنت ملازمة مكاني . كمن استولى عليه الجمود . وعدم
 الاحساس بكل معنى الكلمة . الى ان سمعت صوت بكاء نساء وعويل
 في فسحة الدار عندنا . واصوات خادمي مرتفعة مختلطة باصواتهن . .
 يستلانهن السبب . ففقت لارى ما الخبر . كمن استيقظ بغتة من غفلة .
 فرأيت نسوة عديدات . مشوشات الشعور مذعورات مزهرات الاعين

من البكاء مخطوفات الالوان . كالاموات اصفراراً مجتمعات هنالك يبكين
وينحن خوفاً . بصوت عالٍ . فسألتهن من انتن . ولماذا تبكين . فقلن
من الجيرة حولكم . وقد هربنا من هؤلاء الاقوام . الذين هم آتين
ليذبحونا . . . وكانوا قد داسوا في طريقهم شابة جميلة . خارجة في
طريقها من بيتها القريب . لو لم يسرع لمساعدتها ويختطفها جانباً احد
الاقدية المسلمين . الذي اوجدته الصدفة هنالك . ولولا القليل لصار
بينه وبينهم ما افضى الى الوبال . . فصرخت احداهن . هو - كيل - كيل . .
فعلت انها هي شابتنا الاديبه . وهو شابنا السياسي المقصود . اللذين
المعت اليهما سابقاً . . فصمت برهة ثم طيبت قلوبهن امكاني . واستعذرن
لي لدخولهن بيتي هكذا . قبل ان يأتين ليسألن خاطري رسمياً كما هي
العادة في الاحزان . فقلت لا بأس اني متشكرة احساساتكن - ثم
اندهشن كوني لم اشعر بخوف مثلهن . ومثل بقية اهل البلد . . فقلت :
لا اشعر بهذا قطعاً . والرجاء برحمته تعالى انه لا يحصل شيء مما تخشونه .
وهكذا كفكفت دموعهن . وفي اليوم التالي سمعت ان قد رحلت عيال
كثيرة من طرابلس والمينا الى الجبل . . كأن الخوف والرعب دائئ سام
سرى بسرعة الى قلوب الجميع . . وكانت الاهالي من حلب تذهب
بالمئات والالوف الى زحلة ولبنان حتى ان القطار لم يسع وطلبوا قطاراً
خصوصياً لهم . وهكذا كان الخوف يزداد . والاضطراب يمتد . . .



الفصل الثالث

(الاساتذة • سراي الحرم السلطاني)

جارية حبشية • محمود آغا • محمود آغا •

- نعم - نعم - اجاب الحرم اغاسي وهو جالس بعظمة على باب السراي على كرسي مرتفع وحوله جوق من الطواشية • والعيد طوع لاوامره ••

- ستي تناديك

- اياً منهن

- سنيه هانم - ستي الخصوصية • الا تعلم •

- ايه • كيف لا اعلم ؟ • فدخل الآغا وامامه الجارية • وهو معتز بنفسه يتبختر في مشيته لانه كان كسيد في الحرم الملوكاني • مهاب مرعي الجانب • يأمر وينهي • وحوله جيش من رفاقه الحرم اغاسية • ومصر في قاعات مشكلة • مزدانة بابهي زينة حسب الفخامة والابهة التركية •• على باب اولها باحرف من ذهب (بادشاهم جوق يشا) وعلى باب الثانية وهي العظمى هذه الايات باللغة العربية وقد اهديت اليه من اعظم المقرين اليه •

يا أيها الملك الذي حاز العلي * فثنى عنان الفكر عن تحديده

أما الزمان فانت درة عقد * وسنان صعدته وبيت قصيده

فاسلم للملك بل لمجد أنت في * تشييده والله في تأييده

وكانت صفوف من الغرف والممرات بعضها مفتوح • وبعضها مغلق •

تبرر النظر ببهاؤها وفخامتها • الوان • ورياش • وزينة باهرة • وروائح

عطرية . واوجه ملائكية . واعين زرجية تُرى هنا وهناك . الى ان وصل الى مقصورة زائدة في اتقانها كروس . تتجلى في بهائها ورياشها الفاخر . وزيتها الباهر . فيها من التحف انميثة مايكل عنه وصف الناظر . ألا وهي مقصورة محظية السلطان الجديدة الممتازة . التي لها منه الالتفات الخصوصي والاكرام الزائد . فخطرت هناك امامه شابة وردية الخد . سمهرية القد . بدیعة في شكلها . فتانة فتاة في لحظها . تتألق باثمن الجواهر وترفل في ابهى الحلل . ألا وهي « سنيه هانم » حبيبة الملاك . ملكة الحبيبات . فقال وقد بهت اليها بضع ثوان

- الله اكبر - الله اكبر - باسم الله وما شا الله . . حاضر ستي . امرك . فقالت يا محمود : وقد اقتربت اليه وابتمت عن در كالجوهر المنضود . انت تعلم كم انا مقدمة عند جلالة مولانا السلطان . وما هي المقدرة لي والشان . فاعاهدك انني أرضيك . وأغنيك . وأحبك وأكفيك . .
 = قه = قه = قه = ثم ماذا يا ستي . انا غني بجول الله ونعمة مولانا ووجيه . وكل الوظائف الكبرى في الولايات تؤخذ عن يدي او اغلبها . اولست انا كبير الحرما غاسية . سيد الاغوات الوسيط بين اكثر الامة ومولانا . المرفوع القدر والجاه وسعيد هو الذي يحظى بانعام توجهاتي . وها جيوي تمتلئ يومياً من الذهب ولم تفرغ الا هذين الشهرين . . قاتل الله الحرية والدستور وهذه « الشر كولة والطنطور » وقلب الله هؤلاء العصاة الطغاة ورد كيدهم في نحهم . . قصف الله عمر أنور = وأهلك نيازي . . ورد سيوفهم الى قلوبهم فانهم خربوا النظام . وقللوا الهيبة والاحترام . وقطعوا رزق الانام . يعز علي أن اقول لك يا ستي ما يدي قلبك ويذبل وردة خدك لانك المحظية المقدمة عند مولانا . وقد

يتكدر مني لهذا .

= لا = لا = قل بالله عليك . وحياة رأس جلالته لا افوه بكلمة
مما تتوله لي ...

= آم . اخبرك ان مولانا محتار . مشوش الافكار . حزين الليل
والنهار . لا يلذ له مقام . ولا يقر له قرار . ليس له من السلطة الا
الاسم . ولا من الحقيقة الا الرسم . هذا بعد الدستور المتبور . عليهم
ان يأمرُوا وعليه ان يختم مقيّد بارادتهم . الله اكبر عليهم . ثم تهدج صوت
الآغا مع كل عظمتِه وعنفوانِه وسقطت دمعة من عينِه ولم يستطع ان ينظر
ملياً الى الهانم امامه . التي تصاعد الدم الى رأسها بقتة واخذها الدوار
فكادت تسقط الى الارض لو لم تستند الى الحائط وقالت :

= آه = آه = آغا . آغا . ما هذا . ما تقول .. ثم خارت قواها فانتبه
محمود الى كلماتها المتقطعة وعلا وجهه الاسود الاغبرار .. وندم على ما
فرط منه وقال : ستي . ستي . لا تخافي . ما هي الا رواية اروياها لك
ليس لها حقيقة .. وما قصدي الا المزاح معك لارى صبرك ونشاطك .
وحق مقام نجيت . وشهيدة الغرام جوليت . كله « قشط . وفشط » .
ثم تجلد وابتسم وقال : اخبريني لماذا دعوتني وما هو امرك لاجريه على
الرأس والعين بدون مكافأة ولا انعام لاني من خير مولانا منعم ومكثف .
ومهما عمل العبد للسيد فهو من واجباته .

= عفارم = عفارم = محمود آغا . « وقد ردّ لونها وامتلكت قوتها »
قبل ان اقول لك لماذا دعوتك اعاتبك مماتبة لطيفة وحبية . ثم دنت منه
ووضعت يدها على كتفه . فابرت عيناه كهني نمر . ثم نظر الى الارض
بانكسار فقالت : تظنني بهذا المقدار ضعيفة القوى عقلاً وجسداً . لا

اقدر ان احتمل خبراً ما ولو مهما كان . او لا يجب ان احمل مع مولانا شيئاً من همه وما يعانیه كواحدة من نسايه وحظياته . او لا تعلم ان قد رن في اذني شيء من هذا قبل الآن مع شدة تكتّم مولانا واوارد المشدّة لكم . . .

أجل . من تلك المغنية الظريفة الزاهرة . . فريدة . ورفيقها سمينة . اللتين دخلتا هنا بامر كم من مدة اسبوع بجمعة الخانات . . . كذا . . . وكم سررنا بهما ولاجل هذا دعوتك لترسل وتحضرهما الي الآن لانني الذي بمسارتهما . والحق اقول ان لهاتين اليهوديتين قوة على سحر القلوب . . ولا غرو ان سحرتا عزت باشا وسلبتا منه ثروة .

الآغا = آه . آه . عزت عزت المسكين . اين عزك وجاهك واين انت ويلاه . ويلاه . في اي بلاد تجول . كم كنت صديقي وكم كنت اغنى واربح منك . ثم عادى كيف كف دموعه وقال ان عزت غني كبير وحيب لمولانا السلطان ولكن الدهر دولاب والايام قلابة . قلبوك . وغدروك يا عزت المخلص . هو دورهم . ذهب دورك . نعم اموالك في البنوك الاوربية ولا يقدرّون عليها لكن املاكك يدورون ويحومون حولها ليضبطوها . أنور . نيازي . الجند . الجند . ثم ضم شفّتيه الضخمين ومد ذراعه المتيّنة المربعة وضم اصابعه الثلاث الغليظة الى بعضها قصد التهديد . . .

فارتاعت لمنظره الهانم ثم قالت وقد ظننت ان قد اعتراه مس من الجنون . . .

= مالك تقول انك تروي لي رواية قصد امتحاني ثم تعود فتكذب ذاتك بالمظاهر المهمة التي تلوح عليك كأنني العوبة بين يديك . وحياة

مولانا اني اعرف كثيراً مما تعرفه ان لم اقل الكل سوى ما يخص شخصية
مولانا وحيثيته لان الاستانة رائجة مأججة بهذه الاخبار . ومهما اوصدتم
علينا الابواب واحكمت سدّ النوافذ لا بدّ ان نشعر بالريح الزعزع
خارجاً الذي يكاد يهدّ اركان المملكة . ونسمع هزيمه وقصفه . . أتسدّون
آذاننا ؟ لا = لا يمكن . . = فصاح الحرماغاسي وقد عاد الى وعيه
ايضاً وهو يضحك ضحكة عصبية . اغتصابية . اشبه بالجنون من التعقل .
» ورحة جدي . وتربة ابائي الكرام . ياستي هو افك وبهتان . . وما
الاستانة بجديدة الآن . كل عمرها هذه الزيبة بهذا العود . . عاصمة
كيرة مختلفة الامم والاجناس تهرج وترج لاقل شي . مهما كان . ما لنا
ولهذا الان . ماذا تأمرين من جهة فريدة . وسمحة ؟ أأحضرهما
اليك غداً . . »

= نعم احضرهما باسرع ما يمكن . وخذ هذا مني على سبيل التذكّار
ايها الاغا العزيز » ووضعت في يده خاتماً ثميناً محجراً » على شرط ان تأتيني
بالاخبار الحقة التي لا يدخاها ريب كل يوم . ولا تظن اني جبانة سخيقة
العقل بهذا المقدار . لا . فانه يهمني ما يهم مولانا . ومن اخبارك التي
تأتيني بها اقدر ان اقرأ بعض افكار جلالته حينما يزورني . واعلم سبب
ضعفه واصفراره الذي يرعيني ولا اتجاسر على سؤاله عنه . وان سألتُهُ
يبتم لي ولا يجيب . بل يتلاهي باحاديث هوائية . . آه

فابي محمود ان يقبل هديتها وردّها معذراً قائلاً = ان هذا الخاتم
يليق بأناملك الجميلة . لا بانامي . ولا يهمني الا الذهب وعندي من
ازمام مولاي منه كثير ثم نطق بابيات كان قد تعلّمها يشكر بها
صاحب الجلالة :

جزاك الله عن حسنك خيراً * وكان لك الميمن خير داع
 فقد قصرت بالاحسان لفظي * كما طوّلت بالانعام باعي
 فدمت ولا برحت مدى الليالي * سعيد الجدر ذا امر مطاع
 اشكر احسانك • كوني براحة • سأنقل اليك مختصر الاحوال •
 وما لا يضر بصحتك وجسمك اللطيف • واذا لزمني شي • اطلبه منك •
 ثم انحنى الى الارض مودعاً • وقد مسّت اصابعه الضخمة البلاط • وذهب •
 وفيما هو في عرصة الدار الداخلية • اذا بطفلة جميلة تدرج في احدى
 القاعات تلاعبها بعض الجوار الحبشيات • هدجت اليه وصرخت • آغا • آغا •
 بهمود • • وارتقت بكليتها عليه • فحملها على ذراعيه وقال : أهلاً • أهلاً •
 بابنة مولانا وقبلها ووضعها على راسه • ولاعبها قليلاً • ثم انزلها بلطف •
 الى حضن احدى الجوارى وذهب • وكان يشير بالسلام منحنيًا بشدة الى
 الارض لبعض الحوريات هنا وهناك • • • من سراري مولاه ونسائه
 اللاتي كنّ يرمقنه بالابتسام من مقاصيرهنّ واروقتهنّ وهنّ بيها •
 ودلال زائد الوصف •

ولما غاب عن الانظار دخلت الجارية الحبشية الى حجرة مولاتها
 (سنية هانم) فرأتها مسندة الى كرسي كبير وهي غائصة ببحار الافكار •
 فلم تتجاسر على الكلام • ولا الدنو منها لبعده حين • فحانت النفاثة من
 الهانم اليها • فقالت :

- تعالي و « كبسيني » يا خيزران • انني مريضة • ثم ادعى السرية
 الجركية الجديدة التي احدثتها ومنظرها البهيج • وارقتيها بالمغنية
 اليونانية الجميلة •

الفصل الرابع

(فريدة شطاح وسمحة)

كانت فريدة يهودية . شامية . من دمشق . وهي من عائلة شطاح .
 اشتهرت بغنائها وتفنها . وسلبها الرجال . وحشدها الاموال . جميلة
 الطلعة . رشيقة القوام . نالت حظوى كبيرة في عيني عزت باشا الكاتب
 الثاني في المايين . وسكرتير السلطان . فكانت تبيع النياشين والرتب .
 وتأخذ الاموال الطائلة من الاقوام الاغرار . واشتهر امرها في المدة
 الاخيرة لعزت . . فصارت صاحبة الحول والطول . وعلم هذا في
 الاستانة واكثر انحاء البلاد . وكانت سمحة العوادة الشهيرة عنده المعروفة
 بحسن توقيعها وجميل الحانها وغنائها . لكنها الثانية في المقام بعد فريدة .
 وحدث ولا حرج عن البذخ . والترف . والفخامة عند الاتراك وشركائهم
 في المناصب الكبيرة واخصها في العاصمة . فكان لهاتين المرأتين مقام
 كبير عند سيدهما عزت يصرف معظم اوقات فراغه معهما . يسرح .
 ويمرح . ويقول لنفسه : « كلي يا نفسي واشربي وافرحي واطربي . . لك
 خيرات كثيرة لسنين عديدة . بلاد عظيمة . ومملكة جسيمة . حصاها
 كثير . وخيرها جزيل . آخذ منها ما اشاء . وابقى ما اشاء . لا تحاسب .
 ولا مطالب . من يحسر ان يدخل عرين الاسد لينظره ويأمن على حياته .
 هيات - هيات » قال هذا غير عالم ان ملك القضاء . ورب
 القضاء العادل . ناظر اليه ليجزيه على ما جنت يده . ويكبله بمجديد
 ويطبق فاه .

ولما أتى الوقت الموعود . ودنا الاجل المقصود . وقبض على عزت
 باشا كغيره من اهل الاستبداد وعدم السلام . وانزاح اللثام عن الجائرين .
 وانكشف ستر الخائنين . وذهب طريداً شريداً الى البلدان الاوربية .
 بل فرّ هارباً كقبايين لما لعنه الله . ودعا عليه بالتيه . خارجاً من بلادٍ داخلاً
 أخرى . لا يقرُّ له قرار . وزالت هيئته . وذهبت عظمته . وتحدثت به
 الجرائد . وتشدقت به السوق . وشتمه المتظلمون . وندد به الحاسدون .
 قال مشيراً الى حبيبتيه . مودعاً أليفته . اللتين كان منساقاً اليهما بالشهوات
 البهيمية . متحدّاً واياهما على سلب الانسانية . وبيع الرتب الملوكانية .
 كسلع اعتيادية .

أفريدة الشطّاح لا تبكي على * عزّ مضى فزماننا شطّاح
 قولي لسمحة ان تكسر عودها * فاليوم لا عزّ ولا افراح
 وترك الفريدة . والسمحة . تسحان دمة وراء دمة . وتندبان سوء
 حظهما . ومصيرهما . وفوات موسمهما . وانقطاع منهلها .

لكن يعلم القوم الادباء ان هذا وقتي عند بنات هذا الفن وللاصفر
 الرنان فقط . فقد لا تبكيان الفأزأى ولا دارا . وتدوران مع الدهر
 كيف دار . ولا تندبان سيداً او حبيباً . اذ لا حبيب حقيقي عندهما . ولا
 سيد خاص لهما . بل هما « كفوطة » الحمام . اي حُضر صاراً في وسطه .
 وايُّ اتخذ امهما سمياً عمهما . أجل يبكيان على الدرهم المفقود اذا
 لم يعوض . آه ...

فاتخذتا نفسيهما ملجأ في احدى زوايا الاستانة . لتنتظرا ما ينتهي
 اليه الامر . ومن يجب ان يكون سيدهما . لتجرّدا عليه من اجل حصادهما .
 ولما لم تقدرا ان تنتظرا طويلاً . وضاعت بهما الحظيرة لانهما معتادتان على

البذخ والترف والتأمر • التجأتا الى بيوت بعض الكبراء وتداخلتا مع
 حرّمهم التي كانت لهما بعض المعرفة بهنّ في ايام عزّهما • فوجدتا اقبالا
 عند اولئك « الخانات » اللواتي كانت لهنّ « محسوبة » على الحرم الملوكاني •
 وكنّ يتردّدن كزائرات اليهنّ بعض الاحيان • فذهبتا معهنّ احدى
 المرات بعد ان توسلتا ذلك بالحاح الى سراي حرّم السلطان • وكانت
 المقصودة الاولى في تلك الزيارة صاحبة السيادة والخطوى (سنيّه هانم)
 المشار اليها • ولما لم تعدما كما كثر بنات جنسهما وكما تعودتا قوة المداخلة
 وعظم التبجيل والمداهنة • وما ينتج عن ذلك من السحر وقوة الاجتذاب
 لمن يرغبه • مالت اليهما - سنيّه هانم - واشفقت عليهما • واحبّت غنجهما
 وغنائهما وطلبت من محمود آغا ذلك اليوم ان يحضرهما اليها لتتسلى بهما
 مما كان مستحوذاً عليهما من الضجر المشوم • وتروح النفس باقاصيصهما
 واحاديثهما المستحبة •

الفصل الخامس

بيت الباشا دخول فريدة وسمحة الحرم الملوكاني

- كتاب لستي هانم افندي

فتناولت الكتاب جارية سوداء من غلام صغير اسود في الباب •
 وناولته لسيدتها (نفيسة هانم) وهي متكئة على الديوان في قاعة بدیعة
 الشكل • ملقبة رأسها الجميل الى زجاج النافذة حيث يدخل شعاع التمر •
 وينبسط على تلك المفروشات الثمينة فتظهر بالوانها الزاهية كازهار زاهرة •
 او جنة باهرة • يحرسها ملاك نفيسة هانم • وهي ممتلئة الجسم غضة الشباب

لها عين سوداء جذابة . ومبسم يفتر عن اسنان لؤلؤية . وفصاحة ورشاقة هي السحر الحلال . وهي امرأة ذلك الباشا . . . الذي التجأت الى بيته منيتا عزت باشا . فريدة وسمحة . ورئيسة تلك العائلة الشريفة التي زارت سراي الحرم السلطاني كما مر . وحولها فتاتان على شكلها وهيئتها تقريباً . الواحدة اختها الصغرى - حفيظه هانم - والاخرى وهي اصغر قليلاً ابنتها - كوثر هانم - واماهن الجارية السوداء واقفة باحتشام تنتظر الاوامر . وهي التي ناولت الكتاب لسيدتها - هانم افندي - فاخذته تلك ونظرت الغلاف فعرفت الخط . وعلمت انه من السراي المعظم . فرفعته احتراماً الى مساواة جديدها . ثم ازلته وفضته . واذا به من محمود آغا صاحب كبير الاغوات الحرماغاسية يطلب به فريدة شطاح وسمحة للسراي . فقالت الهانم لجاريتها : ادعي لي تينك الشاميتين .

فخرجت تلك باحترام وخضوع . الى الجانب الثاني من القصر . حيث يوجد صف من الغرف تُخصص للضيوف من النساء . ودخلت غرفتهما فوجدتهما جالستين تأملان قصور الاستانة الشاخنة وجمالها في شعاع القمر المنير . شأن العاشق المفارق . وفريدة تتكلم قائلة : آه يا ترى الزمان يعود . ويرجع لنا - عزتنا - وعزنا المفقود . كم صرفنا مثل هذه الليلة على بساط الرخاء والمجد . بالهنا . والرغد . والان اين . . . قالت سمحة - « الدوم عيني عالدوم - شوجاب الماضي لليوم » . (اغنية عامية) - فريدة - ما هذا الانقلاب الفجائي . اين ذلك الاصفر الرنان . الذي كنا نلعب فيه كما يلعب الطفل بصديقات لا قيمة لها . والان ترانا نلتجى الى بيوت الباشوات . لتظل تحت سقوفهم بلا عز ولا مقام .

فاجابت سمجة - كلا - فانهم يكرمونا • ونفيسة هانم اهل لكل شكر وامتنان • فهي تعاملنا برقة وبشاشة كأننا من نفس عائلتها • ولكن على كل حال ليس التكحل في العينين كالكميل • ولا نحسب الخيال حقيقة • ما هو الأخيال ...

عند هذا دخلت الجارية قبل ان تتمكن فريدة من الجواب • فسأمت بوقار • وابلغتهما امر نفيسة هانم - فتامتا على الاقدام اجلالاً واصلحتا ثيابهما وشعورهما وتقدمتا وهي امامهما الى قاعة - الهانم - كما وصفناها • فدخلتاها وسلمتا السلام التركي • بوقار واحترام • ولاقتها المشار اليها بتبسمات اللطف والحنان • لا تخلو من العظمة والوقار • واجلستهما بقربيها • الأ قليلاً واخبرتهما عن خوى الكتاب • فظهرت سمجة فرحاً وابتهاجاً • لكن فريدة التي كانت اكثر اختباراً ودهاءً كانت خواطرها ضمن صدرها ولم تظهر الأ الحشمة والوقار واذغت بالخضوع للامر العالي وتعينت زيارتهما للسراي الصباح الثاني •

اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح • وكان جوق من العبيد الطواشية على ابواب السراي ومماشيها العالية بشياهم الرسمية النظيفة • البعض جلوس • والبعض وقوف • وهم بانتظار قادم عظيم • ألا وهو كبيرهم صاحب محمود آغا • ولما اشرف عليهم وقفوا باحتشام • وردوا السلام بسلام واحترام • ولم يبدوا اشارة بل انتظروا امره فقال - انا داخل السراي لاقتقد الهانمات • وبعد دقائق قليلة يأتي هنا امرأتان متسكرتان • معها تذكرة باسمي ادخلاهما القاعة الاولى واخبروني بالسرعة بدون ان تتعرضوا لهما بسؤال او خطاب • فاحضروا رؤوسهم طاعة وامثالاً •

لم تمض الدقائق التي عينها - محمود - حتى دخل نجيت آغا مختبراً
القاعة الاولى واجلس المراتين لتراتحاً قليلاً واسرع ليخبر رئيسه ويده
التذكرة . الى ان وصل القاعة العظمى فالتقى به هناك واقفاً ساهياً متأملاً
في الصور الكبيرة على الجدران المتعالية . موجهاً نظره الى صورة
« السلطان » والدمع يترقق في عينيه كأنه يخاطبها قائلاً : هل هي آخرتك
أيها المعظم - ظل الله على الارض - ام تعود فتجئ في كبح اعدائك .
العراك عظيم هائل . . العاقبة وخيمة . الاعداء اقوياء . .

فوقف نجيت على بعد بضعة خطوات منتظراً الى ان حانت التفاتة
من محمود آغا بعد ان تأوه فراه وقال ناظراً التذكرة في يده = هل هما
في القاعة الاولى ؟ .

= نعم افندم .

= ادخلهما اليّ .

= امرن افندم .

وبعد دقائق قليلة كانت المراتان على باب مقصورة = سنيه هانم =
يتقدمهما = محمود آغا = فدخل وسلم بابتسام واحترام . فردت عليه
المشار اليها برقة واحتشام . وتقدمت فريدة وقد ترتبت باحسن الازياء .
وقبلت اذيلها بخضوع وانكسار . وسمحة ورائها تتقلدها بالتمام . .

وقال الآغا : ارجو ان ستي هانم افندي ترضى عليّ لسرعة اتمام
اوامرها على ما يرام . ثم انحنى وخرج قبل ان ينتظر الجواب

هناك تعلق به جم من اولاد السلطان « يرجحونه » ليمين والشمال .
وهو يداعبهم ويلاعبهم قدر الامكان . وخلا لفريدة وسمحة الزمان
والمكان . فقالت = الفريدة = بعد ان افتتحت = الهانم = الكلام .

- مولاتي . انعمت علينا بالتشرف لديك . والمثول بين يديك .
وهي منة كبرى . ومجاهرة عظمى . وما نحن الا اقل من عيدك لعبيدك
وجوار لجواريك . ثم ترقق الدمع في عينيها . بما جلب خان الهانم
عليها . وجذب قلبها اليها . فقالت :

= بورك فيك يا فريدة . اسمعيني بعض اناشيدك وبمعيتك سمحة .
وبعدها نتحدث بما تشاق له النفس ويروق له الخاطر .

فاصبحت تلك عوداً امامها . وانخت عليه . وحنّت حنو الوالدة اليه .
وانشدت مع فريدة . بعد ان تفنت بالضرب عليه نشيداً جميلاً للسلطان
و « مارشاً » ثم تلتاه باخر كانتا تقولانه امام = عزت باشا = فاتحة ...
فكان جميلاً موقفاً . اثر تأثيراً شديداً في نفس الهانم . مع ما في صدرها
من الانفعالات . للاحوال الحاضرة . فلم يسعها ضبط نفسها عن البكاء
وشاركتها بنتا اسرائيل . وتصنعتا بما في الامكان لتيرا اشجانها . لعله
في الصدر . وحزازة في النفس . عليها تبرز وتتجسم فيصير لها تأثير في
عالم الاكوان . ثم تبسمتا وقالت فريدة .

= عجباً أمولاتي الهانم تبكي بكاء المهموم . وتأوه تأوه المغموم . هذا
لنا ليس لك . . . جعل الله ايامك كلها مقرونة بالسعد والاقبال . في ظل
ونعمة جلالة مولانا السلطان . أجل نحن يحق لنا البكاء لاننا غريبنا الديار .
بعيدنا المزار . معدومتنا الاهل والانصار . مخذولتان . منكسرتان . لانكسار
سيدنا = عزت = لا سلوان لنا ولا عزاء . ولا ينفعنا الا البكاء .

اما انت ادامك الله . العز والجاء وسادك . العظمة والفخار
دثارك . الغنى وكل ملذات ومشتهيات الحياة لك وامامك .
فقالت = الهانم = بكبر ووقار . الحق ما تقولين ايتها الشامية .

لكن الا تظنين اني وكل رفيقاتي وهذه السراي العظيمة المتعالية الجدران
 المشيدة الاركان . نحن على عزّت . ونسأثر لمصابه وانقلابه . حتى ان
 نفس مولانا يشاركنا باحاساساتنا هذه . او لا تظنين ان الوباء الذي ابتدا
 في قلبه (من منصبه) وبعض الوزراء والباشوات والكبراء معه سيتمدّد
 ويعمّ انحاء السلطنة . او لا نخشى على اهتزاز العرش الح وانكسار
 ال السلط امام اعدائه . هنا انكسرت لهجة العظمة والفخار
 وانخفض صوتها وتهدّج .

= لا = لا سمح الله . باسم الله وما شاء الله حوله وحولك ياستي . .
 كبري على الشيطان . .

- فقالت الهاشم بتأوه عميق : الله اكبر . الله اكبر . لا اله الا الله . .
 = بسم الله عليك . خذي جرعة ماء وروقي افكارك للاسد نهضة .
 ولنايبه عضّة . اذا نهض وزار تحتفي الكلاب وتموت روعاً . . . مولانا
 ساكت الآن . لكن الى حين . الى اجل محدود . فسوف يقوم . وترتلزل
 الارض زلاها . وتبتدّد اعدائه شذراً مذراً . . . ويردّ كيدهم الى نحرهم
 فيعلمون اي منقلب ينقلبون . والى اي جحيم ينحدرون .

= انشاء الله يا فريدة قريباً سيكون هذا . سأتجرأ واعرض لجلالته
 شيئاً من افكاري الليلة . والنتيجة والامر لله

ثم ختمت المفاوضة السريّة . وبدلناها باحاديث غرامية اخبرتها فيها
 الشامية بكل مدّهش ومرّش . . ثم هزلية . ثم سطحية . . الى ان خفّت
 منهنّ الروح . والمقصود هنا = الهاشم = فارسلت جواربها . واستدعت
 زميلاتها ورفيقاتها من النساء والسراي الحسن وعلمن ضجّة فرح وانسراح
 وغناء ورقص . وسررن بما رأين من الدلال والتمنن الى ان آذن وقت المساء



السلطان السابق عبد الحميد

الفصل السادس

(سراي يلدرز : السلطان : المبعوثان)

يلدرز القصر الملوكانى المنيف . بل يجمع القصور الذي فاخر بفخامته وزهائه قصور الملوك الاوربية . وساد بمناظره وابهته كل البنايات الاميرية التركية . له من المناظر الشائقة . والتحف الثمينة اللائقة . مايكفل عن وصفه اللسان . استقبل فيه الملوك . والعظماء . وزاره الامراء . ومشخصو الدول الكبراء . انتصب في ابهى بقعة في الاستانة بهجة للنواظر . ومسرة للنواظر . تقلبت فيه السياسات المصرية . وتبدلات الاراء . والخواطر الملوكية . كنت في خباياه . الاسرار الطائفة . والقوات المربعة المائلة . هناك في قاعة داخلية . مزدانة باهى النقوش الذهبية جالس السلطان على اريكة عالية داخل الستار وحده حسب عاداته . وبعض الياوربية الخاصة على بابه . والبعض في قاعة اخرى بجانبه . لتلبية اوامره المقدسة بسرعة البرق . وللمحافظة على ارادته السنية . وافكاره ومشتبهاته الملوكانية . والحرس الخاص بالسلاح التام والاستعداد الدائم على باب السراي . حسب العادة وكلهم كان على رؤوسهم الطير . الحشية والاحتراز تقرأ على اوجهم . اذ كانت حوادث الماضي كأنها لتنبهم بويل المستقبل فيرفعوا رؤوسهم ليتشبقوا النسيم العليل ويتردوا عنهم الهواجس فيسمعوا انات الريح فيتصور لهم صائلة سيوف وحرب في الهواء . وقنام في الفضاء . ويروا الافق محمراً فيظنوا دماء تتحدر مع الغيوم الصغيرة من العلاء . وهكذا تملك هول الرعب والانقلاب قلوبهم وحسبوا الف حساب كيف لا والرأس كان

هكذا اعني السلطان فكان وقد علاه لا صفرار والذهول وثبات جسمه
الضخم والنحول ينحول في فكره التي لم تزل قوية ومباشرة التي تحت
السياسيين واعترف بها عظم الكون من الذي الى الحاضر الى المستقبل
وهو بعض الارم غيظاً ويصر كل حين عن غير الفناء على استناده قهراً
وكيداً ويقول :

= لا ادي العجزت وقهرت الميت والالوف وقيلتهم بسلاميل من
حديد بالباسوسية السرية . وعلمت اقوالهم وافكارهم في هارهم .
وتجهم واحلامهم في مناهم . وحملت البوسقور مرقداً عنيلاً لصلتهم .
والتي مملوكة من كبرائهم . لان خضعت رغباً عني ليجراً . لا ابداء
ضبطاً حقيقاً من صنعة صناعي وفضيلة خدعي ورجالي .
ان الملك الهاب الذي صفرت امامه النفوس وثلث به الرقاب . الذي
اجلست الصلوة وارهبت السياسيين في بلادتي . فما كنت اري الا
تسجيل والتعظيم الذي هو اشد بالعبادة . والقباب الفخمة والجلالة .
وكليات المدح والتغزك بذاتي المقدسة الموكنية . لان ترفني بفضل
بعض الازائب صرت هدفاً للالسة مضغة في الافواه . موضوع تسلية
وتشخيص للمكبة والصفدين . سقطت الهيبة والاحترام . عادم القوة
والعزم . انما . ان . لا بد لي من نهضة قوية وان تصورت في فيها الملية .
وسائب دوراً سياسياًهما ترتج به الآفاق . فاما ان ارجع الى رغبتي
ومقامي . وسطتي واحترامي . واما ان اهرق الدماء كالانهر وغرب
بلاد واجمل هذه فاتحة وخاتمة الدستور . لا اري يكون كيف يكون
الحرية . والسرور على السلطان .
ان خاني رجالي واعواني . فلا يخونني درهمي وديناري . فمدي

منه القناطير وزناً والملايين عدّاً . لشل هذا جمعته ولشل هذا استخدامه .
(القرش الابيض لليوم الاسود) فسوف اجعله يجري بسرعة البرق
لخدمتي واكرامي . وارجاع مقامي . . ولو آل لحراب بلادي ودياري .
استخدمه ناراً لاعدائي . سيفاً لاضدادي . اصلي به نار الحرب بين الاخ
واخيه واجعل البلاد ا . لي واما قاعاً صفصفاً بعدي .

ثم فرك جبينه وهي تتقد كالنار . وتلاعب قليلاً بلحيته وتذكر
مارأى من شحوب لونه واساير الهموم الظاهرة على وجهه . فازدادت
البغضاء في قلبه وثبت ارادته على تلك المقاصد المربعة . فكبس زراً
كهربائياً فدخل امامه بكل اجلال واحتشام الياور الاول . منفضاً راسه
قليلاً . ناظراً الى الارض فاوله غلافاً محتوماً وقال ارسل هذامع الياوران
الصغير الى فلان باشا ثم بعد ساعة يحضر الناظر . . فلان . .
اسرع به الي . اذهب . فانحنى الياور الى الارض امثالاً . . وخرج
بهديو ووجهه موجه الى السلطان . .

بعد ساعة دخل الناظر . . . يتقدمه الياور الى امام جلالته وانحنى الى
الارض مراراً مسلماً . فاذن له بالجلوس فجلس على مقربة منه فجلس صاغراً
منخفضاً وخرج الياور كالاول . فاحتبكت بينهما محادثة سرية . ومجادلة
عميقة نحو الساعتين . خرج بعدها الناظر بوجه مكفهر . وقدم واجفة
فشيعة احد الياوران الى الخارج . ثم بعده بقليل دخل الباشا . . المدعو . .
واختلى مع جلالته ماينيف عن ساعة . وخرج بقدم ثابتة . تترواح قلبه
منازعات وافكار شتى . .

وكان المبعوثان آخذاً في شغله كالعادة تتوالى جلساته ويؤيد بنوده
الواحد بعد الآخر ويحدث احياناً اختلافات كثيرة بين اعضائه واخصهم

بين الاتراك والعرب . فكان الاتراك يعتقدون ان السيادة لهم وهم اهل الحكم والعرفان وان الذي صار ويصير كان بحكمهم وقوتهم ولولاهم ما كان : فلهم المقام الاول والحكم الذي لا يُرد . والعرب كحالة عدد بينهم يختمون على بياض . بدون نقض او اعتراض . . فآثر هذا في الهيئة العربية وثارت بهم الحمية والنخوة الجاهلية . فنهضوا على قدم وساق ليردوا ما فاتهم ويفوتهم من المقام والنفوذ والاحترام وقاوموا اولئك وامامهم السنة المجيدة . والشريعة الجديدة . الدستور الناطق . « الحرية . المساواة . الاخاء . الاتحاد . » وقد ادتى بهم هذا احيانا الى جدالٍ عنيف . . . وما تخشى عاقبته . وكانوا وهم باحوالهم لاهون لا يدركون ما سيكون من دسائس واضطرام نارٍ سيكون لوقيدها ضرام ودخان ينطح عنان الجو الاعلى يوقدها ربُّ الملكة وحاميا لذهبهم شذراً مذراً ويهدم ما بنوه ويبنونه ونووه وينوونه ويجعلهم ان امكن طعاماً لسيف نغمته واحدوثه في خبر كان . يشيب لهولها الولدان . يدونها التاريخ ويتحدث بها الركبان الى ما شاء . وكان .

فكانوا يرسلون منهم الوفد بعد الآخر يومياً ليعلموا ما صار في المايين وليقدموا معاملاتهم لجلالته ليراهها ويختمها . فكان يفعل بتبسمات الحب والولاء كما نفا في قلبه ما يتأجج ويتجدد لهم يومياً من العدوان والبغضاء .

الفصل السابع

← * الارمن في اظنه * →

الارمن قوم ذوو نفوس عالية قوية . وشجاعة وثبات . لا يهابون الموت الزوأم ولا يرتدعون عن مقاصدهم ولا يخضعون سريعاً . وعندهم

عزة ونشاط وركزتهم ارمية وهي بقعة سكنهم الاصيل . وكثيرون منهم متفردون في انحاء السلطنة نذكر منهم قوماً في اطنه الآن . ونخصص بالذكرى عائلة واحدة وهي عائلة اورفليان .

الحواجة اورفليان وامراته وولدها - شاب في العشرين من سنه صبيح الوجه شهم مليح الشباب يدعى ابراهيم . وشابة في الثامنة عشرة من عمرها كاخيا صباحة وملاحة تدعى اولغا . قد تهذبا واقتظفا بعض العلوم وتربيا بالآداب .

وكان الحواجا اورفليان رجلاً عاقلاً يتعاطى التجارة في اطنه . وقد اشتهر بصدقه وحزمه وله كثير من الزبناء والعلاء . يتوارد الى بيته الزائرون من جهات عديدة . منهم شاب طيب يدعى الكسندر . اشتهر بحذقه ومهارته . كان طيب العائلة وقد تولع باولغا . وصار له الميل الشديد اليها .

وكانت اولغا تطرز على نولها بعض القطع احد الايام فاستولى عليها الضجر الشديد واحبت النزهة فقصدت بعض البقع المعروفة بين البساتين قصد ترويح النفس بضع ساعات . فاخذت جارتها العجوز ام خديجة وكان بيدهما الفة ووداد واحبتها اولغا لاحاديثها المسلية فكانت تحدثها عن التاريخ الماضي وما صار . واخبرتها عن حركة الشام سنة الستين والمذابح المربعة وغيرها من الحوادث مما اخذته عن اسلافها كتاريخ ابراهيم باشا ودخوله سورية . والامير بشير الشهابي والاقاويل عن حكمه الساطي وما يقال عن مصطفى آغا بربر الذي حكم طرابلس وشدة قساوته وغيره مما تعب به العجائز في ذاكرتهن مع زوائد كثيرة وحكايات تتداولها اللسان وتتناقلها الناس .

وكانت تعطيها اولغا بعض دريهمات وقطع ثياب احياناً شكراً
وتحياً لها . وجعلتها رفيقتها في المنزهات ولم تخلو تلك العجوز من الدهاء
والمكر لكن اولغا لم تكن لتلاحظ عليها ذلك انما حسبتة حكمة وحذاقة
علمتها اياه الايام .

فقالت لها وهما تتدرجان بين الجنائن الغضاء آه ما اظرف هذه
الايام وما الطف هذا الطقس الربيعي خصوصاً انه مزدان بالحرية والمساواة
صنيعة ذينك البطلين أنور ونيازي فلا خوف يترقبنا الآن ولا حرج علينا
ولا ملام اذا تمسينا قليلاً بين هذه البساتين والازهار . ثم نعود الى
بيتنا آمنتين . . .

فاجابتها العجوز : - بلا شك يا حبيبتى اننا في عصر انور والحمد لله
آمنتين طوارق الحداث وغدرات الزمان .

وهكذا جلستا على مسند مرتفع من الحشيش الاخضر . تتخلله
ازاهير الربيع وزنابقها الملونة باشكالها . كما وصفها السيد له المجد فوق نهر
يتدفق بمائه اللجيني على الحصباء واخذتا تتحدثان بما راق وصفا .

وكانت البلاد في هرج ومرج كما سبقنا فالمعنا . وخوف واضطراب
لتباين الآراء واختلاف الاحزاب . كل يُغني على ليله . هذا يصوب
حزب الحرية والدستور ويدعو له بالنصر والدوام . وذلك يعضد الاستبداد
ويلعن الحرية والمساواة وذلك يدعي انه من الاحرار وغيره من جمعية
الاخاء . . . الى ما شا كل ذلك والنار مطمورة بالرماد والصدور تعبي
الضغائن والاحقاد .

فرّ امام المرأتين قاتنا وعجوزها جمّ من الشبان يترنحون ذات
اليمين وذات الشمال من خمر في الرووس وحزازات في النفوس .

يتحدثون بمشا كل ايامنا الحاضرة . ولما وقع نظرهم عليها وقفوا برهة
 كمادة السكارى اذا راوا شابة مليحة في محل مفرد . ثم مروا بدون
 كلام لكن واحد منهم وهو اعظمهم بنية واغضهم شبابا واجملهم ثيابا . لم
 يرض باطنا بسرعة الذهاب بل بقي يلتفت ويردد نظره الى تلك الشابة
 الحسناء وعجوزها كأنه يقصد امرأ خطراً ذا شأن . . وقد لحظ عليه
 رفاقه ذلك مع انهم لم يعرفوه منذ زمان . وحسبوا له حسابا لانهم مع قصر
 المدة راوا منه جبّاراً عيذاً . اشتهر بفتكه وطغيانه وحدة الشهوات . .
 ولا رتدانه باثواب فاخرة وبذخه دلّ انه من اهل اليسر والاقتدار .
 ففضت الشابة عينها واستولى عليها الندم لخروجها من البيت ذلك النهار .
 لكنها لم تتكلم بشيء امام العجوز كبراً وانفة . . لكن عجوزنا الداهية
 الشمطاء لم تحف عليها افكار الفتاة فقالت بسداجة : - هل تحين الرجوع
 الى البيت يا بنيتي ؟

- بعد قليل حتى يتوارى هؤلاء القوم عن العيان .

- ما لنا ولهم - لا يهنا امرهم . .

فوقفت اولغا وتهايت للذهاب ويجانبها ام خديجة تحدثها بكل
 حديث مستطاب . ولم يحصل لهما مشتهاها بالبقاء . بعد الغروب والتمتع بنسبات
 الربيع العليلة لان قلبها لم يستطب ذلك . وهكذا تدرجتا في مشيهما
 الهويناء الى ان اغربتا عن نظر القوم . ثم دارتا في عطفة الشارع الى ان
 وصلتا بيتهما . فوقفت اولغا لتودع ام خديجة واذا بالشاب ورائهما كأنه
 كان مقفيا لهما الاثارة فدخات الشابة بسرعة الى بيتها بعد ان قرعت الباب
 مرتين وحجبت العجوز الى مسكنها وهي تاهت تعباً دون ابطاء .
 اسرعت اولغا وقد آذنت الشمس بالغياب ووقعت الظلال على الطرق

والممرات وفي مرورها في الدهليز قبل ان تصل الى عرصة الدار تلاقى بالطبيب فحياها بابتهاج وسألها عن نزهتها وكيفية انشراحها فاجابته برقة واختصار وقد علا وجهها الاحمرار . فتصافحا بالايدي للوداع ورفع الطبيب يدها الصغيرة الى فمه وقبلها بجرادة وخرج فاشعرت بكهرباء تلك القبلة وتصبب العرق من وجهها ودخلت الدار .

~~~~~

جلس القوم للعشاء . الخواجا اورفليان وعائلته وهو يحدّثهم بحوادث اليوم وما نقلته الجرائد والاخبار وكيفية وقوف الحال وقلة الاشغال وضنك المعيشة ثم تأوه وقال : لا اظنها الا طليعة وقت ميشوم . ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً \* ويأتيك بالاخبار من لم تزود فاجاب ابراهيم بعظمة يزيد بها عنفوان الشباب . وقد اجتهد لاخفاء غيظه واضطرابه كان امرأ ذا شأن حدث له ذلك النهار . . . . . احب كتمه عن والديه .

دع التقادير تجري في أعنتها \* ولا تبتنّ الاّ خالي البال .  
ما بين غفلة عين وانتباهتها \* يغيّر الله الدهر من حال الى حال .

## الفصل الثامن

= \* نصف الليل \* =

رقدت ام خديجة في فراشها وحدها لانه لم يكن لها الاّ ابنة وحيدة متزوجة في احدى القرى المجاورة . لم تستطع السكن معها لشراسة اخلاق زوجها وعريدته الدائمة . فلازمت بيتها تعيش من دخل بستان لها

ومساعدة الجيران والاصدقاء واخصهم بيت الخواجا اورفليان وابنته  
اولغا . لكنها كانت مضطربة تعباً تلك الليلة لم تعلم لذلك سبباً فلم يزر جفنها  
الرقاد وقد توسط الليل وودت ان تقوم وتنير غرفتها وتتلاهي بعمل ما .  
واذا بخطوات خفيفة قرب النافذة ثم اتجهت الى الباب وقُرع بلطفٍ  
مرتين او ثلاثاً . . . فاجفلت المسكينة وقالت : لصوص . لصوص . . .  
وكادت تصرخ مستغيثة لكن خانها صوتها وكادت تهوي الى الارض . .  
فاجابها صوت خفيف من الخارج بهدوء : اللصوص لا تقزع الابواب .  
لا تخافى . افتحي . .

- خير انشاء الله . .

- كله خير . وخيره محصور فيك .

فانارت ضوءها وتقدمت الى الباب بارتعاش ووجل وفتحته وقالت  
بسم الله الرحمن الرحيم . ثم ارتدت الى الوراء . كن دُفعت يدي غير منظورة  
لانها رأت امامها الشاب الجبار الذي التقيا به في زهتهما مع زمرة عصر  
ذلك النهار . . ثم رأتاه على بابهما عند رجوعهما فأجفلت وأي اجفال . . .  
وحسبت لذلك الف حساب . . .

فلحظ عليها الشاب ورأى انذعارها فضحك ملياً ثم مسك يدها  
وقادها الى الداخل وهي ملجمة كما يقود الاسد فريسته وجلس واجلسها  
بجانبه . وقال متهمكاً - باسم الله عليك . وتأملها ملياً قبل ان ينطق بكلمة  
أخرى . ثم قال بهدوء وحرصاً .

- هل انت ساكنة وحدك هنا يا خالة .

فاستجلبت انتباهها نغمة صوته وحرصاته وقابله بالمثل وتأملت فيه  
ملياً فرأت انه شاب مليح . وربما غريب الديار . . . ومما يظهر عليه انه

جبار عنيد غني مقتدر • فقالت :

— نعم يا ابني • وقد زال بعض التهذُّج من صوتها • ولم تتجاسر  
ان تسأله سبب زيارته نصف الليل لعجوزٍ منقطعة مثلها بدون معرفة سابقة  
ولا ما يستدعي الى ذلك • • • فصبرت لتعلم ذلك منه •

فقال — ابن اهلك وولدك •

— لا اهل لي ولا اولاد • سوى ابنة متروجة بعيدة عني •

— فلا شك انك فتيرة ومحتاجة اذا •

— ليس كما تظن لان عندي دخل خفيف ولا يتخلى عني اصدقائي

وجيراني واخصهم • • •

— احسبيني من جيرانك واصدقائك من الآن وصاعداً وخذي

هذا «ثم كبس في كفها بضعة نقيود ذهبية» • وسوف ازيدك اكثر اذا

اخلاصت لي • وكنت كما اريدك • • آه • ثم طرقة فكر وفطن ان العجوز

توقفت بعد كلمة اخصهم • • فلمعت عيناه كشهب نار • ثم قال راجعاً الى

هدوءه لئلا يخيفها فتموت رعباً بين يديه •

— لم تكلمي عابرتك اخصهم • • من • •

ولما اشعرت بالذهب في يدها تجددت قوتها وعاد اليها نشاطها لانها

لم تر مثل هذا الكرم الحائمي • وعلمت انه منهل جديد • يمكنها ان

تستفيد منه • لكنها ارتعدت لما افكرت انها لا تعرف نتيجة هذه الفتاحة

عميقة ام سطحية • جيدة ام رديئة • ولا بد ان وراء الالة ما ورائها فقالت :

— اخصهم بيت اورفيلان جارنا • وابنته العزيزة = اولفا •

= آه اولفا اسمها • أليست هي تلك الشابة الحسناء التي كنت يرفقتها

البارحة • • ثم مص شفتيه • • شوقاً وفوزاً • • قائلاً لنفسه : وصلت



غايبي المقصودة • وقربت من ضالتي المنشودة • اورفيلان ارمني العجوز  
مسامة فسانال غايبي • وأبلغ مقصدي واشبع شهوتي على الطرفين • • • طال  
وقت وجودي وتنكري هنا ولم افعل شيئاً يذكر • والآن الآن وصلت  
فسوف يشكرني مرسلتي • ثم نظر الى العجوز بفتة فقالت - نعم - هي  
هي - بينها • وقد رأيتك البارحة تكرر النظر اليها اظنك دهشت  
بملاحتها انها ملك كريم • تعجب السما • • •

- وتدهش الارض • ثم ابرقت عيناه ايضاً بالشهوة الوحشية  
- وتوقف برهة - ثم قال - يا خالتي انني احببت هذه الشابة جداً من  
اول نظري اليها • والآن لا يمكنني الصبر عنها وقد علمت انك جارتها  
وصديقتها واليفتها واعلم ان لك مقدرة على قيادتها • لكونها اليك وثقتها  
بك فهل لك ان تجمعيني بها قريباً في بيتك هنا او في محل تستجيبه • •  
انظري اني تركت رفقتي ودرت من طريق آخر ولحقكما حتى علمت  
مقركما وصممت ان ازورك الليلة هذه بعد نصف الليل ورفود الناس لاجل  
هذه الغاية • • • فالآن الآن معولي في هذا عليك • تشددي وتشجعي • •  
وسوف ترين مني ما يرضيك ويخفف عنك وطأة الحياة فتعيشي برحاً •

- فتأملت العجوز في كلامه واعتلاها الاصفار كمن يخشى ان يقع  
في خطب جمل وقالت لنفسها • • • • الموت يتهددني على الجانبين • الويل  
لي على الطرفين • • ان فعلت ارادة هذا الرجل المجهول عندي ونجحت  
يقتلني والد الصبية واخوها بدون شفقة لاني اعلم ما للارمن من البسالة  
والغيرة والجسارة وان خالفت ارادته وفشلت يقتلني هو لاحالة • لانني  
ارى وميض برق خلال هذا الرماد • • • وارى لمان النار في عينيه كل  
ساعة وان واضنه من الجبارة الطغاة الذين لا يصلح لهم بنار • • ولا يرد

جماحه انسان .. وآمصيتهاه كيف العمل ياربي .. ثم رفعت رأسها بفتة  
وهو على نار من الانتظار لسمع جوابها ..  
وقالت - ما اسمك يا بني ..

فضحك مغتصباً وقال - اهذه النتيجة مالك ولا سمي تذكري جسمي  
ثم مد ذراعه قليلاً ونظر اليها بجدة كأنه يقول ويلك ان لم تنجني ..  
بقبضة صغيرة من يدي اميتك خفناً وتمزق الكلاب احشائك . ثم عاد  
الى سكنته وقال ..

- جيداً اكراما لحاطرك .. سميني سرحان آغا ..  
- فعلمت انه يتنكر ويخفي عنها الحقيقة - لعلة في النفس . ولم  
تجسر ان تسأله ثانية فقالت

- تعال اليّ غداً مثل الآن فاردّ عليك جواباً  
فردد الصدى غداً غداً واشوق المستهام الى غد لكنه قال وبمده  
ارى نتيجة ايجابية - فعلاً لا قولاً - اياك ان تلعب بي فتحرّك ناري  
التي تتاجج في صدري ولا خلاص لك تدبري استودعك الله الى  
الغد ....

ولما غاب الاغا عن عينها طرحت نفسها باعياً الى المقعد حيث كانا  
جالسين واغمضت عينها واطلقت افكارها العنان وقالت سرحان آغا  
الرجل ابن مذهبي ... واولغا ارمنية مسيحية ابوها جبار عنيد واخوها  
مثله ولهم اصدقاء كثيرون واخصهم الطيب الكسندر الارمني المشهور .  
الحسن البزه الجميل الطلعة .. واره يميل كثيراً الى اولغا واطنه يصير  
خطيبها قريباً - كما سمعت من امها وهم اصدقاؤني ولهم عليّ الايادي ايضا ..

سرحان آغا كما يسمي نفسه مجهول لا اعلم عشيرته وعزوته واصحابه الا  
ما توسمته بعيني انه مقتدر قوي الجسم غض الشباب غني لا يهاب ذو  
نفوذ وسطوة - المسألة مشومة وشوئها علي ..  
اجتهدت عجوزنا باطلاً ان تنام . فلم يزرها النوم بل ألها السهاد ..

## الفصل التاسع

✽ عقد الحطة : مائدة ابراهيم ✽

واطلت اولغا باكر آ من نافذة غرفتها فرأت العجوز التائهة تجول  
في فسحة بيتها الصغيرة على غير هدى كأنها تلتمس شيئاً تعمله ولا تجد  
شأن المبليل الافكار فنادت قائله

- صباح الخير يام خديجة فاجفلت تلك مع انها الفت ذلك الصوت  
كثيراً واحبته فرفعت عينها ورأت ذلك الملاك الطاهر بثوبها الابيض  
النقي وقالت بنفسها لاغرو ان قنت العالمين ثم اجابت ..

- اسعد الله صباحك يا حبيبي ..

- اراك متضجرة وحدك تعالي لنصطحب عندنا وتشربي القهوة مع

امي ..

فتأوهت العجوز كأنها تستغيث من هم اثقل قلبها وقالت .

- اشكر فضلك سآتي بعد قليل ..

دخلت ام خديجة بيت الخواجا اورفليان فلاقتها امرأته بالترحاب  
وجلست اولغا يجانبها تحدثها وتمازحها وهي كزهر الربيع النضر في بهجتها  
وهيئتها فتالت لها امها قولي للخادمة تحضر الفطور ثم القهوة وكان

الخوaja اورفليان وابنه قد ذهبا لمحلها التجاري باكر آكالامادة فقامت  
تلك مسرعة وقالت = ام ابراهيم = الليلة ستعقد خطبة اولغا للدكتور  
الكسندر .. فاحب ان تبقي عندنا اليوم وتتفرجي من هذه الغرفة التي  
تطل على القاعة ..

= باسم الله وما شاء الله = ساعة خير ياستي الله يهنئكم ابقي هنا  
اكثر النهار امثالا لامرك لكن في المساء اكون في بيتي لان لادخل  
لمجوز مثلي في حفلة كهذه خصوصا اني اكون وحدي وانتم في شغلكم  
فبارك لكم سلفا واودعكم عصر هذا النهار بعد الغد حيث نلتقي ان شاء الله

رجعت ام خديجة قبل المساء لبيتها وكانت ليلة شائقة في بيت الخوaja  
اورفليان حضرها جم غفير من اعيان واكابر البلد مسيحيون ارمين وغيرهم  
ووكلاء القناصل ورؤساء الدين وشعراء وخطباء وبقي القوم الى بعد نصف  
الليل بفرح وابتهاج وعقدت الخطبة وبارك الخطيبين رؤساء الدين وتليت  
التصانيد والتهاني ودارت المرطبات والحلويات وارفضت الجلسة والكل  
شاكرون فرحون يدعون للخطيبين بالسعد والاقبال ..

وسمعت ام خديجة اصوات القوم في رجوعهم وهم يضحكون  
ويتمازحون بالنشراح وعلمت انه قد توسط الليل فصارت نبضات قلبها  
تضرب بسرعة لانها علمت بانها قد دنت ساعة اللقاء بسر حان اغا ..

ولم تمض نصف ساعة من ذلك الحين حتى سمعت صوت ابراهيم  
اورفليان خارجا كأنه يتمازح مع قوم على مقربة من بيتها لم تعرف من هم  
ثم ارتفعت الجلبة فلم تتجاسر ان تفتح بابها الخارجي لترى وتعيبت  
لوجوده ذلك الوقت من الليل خارج البيت مع شدة احتراس ابيه على



ذلك ففطنت انها ترى الواقعة عن سطح بيتها ولا ترى لاشتداد الظلام تلك الليلة وعدم وجود القمر ووقوع اظلال بعض الاشجار على سطحها فدرجت على سلم صغير واعتلت الى السطح فرات ابراهيم وقد مزقت ثيابه وعليها بعض لطخ دم وهو يجاهد كطل ليتخلص من قبضة اثنين .  
 كانا قد لقياه في رجوعه الى بيته حيث كان قد ذهب ليشيع بعض اصدقائه الغرباء من المدعوين لبيتهم تلك الليلة ولانه وعد اباه بسرعة العود لم يبطي ، اكثر من ثلث ساعة وبينما هو راجع لاقاه ذنيك الشخصان الواحد منهما كان يظهر له الحب ويتودد اليه كلما رآه و ابراهيم يظهر له نفورا وكذرا لعلمه بفساد طويته ويتماخص منه مجتهدا ان يرده عن غيه وينهي المشكل بدون مشاجرة تاوّل الى عواقب وخيمة . . . لكن ذلك الفاسد الفاسق وهو الذي كان سبب كدره الخفي ذلك اليوم الاول كما سبقنا فالمعنا لم يتيه عن عزمه الردي . فكان يتوقع الفرص ليخضع ابراهيم ويذله لاهوائه الفاسدة فصدف الامر بخروج الشاب تلك الليلة ان ذلك الرجل كان في احدي الحانات مع صديق له فلحقه راجعا الى بيته فاسرع ورائه وقد جاشت امياله مع معارضة الحمرة وتبعه صديقه وكان ما كان .

ولم يكن مع ابراهيم من السلاح سوى المسدس الصغير الذي لم يكن يتركه من جيبه لكنه لم يشأ ان يشهره خشية من واقعة وخيمة تمتد ولا تنتهي الا بسفك الدماء الكثيرة . . . فصار بينهم معركة قوية بدون سلاح اشبه بالمصارعة الوحشية حتى تمزقت اثوابه وصار عليها لطخ الدم وتهشم جسمه وكان هو المنتصر لكن قواه انهكت لان المثل يقول = ضعيفان غلبا قويا = وظن الرجلان ان الليل خلا لهما لانقطاع

المارة وقتئذ وانهما سوف يتصران على غريمهما لعدم وجود نصير له ولانهما  
اجهداه مع انه دحرهما وقهرهما المرة والاثنين حتى كادا يفران من امامه  
لكن الكثرة غلبت القوة .. وهذا لعدم استعمال السلاح والا اكان  
هزمهما ولو كان اضعاف ذلك لكن حسب قوله -

ما بين غفلة عين وانتباهتها \* يفسر الله من حال الى حال  
سمعوا بقة صوت قادم فانحلت عقدة المشاجرة وذهب الرجلان في  
سبيلهما وهما يتوعدان غريمهما ودخل هو بيمته مسرعاً غير ملتفت للقادم  
لانه خجل من ان ينظره احد لتمزيق وتشويش ثيابه والدماء المملوطة بها  
اما والده الذي كان على نار من الانتظار كأن افكاره نبهته لحدوث امر  
جلل وخبر ذي شأن كاد يحزن لما رأى ولده على هذه الحالة المنكرة .. وقد  
علاه الاصفرار بعد الاحمرار واخبره بما كان وانطرح على ديوان القاعة  
وهو في اشد حالات الكدر والاضطراب فارغى الحواجا اورفليان  
وازبد واقسم ليقم ويقعد البلد ..



## الفصل العاشر

— سرمان آغا : الوعد والوعيد —

لم يخف على القاري اللبيب من هو القادم بعد نصف الليل واين محبته  
وماهي غايته ألا وهو سرحان آغا .. طالباً زيارة عجوزه الشمطاء ليرى  
ما فعل ذهبه الاصفر الرنان ومواعيده الحسنة ممها من العجائب التي كان  
يانتظرها بفروغ صبر ..  
اما هي فرائده واسرعت في النزول وقتحت بابها واستقبلته ولكن

نخوف ورعدة لانها لم تعلم ماذا تجيبه .. ولا كيف ترضيه ..

— مساء الخير يا خالتي :

— اسعد الله مسائك ياسيدي ..

جلس وتفرس فيها برهة . وقد فاحت منه روائح الطيب . اذ لم  
تجسر ان تفتحه الكلام ففاجئها بقوله ماذا فعلت لي ها قد حضرت  
حسب وعدك ..

— لا تغضب ايها الاغا . لم افعل شيئاً ثم اخبرته عن حوادث النهار  
بالتفصيل . اما هو فكان كأن على رأسه الطير .. مصغياً والغضب يلوح  
على وجهه ويتعاضم كل دقيقة حتى انتهت من حديثها .

فقال — اهذا كل حديثك . وتربة ابائي ورأس السلطان لافعلن  
فعلاً يرن له الاذن . اجعل الدماء كالانهر في اطنه .. لكن بعد ان  
ابلق مرادي وافتل المستنذر . ثم قام متهدداً ومتوعداً . والغضب يشعل  
في مقلتيه ..

فاسرعت العجوز لترده وتبرد غيظه بالمواعيد الفارغة . وزخرفة  
الكلام .. فزجرها قائلاً لولا العار وخوفي ان اتنجس بدمك لخرقت  
برصاصي هذا احشائك الآن .. اغري عني ايها الجيفة المستنة ..

فاغرورقت عيناها بالدموع خوفاً وسقطت على قدميه وقالت .

— ما هو ذنبي الوقت قصير ولم تهاني ريثما ادبر اموري هل انا

مكان الله . لارد القضاء ..

— اين الصبر وما هو . اتعلمي ان عاشقا مثلي يصبر . ظنتك ذات

حكمة ودهاء فاذا انت عجوزٌ بلاه . اذا صبرت عليك للغد وما بعده

تأتيني بجواب اليوم لاغير .. اليس هكذا .. اجيبي ..

= الصبر بالله = والامر لله = لاله الا الله = في اواخر هذا الاسبوع  
اي بعد يومين اجتهد ان آخذها للتزهد الى المكان الذي لقيتنا فيه مع رفاقك  
اولاً واجتهد ان الهيا الى ما بعد الغروب وعليك البقية ..  
= جيداً جيداً ان صدقت والا فر الله لا ينجيك من الموت من يدي  
الا الذي خلقك خذي هذا ذهباً آخرأ يذكرك بواجباتك . وعهودك لي  
والا فيكون حق دمك المهدور لتلاعبك بي ورماء على المقعد ثم قم  
مغضباً وخرج ...

فتأوهت عجوز النحاس ورفعت الذهب ووضعت مع ارفاقه ..  
وقالت :

يا اولياً الله خاصوني من هذا المشكل الوخيم ثم ذهبت وطرحت  
نفسها على فراشها منهكة القوى ونست ماراً <sup>يرعى</sup> الحوا. الواقعة مع  
ابراهيم وخصمه ولم يكن هما الا بفوزها وخلاص نفسها من الموت  
الزوام ..

اصبح الصباح الثاني على الحواجا اورفليان وهو غضبان كالنمر  
الحردان وقد اصابه حمى في الليلة الماضية لشدة كدره وعظم انفعاله واسرع  
ليقوم من فراشه ويعمل اعمال الرجال .. ويكيد اولئك الانذال ..  
لكن قاومته امرأته بلطف قائلة - حبيبي انك مريض ولا يمكنك القيام  
وماهم الا قوم رعا و هذا يحدث في كل مكان ثم ارتقى ابراهيم على قدميه  
وقال = اترك هذا لي يا ابي العزيز ولا تتنزل اليه وانه ينجلني ان يعرف  
هذا الان بين الناس ويتأتى عنه القيل والقال .. فلا بد ان يأتي يوم ناخذ  
فيه بثأرنا ونحصل شرفنا بغير هذا الموضوع . فاذعن الاب بعد الجهد



وتجلد واخفى ما كان يقيمه ويقعده من الغضب الشديد اكراما لحاظ عائلته  
واخفى هذا عن صهره الكسندر لئلا يهيج به الى فعل ما لا تحمد عاقبته .  
واوصى ان لا يعلم احد خارج البيت به . ولبس ثيابه وجلس كعادته ايام  
العطالة يطالع الجرائد والاخبار ..

ولما كان ظهر ذلك النهار . دخلت ام خديجة للتهنئة والتبريك ..  
وكان هذا منتظرا منها من العائلة .. فلاقوها بالترحاب - وقبلتها اولغا  
وهي تطفح سرورا وبشرا .. وكان هناك الكسندر . فتقدمت اليه  
العجوز بمكرها ودعائها وانخت امامه وقدمت له ماوجب ولاق من  
عبارات التهناني فشكرها من صميم الفؤاد ..

ولما رأت ان لا كلام من العائلة بمجاذبة الليل الماضي . كأن لا علم لها  
بها تعجبت ولم تفاتهم بشأنها . بل استدركت انهم لغاية في النفس  
كتموها وتناسوها : وصرت هناك بضع ساعات . وهي تلاقي بشرا  
وابتهاجا من كل افراد العائلة ماعدا الخواجا اورفليان فانه كان صامتا  
لا يرفع عينه من كتاب او جريدة امامه . ليظنه الرائي يقرأ . لكن  
المنتقد النبيه يرى انه يكتب شيئا في صدره من الاضطراب . ويقلب  
افكاره ويبني القصور والعالل ...

وفي اليوم الثاني وهو اليوم الموعود من ام خديجة لسرحان .. كان  
الكسندر جالسا على المتكأ بقرب خطيبته في غرفة تطل على الشارع  
وليس بينهما ثالث . فاخذ يدها بين يديه ووضعها على صدره بشوق  
شديد . ثم وجهها نحو قلبه وقال - آه لو تشعري بنبضات هذا القلب  
المشتعل . ثم تلعثم في الكلام وتفرس فيها مليا .

فخفق فؤاد اولغا والتهب قلبها وقربت اليه واسندت راسها اليه  
وقالت - الكس - مايؤلمك . اراك مسروراً . . . حزيناً . . . فما هذه  
الانفعالات المتباينة . والمختلطة معاً . .

- آه - اولغا - حبيبي - حياقي . بهيجتي - ثم لف ذراعه حولها  
وضمها بشدة اليه . وتنشق رائحة جبينها وشعرها العطر . . فاشعر براحة  
وانبساط . ثم بقشعريرة خفيفة سرت في كل جسمه . اما هي فلم تبدي  
حراكاً لكنه اعتلاها الاحمرار وخفق قلبها باضطراب . فاجلسها بجانبه  
وقال وهو لا يزال - ماسكاً يدها يلاعبها بين يديه . . رأيت احلاماً  
ازعجتني جداً هذه الليلة . . وطار نومي . وصرت في هواجس كثيرة  
وما صدقت ان اتيت ورايتك الآن منشرحة عطرة كوردة نيسان .  
فطابت نفسي وزالت غني الاوهام ومع انني لأصدق الاحلام واعلم انها  
خرافات الاقدمين لكنني اشعرت برعشة قوية . وذ هول بعد  
هذه الرويا ضعفت حواسي بضع دقائق . . والان اخشى . اخشى ان  
لا يتم اجتماعنا ويطول لقائنا . بل تضربنا الايام بيد قاسية تفرقنا الفراق  
الطويل . ان لم اقل اكثر . . آه . .

- فارتاعت اولغا وقالت = اخبرني بحياتك ماذا رأيت

فنظر اليها بحب وحنان لاميذ عليهما . والدمع يترقق في عينيه . .  
وقال ويده على رأسها الجميل . . الآن لا يمكنني هذا . في المساء اذا ابقانا  
الله وشاء . اقص عليك مآثناين . ثم قرع الباب ودخلت الخادمة تحمل  
تذكرة ناولته اياها وخرجت . ففضها وقال الوداع . الآن حبيبي لبعده  
وقت قليل لانني مدعي لمعالجة مريض . .

صرفت اولغا تلك الساعات بعد فراق حبيبها بهواجس وافكار

كثيرة . في ماذا تكون الرويا ياترى وما يتهدهم من الاخطار . واستولى  
 عليها الضجر ورأت الدقائق اشهرأ فأنحدت من عينها بعض الدموع  
 الحارة . . واذا بقارع آخر يقرع الباب . فدخات ام خديجة . وبعدها  
 والدتها التي كانت مشغولة قبلاً في بعض الامور البيتية . فزال ما عند  
 اولغا من الكدر واخفت دموعها عن والدتها . وتكلمت بابتهاج كعادتها  
 لام خديجة وتقاولتا على مشوار للنزهة عصرية ذلك النهار . اذا لم يرجع  
 الكسندر . .

ولما حان الوقت وصارت عصرية النهار . بدلت اولغا ثيابها .  
 وخرجت لتلاقي ام خديجة في بيتها وتذهباً معها . . وكانت في ثوبها  
 اللبكي الجديد اشبه مجور الجنان من خليفة الانسان . فتلاقت بالصدفة  
 السعيدة بخطيبها راجعاً داخلاً الباب . فادهش لما رآها . وتجلت لعينه  
 كلاك نور . فسك يدها . وقال = الى اين يا حبيبتي =  
 = كنت قاصدة التنزه قليلاً لترويح النفس لاني ضجرت وشعرت  
 بطول الوقت . . لفا . . . لكن الآن عدلت فسارجم معك الى البيت .  
 = لا = لا اذهبي لان المشوار اللطيف يفيد صحتك وسوف الاقيك  
 الى حيث تتصدين بعد قليل . اذا عرفت الموضع .  
 = بين البساتين ربما على شاطئ النهر . لان هذا احب مكان الى .  
 وغالباً ازوره . .  
 = بجراحة الله = ثم قبل تلك اليد اللطيفة قبلة طوبىة . . وقال =  
 الى الملتقى القريب . . . . .  
 اوآه لم يعرف ذلك الحبيب ان هذا آخر ملتقى . . . . .

وترافق الملاك والشیطان. وقصدا ذلك المرتفع الصغير فوق النهر .  
وتذكرت اولنا تلك الزمرة التي مرت عليهما هناك وخطر في بالها ذلك  
الشاب الذي كان يرمقها بنظرات كثيرة احد من السهام . فاجفل قلبها  
وهمت ان تقول لام خديجة ان تغيرا الموضع . لكنها تذكرت ان خطيئها  
سوف يوافيها الى هناك . ولم تشأ ان تظهر جبانته او وساوسها لتلك العجوز  
المسكينة الطيبة . حسب اعتقادها

وكانت تلك تنظر الى اولنا بنظر الالجاب واجتهدت ان تفتح فيها  
بالمح والتمليق كعادتها . فلم تستطع لان قلبها كان مثقلاً بما سوف  
ترتكبه من الجرائم الفظيعة نحوها . شأن المذنب الاثيم . . فاحفظت اولنا  
ارتبا كها . ففاحتها الحديث وآسستها ولاطفتها . حتى ودت العجوز لو ان  
ساعتها دنت . وانها تتجرع كأس الموت . قبل دنو تلك الساعة الرهيبة  
فلا تذب الى ذلك الملاك الصالح

## الفصل الحادي عشر

= \* السلطان في سراي الحرم \*

دخل السلطان السراي مساء حسب عادته وكانت نسائه ومحاضيه  
صفوفاً بزینتهن الباهرة . وعمارهن . وجواهرهن كحور الجنان لملاقاته  
وبينهن الصف الصفار من اولاده كالانجم بين الاقمار الذين هتفوا  
بالابتهاج لقائه . ومعهن الاغوات والجواري الحبشيات لخدمتهن  
والسراي تتألق بزینتها . وروائحها الزكية فرمى سلاماً عليهن فتقدمن  
بالترتيب لتقيل اذياله واياديه وهو يبتسم لكل لكن لوانح الضعف



والهزال وبابلية الافكار تلوح عليه .. رغماً عن كل تجلده

ودخل الى اكبرهن من نساؤه وصرف وقتاً عندها يتبادلان الكلام

ثم عند غيرها قليلاً وختم الماييل عند سنيه هانم = المحظية المقدمة عنده =

وكانت قد صرفت وقتاً في التبرج والتزين حتى اصبحت دهشة الناظرين

فلاقته الى الباب وحوله جم من الخدم المذكورين وقبلت ذيله باحتشام

وجلس في رأس المتكأ وهي بجانبه تلاطفه وتوأنسه وتبذل قواها في

تسليته همومه وتبديل غومه . وقد انصرف بامرها جوق الخدمة ولازمت

خدمته بنفسها وتقربت اليه فامالها كزوج محب وضما اليه وقد انشرح

باله قليلاً أو تظاهر بالانشرراح ولكن هيات اين الراحة والانشرراح

الحقيقي ممن قد اثقلته الموم واستولت عليه الاكدار والعموم

ولكن هي الطبيعة البشرية لازلية ولا الهية من ما . وطن مهمما

عظمت الاكدار وتعالت يجب للانسان ان ينام قليلاً ويخلينا . ويتركها

جانبا لفترة ويبقيها . والا قاتله وما ابقته عليه قهي كحمل ثقیل على

الانسانية . يحملها طويلاً ويئن تحتها ثم يرميها ريثما يستريح قليلاً ويعود

فيتكرر ويمشي فيها الى ان يقطع وهاد الحياة ...

وهكذا كان جلالتة .. تأوه قليلاً وقطب جبينه . ولاح له من

اجتهاد محظيته ورقتها وانعطافها ولهفتها ما النساء أو كاد ينسيه همومه

الحاضرة وما دبره وبناء فطمر تلك النار برماذ الى حين كانه يقول اليوم

خير وغدا امر .. واظهر لها صدى رقتها . وانعطافها . وجعل رد الفعل

بين احساساته واحساساتها .. وتسامرا وصرفا وقتاً بالحلب والانشرراح

واسمعه بعض ابيات من غنائها المطرب . وكان قد اتكا رأسه المتعب على

صدرها واخذت تمر يدها على جبينه المتعب لتبرد ما فيه من النار المتأججة

وخطر لها ان تفاتحه بما سمعته من فريدة شطاح . لكنها خشيت كدره  
- وغضبه - وتأخرت لبعد حين لتري ما يكون فتكلمه . بدون ان  
تذكر اسم تلك او تبدي اشارة عنها ..

مرّ الليل ورقد جلالته على سريره الفخيم العالي \* والتمست سنيه هانم  
السهر عليه بنفسها والقيام بجانبه في نومه لعلها تنفعه وتخدمه بشي فلم يمنحها  
لكن نوم العناء ليس كنوم الهناء .. اين نوم المضطرب من نوم الخلي  
كان يتأوه كثيراً في منامه . وينطق بجمل متقطعة الا ن وبعند - وبعض  
الامماء يفهم منها شيئاً من مقاصده ونياته . ويصر احياناً على اسنانه .  
ويتصبب العرق من وجهه ثم تقرأ سورة الغضب على ملامحه .. ثم  
تتلاشى فتلاوها هيئة الخوف والارتعاج ثم الحزن والكمد وهكذا  
كن مسه الجنون . فارتعدت لذلك الهانم واي ارتعاد وهمت مراراً ان  
تقطعه لكنها لم تتجاسر عدا عن انها لم تكن في حاجة الى ذلك . لانه  
كان يستفيق بغتة . وينظر حوله مرعوباً كن يرى او يلتبس شيئاً فيراها  
جالسة بجانبه فيمريده على جبينه وتمسح هي العرق المتصبب من وجهه  
فتلطف هيئته ويتفرس فيها قليلاً ليدرس وجهها ويكشف اعماق قلبها  
لثلاث تكون رأت او سمعت منه شيئاً .. فلاقية تلك بالابتسام فيطمئن  
وينام - وهكذا قضى ليله بكفية لياليه تتناوبه المهام . والاوهام في المنام  
الى ان اصبح الصباح ولم تذق الهانم طعم الرقاد فاستيقظ كعادته وبعدان  
البس ثيابه بكامل الاحتفاء والتعظيم .. ودخلت المحظية مقصورة زينتها

\* بخلاف العادة فان عبد الحميد كان ينام غالباً في محلات مجهولة .. لا يعرف

سكان السراي ...

وابدلت ثيابها وجددت بهرجتها وجواهرها وسجدت امامه وقالت -  
 - جلالة مولاي .. دمي وروحي فدائك .. اسمح لي بكلمة  
 وسؤال ولو اشتريته بجياقي فتبسم لها وانفضها الى جانبه وقال = تكلمي  
 ياسنيه ..

سهرت على جلالتكم الليل كله ورأيت انزعاجكم وعلمت انه توارد  
 كثير من الروى والاحلام المزعجة على ذاتكم المقدس فكدرني هذا  
 واحرقني . والان اترامى على اقدامكم ثانية = ما السبب = ما السبب اعزكم  
 الله وابقاكم ..

فاظلم وجهه بغتة واكفهر وزال ذلك التبسم المعتصب الوقتي .. وقال  
 = سمعت ورأيت ياسنيه ..

= الحلم والعفو والامان مولاي ثم قلت ذيله ووضعت على راسها  
 = لك الامان لا تخافي . انهضي ثانية وتعالى الي . فجلست على مقربة  
 من قدميه وراق لونها بعد امتقاعه ورفعت رأسها لتصغي اليه فقال -  
 - المملكة باضطراب الاحوال بانقلاب العيب يتزايد الوباء يستفحل  
 الاحزاب كثيرة ومتضادة . احوال كثيرة تهدد البلاد الرأس متعب  
 ( اي نحن ) - لاحيلة في الواقع .. تترد قوم من الخدم خفية واتخذوا  
 لهم حزباً . وتعاضم واستفحل امرهم . ويرز للوجود . وعملوا كل هذا  
 الانقلاب والان النار تضطرم في كل انحاء البلاد . ويازها وقت طويل  
 لتهمد .. هذا هو سبب انزعاجي وروى رأسي واحلامي .

- مولاي رأسكم سالم . وملكت دائم لائل عرشك . ولا عاش من  
 ينفضك . الا من نهضة للاسد . فتفر الثعالب . وتذعر الارانب . الأامن  
 قبضة لمخليه . تسقط لها اعمدة الفساد . ويرتج لهولها اولئك الطفاة ..

من يتجاسر ان يحول ويصون اذا ظهرت جلالته للعيان . وبرزتم للميدان .  
 فنبسم لحماستها . وجرأتها . وقال =  
 - عفارم - عفارم - سنيه هانم قري عينا وانعمي بالآ - سيكوز  
 ويتم كل شيء بوقته بحوله تعالى . . نقبات ذيله ومر يده على وجهها  
 النضير بلطف وابتسام . .

بعد ظهر ذلك النهار كان جلالته في سراي يلديز وبلغته الاخبار  
 السرية من فلان ناظر . . . . وفلان باشا . . . انها تمت اوامره الملوكة  
 وتفرقت الاموال الى اربابها واستلم الضباط فلان . . وفلان . . وغيرهم  
 مقدار كذا وسيجري الامر ذو الشأن في وقته . . بدون تاجيل ولا تاخير  
 والكيل على مايرام ثم ان الرسائل السرية مع الاموال الطائلة التي  
 عينها جلالته ارسلت الى جهات وانحاء البلاد مع وفد خصوصي لكل  
 جهة وناحية متصودة ليجري الامر العمومي وتتم ارادته السنية بوقت  
 واحد ( غير ان رسولنا الاول الى اطنه لفتح الاساس وتمهيد الطريق لم  
 يظهر ما فعل لكن لاخوف عليه فهو جبار صنديد ينال مايبغني ويريد . . )  
 والكيل محفوظ تحت طي الكتمان . .

فاعترته رعشة عصبية واعتلاه الاصفرار كانها لديه ساعة الاحتضار  
 لكن حب الذات وعظمة الملك والاستبداد ورغبة الانتقام اعادت اليه  
 قوته وثبتت عزيمته . . فقال غدا . . وغدا لناظره قريب . . . .

ترتب الضباط وفرقهم قسموا الجزاء والمكافاة التي انعم بها عليهم  
 الملك المعظم وتهيأوا باسلاحهم وقلوبهم ليوم رهيب ليهرقوا الدماء البشرية  
 ليهزوا بفعل الذهب الوهاج اركان المملكة العثمانية ليهجموا ان امكنهم



ويقتلوا المبعوثان ( رسل الامة ) ونوابها • ويهدموا ما بنوا ورتبوا من  
قوانين السعادة والامان • وكل ماسك قبضة سيفه • ومعبي آلة رصاصه  
وباروده على جنبه وفي جيبه ينظرون بفروغ صبر وهم كحمير ملجمة  
مساقة • • حلول الاجل المحدود ودنو الوقت الموعد • ليفعلوا ما هم  
فاعلون •

## الفصل الثاني عشر

← \* اطنه : مائدة الفل : ورود الرسائل السرية \* →

وصلت الشابة وعجوزها الى حافة النهر • حيث جلستا اولاً •  
وكانت الشمس مالت نحو الاصيل • وبرد الهواء وراق المقام • • ولم  
يعكر تلك البقعة الجميلة مرور انسان ولا حيوان بل حل الهدوء التام •  
فكان تينك الرفيقتين كل ينتظر حلول غروب الشمس لشان • اولئذا  
تنتظره بفروغ صبر لتلتقي بخطيبها هناك • ويرجعا سوياً الى البيت بعد  
ان يتمعا بتلك المناظر البهجة والنسيم اللطيف •

العجوز تنتظره بقلق ووجل • وهي تود انه لا يأتي ولا يكون  
فكانت كمن ينتظر دنو اجله • وهو يعد الدقائق خوفاً ورعباً • لا فرحاً  
ورغباً • • وودت لو انها ما وجدت ولا لاقت تلك الساعات التي كانت  
اصعب عليها من ساعات الدينونه • واطول من شهر الصوم • لشدة  
مرارتها وتبكيته ضميرها المر • •

تشابهتا ببعضهما في الضجر والانتظار والمرارة لطول ودنو الوقت  
واختلفتا في النتيجة • فكان دنوه وحلوله يحلو لاولئذا جداً • وبخلافه

للعجوز . . . . . يقطر دماً . وسماً . ورعباً .

وعلى كل حال مرّ الوقت بسرعة - كسابقه وان كان طويلاً ومرّاً  
في عينيها . كما تمر الحياة . . واذا نجشيش بين ممرات البساتين . ثم ظهر  
من بين تلك السياجات ولد صغير ليس له من العمر اكثر من اثني عشرة  
سنة . فتقدم الى العجوز بدهاء . وقبل يدها - وقال - ياستي - ملامي  
ارسلني يدعوك الى البستان داخلاً . وهو هذا بجانب الطريق . فنظرت  
واذا هو لا يبعد اكثر من عشرة امتار عنهما . فقالت بارتياح - من هو  
معلمك . . وكان قلبها يضرب بسرعة وقوة حتى انها تصورت ان رفيقتها  
سمعتة فقال

= ابن اختك . . العاجز الضعيف كان قد نقل الى هنا منذ الصباح  
بامر الاطباء ليروح النفس . لكنه الآن طلب الرجوع الى البيت وكان  
قد رأى من خلال السياج وجودك هنا . فاحب ان يدعوك لتسري  
بمنظر اشكال الورد والازهار والماء الجاري . والخضرة بانواعها . لان  
البستان خالي فتكون لك فرصة للزهوة . وان شئت رفيقتك ان تفضل  
معك لا بأس = لان المحل حاضر ومفروش حيث تجلسان . .

ففهمت العجوز المغزى كله . لكن اولغا اعجم عليها . واجبت  
الفرجة لولا انتظارها خطيبها المحبوب . ودنو الوقت . فسالتها العجوز  
وقد اعتلاها الاصفرار بقنة . اذا كانت ترغب الدخول للبستان لتصرفا  
بضع دقائق قبل الرجوع . فقالت

احب كثيراً لولا انني انتظر احداً من اهلي = وبستي . . وصنفها  
الاحمرار . فربما ياتون ولا يجدوني . فيضيعوا مكاني . . لكن مالي اراك  
صفراء هكذا . ويزيد اصفرارك مع مرور الثواني . . .

= ان اصفراري هو ناتج ربما عن برد قليل • وانفعال لجهة ابن  
اختي المريض • المدنف • ثم تهدج صوتها عادة الخائن الكاذب ••  
واردفت بقولها اما من جهة اهلك فقد نسمع صوتهم ويسمعوا صوتنا  
من هنا لان المسافة بيتنا قيد باعين • وعلى كل لانبقي اكثر من نصف  
ساعة •• او اقل ريثما تفرجي على البستان • واقطف لك بعض وروده  
وازهاره الجميلة لتأخذها معك •

كانت اولغا دائماً خفيفة الروح •• طيبة القلب • سريعة الانقياد  
والتصديق لطيبتها ونقاوة ضميرها لا يداخلها الشك والريب • ولا تعرف  
الخداع •• فقامت مع العجوز وقد سبىها الغلام وفتح باب البستان  
فدخلت حيث اعد لها مكاناً انيقاً •• مفروشاً بالحصر والسجاد • والفرش  
مزيناً بالازهار والاثمار • والروائح العطرية تفوح من ذلك المكان • لكنه  
خالياً ليس فيه احد من السكان • وبقربه ساقية صغيرة من الماء الجاري  
تنحدر الى بركة جميلة امامها مشبكة باشجار الورد تعطي المكان بهجة  
ورونقاً زائداً ••

فقالت الشابة وقد انشرفت لهذا المنظر البهيج لكن اعترتها رعشة  
رغمية • لوحشته اي خلوه من السكان • من عمل هذا واعده وكانت قد  
انحرفت الشمس للمغيب فلم يري منها الا بعض شعاع صفراء ضعيفة •  
تمتد كاسلاك ذهبية من خلال الاشجار - ولماذا لا يوجد احد من اصحاب  
البستان •

فقالت العجوز وكاد يسبقها الغلام • هو مصطنع لصاحبه المسكين  
ابن اختي المريض الذي كان هنا من بضعة دقائق • ورجع الان محمولاً

الى بيته سرعاً • قبل ان اراه لاجلك كي تاخذي حريتك وراحتك •  
وقد دعانا لنتمتع بهذه المناظر اللطيفة = آه يا حبيبي واخذت حجة لنفسها  
فشرقت بدموعها • وكادت تحتق اسي • والزفرات المتواترة تتصاعد منها  
فما نقتها اولغا وطابت قلبها ومسحت دموعها ودعت لنسيبها الموهوم  
بالشفاء والصفاء • • وهي ترتعش وترداد ارتعاشاً كلما حرك النسيم وريقة  
شجر امامها • • او كلما رفر عصفور ليغني على غصنه اغنية الوداع لذلك  
اليوم البهيج • • آخر ايام السلام • • وفاتحة الحرب والخصام • • • •  
فلم يسعها الصبر على بكاء عجوزها الحبيبة والتفتت حولها • لتستغيث  
بالغلام • لياتيها بشربة ماء • ويساعدها بامر ما • فلم تجده • فكانت الشمس  
قد هبطت الى عمقها ورادهاتيك الاطلال • واختفى مصدر النور • معديلاً  
دوراً للظلام • الذي كان ليتدرج بيجوشه الجرارة الثانية بعد الاخرى  
فاقشعر جسمها اللطيف • واعتراها هزة الرعب من قة رأسها الى باطن  
قدمها • • وكادت تهوي الى الارض • وهي لاتدري لذلك سبباً الا  
الوحشة وخلو المكان • وذهاب الوقت وادراك الظلام وعدم وصول  
حبيبها خطيبها المنتظر • •

لم يطل الوقت بعد ذلك حتى سمعت خطوات ماش بين الاشجار  
المشبكة • ثم ظهر عليها من جهة البستان شبح رجل في عنقوان الصبا  
طويل القامة غض الشباب عليه مسح من الحبر الابيض يلوح على محياه  
الشجاعة والملاحه • مع الدهاء والخيانة • • ففرقه لاول لحظة انه ذاك  
الذي التقت به مع عجوزها آخر مرة وهو يتهادى مع زمرة وينظر اليها  
المرّة بعد الاخرى •



فألجمت عن الكلام . وعلمت ان المسألة مقصودة . . . واعتراها  
 الاحمرار . ثم عقبه الاصفرار . . . فلاحظ عليها ذلك واوى للجوز خفية  
 فتوارت بين تلك الاشجار كأنها هاربة وهي تقول من انت . . غريب  
 غريب . واختفى صوتها .

فقدم بقدم ثابتة غير مكترث لتحيلاتها المصطنعة . ومد ذراعيه  
 وقد ابرقت عيناه بلهيب وحشي . نحو الفتاة التي لم تستطع ان تنقل قدمها  
 بل جمدت كهنم في مكانها وقال - . .

اهلاً - - اهلاً بفاتنتي . . وجميأتي . . عيل صبري وانا انتظر هذه  
 الدقيقة . . ثم ضمها الى ذراعيه ضمة شديدة وانحنى ليقبها قبلة العاشق  
 المشتاق - فصاحت مبيحة الرعب والاختناق . وبعد ان اختببت بعنف  
 بين يديه سقطت مغشياً عليها لاتعي على شيء . . ولم تستيقظ الا على  
 صوت البارود واطلاق الرصاص . ففتحت عينيها بغتة ثم اغمضتهما كأنها  
 في حلم مرعب . ترى فيه اشباح احبائها وحرماً عنيفة ودماء كالانهار .  
 وعادت الى اغماؤها ولم تنبته بعد الا وهي على فراشها في بيتها . وحولها جم  
 غفير . . واطباء يدخلون ويخرجون . والكل واجف خائف . والموت  
 رفر ف جناحيه والحزن نشر لوائه على ذلك البيت . وهد سعدة وعم  
 شقائه . . بكاءً وضجيج نواح ام ثكلى . لا تقبل التعزية واب يدور كاسد  
 هائج بفؤاد يتصدع . وقلب يتوجع . والدم يكاد يتنجر من عينيه يود  
 الخروج فيمسكوه . وقد زق الحزن فؤاده . . الا وهو الخواجا  
 اورفليان بطل ذلك البيت ورئيسه قد مسه الحزن الشديد بشيء اشبه  
 بالجنون . على فقد وحيدته . ولده . ومهجة كبده . ابراهيم - الشهم -  
 الشجاع . الجميل . برصاص الاشقياء . اختطفته المنون ولم تشفق على

شبابه • مدت لة يد الاعادي باذى ولم ترحم نضارته • ولا بكأ ابيه •  
ولا نواح والدته •

والسبب في ذلك انه لما عاد الى بيته قبل الغروب سأل عن اخته  
شقيقة الروح • فقيل له انها ذهبت للنزهة الى محل كذا •• وبرفتها ام  
خديجة • فقصد اللحاق بها ليشم الهوا • قليلاً ثم يعوداً معاً الى البيت • وفي  
طريقه التقى بالطبيب الكسندر • قاصداً ذلك أيضاً •• فتمشيا الهويناً •  
الى ان وصلا المحل المقصود • ولكنهما اجفلا اذ لم يريا هناك احداً • ولا  
اثراً • فالتفتا ذات الشمال واليمين • بلهفة من يفتش على ضائع • خصوصاً  
في هذه الايام • ايام الخوف والتهديد •

وكان الكسندر اشدهما خوفاً ووجلاً • ولا يستطيع صبراً • لانه  
كما سبقنا فالعنا • كان مضطرباً مشوشاً • كل ذلك النهار والليل الذي قبله  
وكان قد مضى بضع دقائق • بعد غروب الشمس • فاسرعا ليفتشا في غير  
مكان •• قبل ان يدركهما الظلام • فسمعا بقة صوت ام خديجة رفيقة  
ضالتهما المَشوذة تقول • من انت • غريب • غريب •

فوقفا لحظة كن على راسهما الطير • وتبادلا الاحاظ • وقد جمد  
الدم في عروقهما ثم تقدما بحجة الى لصق السياج • حيث خرج الصوت  
لعلهما يسمعان • صوتاً • او نطقاً آخر • يهديهما الى الحقيقة فلم يلبثا اكثر من  
دقيقتين • حتى سمعا صوت اولنا المرتعد المختق كانه خارج من الاعماق  
وسمعا جسماً ثقيلاً يهوي بعنف الى الارض • فاسرعا كالبرق الخاطف  
ودخلا البستان • بعد ان دفعا الباب وكسراه بلحظة • وكان السابق الكسندر  
لانه كان اقرب لوجهة الباب • فدفعه ابراهيم خوفاً عليه ولانه اراد ان

يكون المنتقم الاول لاخته . وقفز كالسهم المارق فصار امام ( المتخفي )  
المسمى الآن سرحان آغا . الذي كان يحاول ايقاظ فريسته الموهومة ...  
غير متبته لغيرها . فلم يرى إلا لكمة بيد من حديد على دماغه كادت  
تصرعه وتغيّب وعيه . تلتها اخرى ثم اخرى . وصوتاً كالرعد القاصف  
يقول له - أخسى يالعين حد من هنا . ولا تنجس بيدك السافلة . هذا  
الجسم الطاهر . وتهاياً قبل ان اوردك حتفك . ثم اطلق المسدس عليه ثلاث  
طلقات لكن بيد راجفة لشدة غضبه وخوفه لئلا تكون اخته مُست  
بسوء . . . فلم تصب ذلك الطاغية بل مرت بجانب رأسه . ولحست الشعر  
وقليلاً من الجلد . فكان كن داس ذنب الحيه ليوقظها ويفضيها . فصاح  
الغريم بصوت عظيم . وقد علم بالسليقة انهما قرب انسبا الفتاة . وربما هما  
خطيئها واخوها . - اي جسيم قذفتكما الى الآن هذا من سعادة حظي .  
لا أبر بقسمي ثم اعود فابتلع فريستي على مهل . . خذاها من يدي . يدجبار  
لا تخيب ...

وكان قد اجتمع جم من الفلاحين . المزارعين . وضمانة البساتين في  
الجيرة على الصوت . واسرعوا لفض المشكل . لكن بعدان سبق السيف  
الغزل وقضي الاجل واطلق السرحان الكاسر عدة طلقات نارية على غريمه  
الاول الذي فاجأه ثانية بقلب صخري فوق وقع يخطب بدمه وعين الداميه  
تنظر بكبر . وازدراً مع الاسف الى عدوه الذي كاد يثني على الكسندر  
الذي هجم عليه بقلب من حديد . وهو يرغي كالجلمل الهائج . لكن حال  
بينهم القوم البسطاً واختطفوا السلاح المشهر من يدي الاثنين ورفعوا القليل  
الذي لم يزل فيه بقية حياة . . وهو في حشجرة الموت . ولا يزال موجهاً نظره  
بمرارة الى عدوه . واحتملوا الفتاة وذهبوا الى بيت اورقليان . وقد

حاوطوا الكسندر ومسكوه وهو يزأر كالاسد خشية من افلاته .  
ورجوعه الى مجاوله عدوه . حتى اوصلوهم المحل المقصود .  
وحدث ولا حرج عن هول تلك الساعة .

هجم الوالدان على ولدهما بكبد ملتا ع . فرمقهما بعين الحب وقد  
قاربت مقتله الجمود واستولت ظلمة الموت على تلك الاعين الجميلة .  
والجمود على ذلك الجسم الرطيب وتقلصت شقته ولم يستطع ان يكلمهما  
بحرف بل فاضت روحه على حضينهما ومات رجائهما الوحيد الى الابد  
واحترق قلباهما . واستمرت بنار لا تطفى نفساهما . .

وكانت اولغا بعد ان علمت بما صار مطروحة على فراش الضنى تنقلب  
بالاوجاع . مصابة بحمى اشبه بالدماغية . تهذي هذيان السكارى . تقنح  
عينها وتطبقهما بدون وعي وقد حاوطها الاطباء . ومنهم من قال انها  
لا تُشفى ابداً . ومنهم من قال انها تشفى وما هي إلا حمى بسيطة . نتيجة  
الخوف والحزن الشديد .

وهكذا اصبح بيت السعد والانشراح . مقر الاحزان والاتراح .  
وبُدِّل بياضه بسواد . وسعده بنكد .

وكان الكسندر ينظر اليها بعين عبراء . وكبد حرا . وهي لاتعي عليه  
الى ان كان ذات يوم . وقد رُجِح لها الشفاء فانحنى عليها وقبل جبينها الملتهب  
قبلة الوداع . واضعاً تحت وسادتها رسالة مخنومة . وغاب بغثة عن العيان  
وحجب عن الانظار . ولم يُعرف له مقر . . فكان ذلك الضربة القاضية  
لبيت اورفليان . .



وفي اليوم التالي سمع ان : فلان آغا : من زائري البلد الاكابر  
والايعان قُتل برصاص شاب ارمني مجهول . في نفس البلد ظهر النهار ..  
وكان ذلك الشاب غريماً الجبار قاتل ابراهيم الذي لم ينل ماتني ..  
بل كان سبب ذلك البلاء وذهب هدف شهواته الجهنمية بعد ان كمل  
ارسالته . ومهد الطريق . وفتح اساساً وعراً هائلاً كبيراً لما سيصير مما  
يرتجى له الخافقان . ويظلم النيران ..

ثم بعده بيوم آخر سمع ان رجلاً ثانياً قتل في البلد بتلك اليد المجهولة  
والشمس في اوج علاها . لانه كان يتكلم بهزء عن الشاب المتوفي ابن  
اورفيا بعد موته الا وهو غريمه الذي كان له معه ما كان من العراك  
تلك الليلة الليلا بعد نصف الليل ..

فحمد قلب ارفيان ووطن ان صهره الكسندر هو الفاعل لهذا وانه  
اخذ له بالثار وسبقه الى ما كان يتمناه . لكن اين هو . وكيف تنكر .  
وما هو سبب اختفائه ؟ لم يعلم ..

تهيج اسلام البلد . وقاموا وقعدوا . وارغوا وازبدوا لفلان آغا  
ضيفهم الجبار الصنديد ومن تأملوا ان يكون عمادهم المجيد الذي قدم من  
الاستانة من مدة لقضاء مهمة سرية عائدة بالنفع للملك والوطنية وتأسفوا  
لشبابه وغضاضته وملاحته ولاقاهم قوم القتل الثاني وكان اضطراب  
عظيم فلم يسمع في البلد الا الهرج والمرج والقيال والقال ولمس كل على  
رأسه وحلت الرعدة في القلوب وهلعت النفوس وقفلت الاسواق  
وتعطلت الاشغال الى ان صار الوهم حقيقة وتجسم واستفحل وظهر للعيان  
فبعد ان كانت الاقاويل همساً صارت علناً وهي انه وصلت رسائل سرية

من الاستانة العلية ومعهما كيات من الذهب الوهاج بالالوف والالوف تأمر  
الرعية بالقيام على بعضها واجراء المذابح العظيمة وحرق المدن والقرى  
وهلاك النفوس والاتلاف وتعطي للفاعلين الوفاً من الذهب الوهاج  
فارسلت الرسائل الى الجهات واجتمع الاقوام

## الفصل الثالث عشر

\* تقدم الداء \* →

ارى خال الرماد وميض نار \* ويوشك ان يكون لها ضرام  
فان لم تطفئها عقلاء قوم \* يكون وقودها جثث وهام  
فان النار بالعودين تذكى \* وان الحرب اولها كلام  
ذهبت الرسائل والدراهم الى كل انحاء المملكة ومنها وطننا  
سورية بولاياتها والويتها التي منها بلدنا طرابلس وتداولت فيها ارباب  
الاحكام ملكية وعسكرية والسن الخاصة فمنهم من رفضوها بتاتا عقلاً  
وديناً ولم تحف عنهم شر عاقبتها ومنهم من ذهبوا الى المفتين وروساء الدين  
واخذوا ( حسب قولهم ) الفتوى الوحيدة ضد الشرع المستقيم بازالة  
الكفار وهلاكهم والاستيلاء على املاكهم واعراضهم وتفييذ ارادة  
السلطان الذين منهم بعض كبراء بلدنا كما يقال ( ١ ) وناهبوا ليوم معين  
وهو الاحد الواقع في ٢٣ نيسان  
وكانوا ليهجموا اولاً على جمعية الاتحاد والترقي ليحرقوها ويفنوها  
لانها العقبة الاولى امامهم المضادة اراءهم

( ١ ) اظنها : وهو الحق : من تقولات الكاذبين اصحاب الغايات ...

ثم اذيع هذا فتحدثت به السن العموم وقام قومٌ من الرعاع (الذين سموهم الرديف) في ٢٢ نيسان برأي الكبراء وداروا في الشوارع بالاعلام والبيارق الصفراء والمسدسات التي كانوا يطلقونها بدون انقطاع وينشدون النشائد الحماسية كما ذكرنا في احد الفصول الاولى يقصدون جمع السلاح فكان لهول مشهدهم ما كان من الارتعاد في النفوس وخصوصاً من ضعيفات النساء والاولاد التي عقبتهما المهاجرة الى الجبال وقصدهم الاستعداد لليوم الثاني

لكن بينما الانسان في التفكير : الله الذي لا ينس ولا ينام في التدبير

انت التلغرافات تلك الليلة من عقلاء قوم مدرّكين من الاستانة (تحمل بشارت السرور) كما سناتي عليه في وقته وقلت زعمهم وما ارادوا فمنعت ذلك الهلاك المريع هذا في ولايتي سورية وبيروت اللتين منهما لواؤنا : طرابلس : وحلّ الامن والسلام وابتهجت جمعيات الاتحاد والترقي

» شكراً لاولئك القوم العقلاء الكرام .. الذين سيحفظ لهم التاريخ ذكراً مخلداً شريفاً «

لكن وآسفاه . هل كان هذا في بر الاناضول واطنه المنكودة ؟ لا . فقد سبق وحلّ عليها القضاء المبرم . فانهم قاموا على قدم وساق ولم يزعجوا وعملوا المذابح العظيمة في البيوت والاسواق والساحات وصبغت البلاد بالدماء . وقتلوا الرجال وكثيراً من النساء والاطفال شرّاً قتلة . وهدموا المحلات العامرة ونهبوها . واحرقوا الضياع ودمروها

وخشوا واستفحل امرهم . ولم يكتفوا بيوم واثنين . بل لاحقوا العمل الفظيع حتى قدرت شهداء فظائهم الوحشية بثلاثين الف . . . وتشت من بقي من النساء والاطفال في البراري والوهاد بلا مأوى ولا قوت ولا كساء . وعددهم ماينيف عن الخمس والعشرين ألفاً ياكلون اعشاب البرية « هذه ان وجدت » يتوسدون الثرى ويلتحفون السماء . يكون ويتحبون منهم عشرة آلاف ولد لا يعرف لهم اب ولا ام . . .

لو تطاع مولانا القاتل الظالم بعين العدل والحنان لما فعله قلبه الاسود وديناره الاصفر الرنان . في بني الانسان . من رعيته ودولته من الفتك والقهر والنهب والاسر . الى ما مني به من بقوا من الشتات واقتضاح الحفرات . واحتراق الضيع والمساكن والحانات . لرأى منظرًا يحرق الاكباد ويبكي عين الجماء . من تسبب النساء ويتم الاولاد . وشرودهم من سيف ظلمه في البراري والوهاد . . . ينزعون نزعات الموت الاخيرة . يستغيثون رب الغوث الذي لا يفوته فوت بالانتقام العادل

نشر البرق اخبار تلك البلدان . وما حل بها من البلاء والهوان وتداولته الصحافة وتناقلته الجرائد السياسية في اربع انحاء المعمور فهيجت ارباب الشفقة والاحسان . لفعل المبرات والتأمت الجمعيات لجمع النقود والملابس وكثير من الاسعافات لاولئك المنكوبين وكانت الاخبار تاتي على رويتها وصحتها بعد ذلك فرأينا ان القوم الاشرار هجموا ايضاً على المدارس والاديرة والكنائس ودمروا منها ماقدروا عليه وقتلوا عدداً يذكر من اربابها والمرسلين من اجانب ووطنيين عفواً بلا ذنب ولا . . . الا شرأ منهم وتوحشاً ودناءة وانقياداً لا مرهم الكبير . . .



عم الخوف البلاد ثانية . اكبروا الامر وهابوه . تفرقت الاساطيل  
 الاوربية في مياها ومرافقنا تتراقق كالانجم وتجول من مكان الى اخر  
 تتجسس وتحرس وتنظر ما يحدث توقفت التجارة . اقلت ابواب الرزق  
 ارتفعت الاسعار فكان التأوه من كل جانب . الفقر - الحرب - الجوع . كل  
 يتهدد انسان العصر الحديدي " راحيل تبكي على اولادها ولا تريد ان  
 تعزى لانهم ليسوا بموجودين "

فتش البراري والقفار وهاتيك الاقطار في البلاد الاناضولية فترى  
 جماعات وزرافات من الارامل والايام والثاكين هنا وهناك في تلك  
 الوديان والهضاب يبكون بلا عزاء ويرثون مصابهم ويلوهم  
 وفقد هم اعزاءهم هذه تندب زوجاً حبيباً والفاً اديباً وتلك تبكي ابناً عزيزاً  
 وشهماً اريباً واولئك يرثون اخواناً اعزاء بدموع حرى ولا دموع  
 الحنساء وهو لا يبكون والدين احباء وقد شقوا الجيوب وذابت منهم  
 الافئدة وتفظرت القلوب

فرن هذا البكاء في طبقات الهواء ونقله الاثير الى كافة البلدان  
 وصار له صدى عميق في القلوب والاذهان فترقرقت له دموع بني الانسان  
 فكان هذا يسعفهم بالاحسان وذاك بالرثاء ونذب اللسان وذلك على اعمدة  
 الجرائد بكل رقعة وحنان حتى هزت الاريجية والشهامة العربية (صاحب  
 الفضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر) فكتب لاسلام الاناضول  
 ناصحاً معاتباً منذراً ما يأتي :

---

" بسم الله الرحمن الرحيم " وبعد فقد اطلعنا في الصحف المحلية  
 على اخبار محزنة واشاعات سيئة عن مسلمي بعض ولايات الاناضول من

الممالك العثمانية وهي ان بعضهم يعتدون على بعض المسيحيين فكذلكنا  
 لانصدق ماوقع الينا من هذه الاشاعات ورجونا ان تكون باطلة لان  
 الاسلام ينهي عن كل عدوان ويحرم البغي وسفك الدماء واضرار الناس  
 كافة : المسلم والمسيحي واليهودي في ذلك سواء .

فياايها المسلمون في تلك البقاع وغيرها احذروا ما نهى الله عنه في  
 شريعته الغراء . واحفظوا الدماء . التي حرم الله اهلاكها . ولا تعتدوا على  
 احد من الناس فان الله لا يحب المعتدين . « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك  
 في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب  
 المقسطين »

ياايها المسلمون الله الله في دينكم واياكم وما حظر عليكم ربكم في كتابه  
 وسنة رسوله . والفسوق عن امره والنزول على ما فيه غضبه وسخطه .  
 ان الذين عاهدوكم والمستأمنين لكم والذين جاوروكم من اهل الذمة  
 بينكم حق من الله تعالى في رقابكم ان تستقيموا لهم ما استقاموا لكم . وان  
 تمنعوه مما تمنعون منه انفسكم واهليكم . وان تجمعوا لهم من باسكم قوة لهم  
 ومن قوتكم عزاً ورخاءً وان تكفوا عن ديارهم وكنائسهم وبيمهم ما عن  
 مساجدكم ومعابدكم .

ولا والله ماداس امر حريمهم . ووضع السيف فيهم وبغى عليهم  
 الا كان ناقضاً لما اخذ الله على المسلمين من عهد . وواجب عليهم من امر .  
 فياايها المسلمون لا تجملوا لامصيات الجنسية سلطاناً عليكم ولا لتشيع  
 العناصر سبيلاً الى نفوسكم . فان هذه حمية الجاهلية التي يردها الاسلام  
 ونعي على اهلها . ولقد كان في رسول الله احسن اسوة . وفي اصحابه  
 العارفين خير قدوة . ولو انكم لم تسمعوا مقالة جاهل ولم تردعوا سلطان

الهُوى لملكك عليكم ساحة الاسلام مشاعركم • ولجعاتكم للسلم مفيضا •  
ولو جدتم عن سفك الدماء منصرفا

واعلموا انه ان كان ما بلغ الناس عنكم حقا • فقد اغضبتكم ربكم • وما  
ارضيتم نبيكم وشريعتكم واحفظتم اخوانكم المسلمين عليكم غيرة  
على دينهم الذي قد تنكرت بهذا العمل الشنيع معاملة • وانتهكت  
محارمة • واطلقت السنة الجاهلين بدينكم بنكر القول في المسلمين اجمعين  
الا فاسمعوا ما قال نبيكم في مثل ما أنتم فيه اليوم • قال صلى الله  
عليه وسلم • « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة • وان ريحها يوجد من  
مسيرة اربعين عاماً » وقال ايضاً « من قذف ذمياً حياً له يوم القيامة  
بسياط من نار » فرحم الله امرءاً سمع فوعى • وبلغ ودعا • وفقنا اجمعين  
الى العمل بديننا القويم • وهدانا الى صراطه المستقيم ولا حول ولا قوة  
الا بالله العلي العظيم

الفقيه اليه تعالى

محل الختم

سليم البشرى

شيخ الجامع الازهر

فلير السلطان ويسمع • وليفهم المفتون وروساء الدين هذه الرسالة  
الفصحى لهذا الرجل العظيم ويرعوا • آه • • وليبك اسلام الاناضول  
من حره ما سوف يلاقون •

## الفصل الرابع عشر

( شهيد الوطن الامير محمد رسلان مبعوث الازنية: استكمال الجبارة )  
« الامير محمد رسلان » هو ابن الامير مصطفى رسلان المشهور من اعظم

الامراء واکرام العيال الشرقية . شهم مهم مقدم ككرم تقلب في عدة مناصب وله خدمات كثيرة في الدولة ونال نياشيناً ورتباً وحصل مقاماً رفيعاً هو اهل له كآبائه واجداده الكرام .

قومٌ زكوا اصلاً وطالبوا محتداً \* وتدفعوا جوداً وراقوا منظرًا ولا يزال حاكماً مكرماً في بلاد الشوف خلف نجلين صيين لوطنهما كثيرين عظيمين في كيانهما الا وهما الامير امين رسلان متصرف دراج في اشقودرة والامير محمد رسلان بيت قصيدتنا وموضوع كتابتنا الان (١) احد مبعوثان الامة تربى في مهد الدلال وتهذب على ايدي الاساتذة الكرام واتقن العلوم والفنون وعدة لغات - العربية والتركية والفرنسية . وهو شريف مهاب حسن الطلعة كريم الصفات في ريعان الشباب . ليس له من العمر اكثر من خمس وثلاثين سنة . - عين مبعوثاً للاذقية فكان اصغر المبعوثين سناً واكبرهم همة ونشاطاً واعظمهم بسالة . لاقى من رفاقه حباً واکراماً ومن رئيسه ثقةً وامتناناً

ودعه ابوه والامراء الكرام من آله وذويه واصدقائه قبل سفره للاستانة بالتوسلات لعزته تعالى بحفظه وقد زوده سعادة الامير والده بالنصائح الدقيقة والارشادات المفيدة وثبته على حب الوطن والاجتهاد في ما يعود للنفع العمومي واوصاه ان يحافظ على بسالته وكرامته ومنزله وقال له - "بني لا حاجة لي ان اوصيك كثيراً واستودع في صدرك نصائحي الابوية لانني والحمد لله ارى فيك الكفاءة فاثبت على ما انت فيه واعتبر ما انت منتخب اليه اي الوطن وراعي بالاکرام رئيسك

---

( ١ ) بلغني مؤخراً ان للامير مصطفى ثلاثة نجل



وبالصدق والصدقة رفاقك وجلّ وقدس ميلكك والشرعية وليكن الله  
حافظك وعنايته رساك ثم ترقرت عينا الوالد المحب ( الامير مصطفى )  
بالدموع وجاش حنانه الوالدي وزوده القبلات الاخيرة  
فانحنى الامير محمد خشوعاً امام ابيه وقبل باحترام ايديه وقد تخشع  
قلبه لهذا الوداع ووعد ان يكون قرّة عينه مستجباً لرضاه كيف كان  
واين توجه وخادماً اميناً للوطن وابناً صادقاً للدولة ومقدساً مكرماً  
للمليك المعظم .

وهكذا حملته السفينة وسار به البخار وقد اودعوه قلوبهم واستودعوه  
لله فوصل الاستانة والتأم المبعوثان وتعرف ( التركي بالعربي والكردي  
بالارناووطي ) وتعاهدوا على الاخاء والاتحاد والحرية والعدالة والمساواة تحت  
قيد الدستور المعظم

وابتدأوا هكذا وقد افتتح الجلسة السلطان معاهداً مقسماً اغلظ  
الايمان بالمحافظة على الدستور بكل القوة والامكان وما زالوا على سيرهم  
وخطهم الا ان صار بينهم بعض الاختلاف في بعض الجلسات والمذاكرات  
كما المعنا سابقاً وكان يحدث هذا غالباً كما هو منتظر من مجلس كبير مشكل  
المذاهب والاجناس يعترهم الكبر احياناً وحُب الذات ثم يعودون بعد  
المناقشات فيتفقون على الامور ويقررونها ويرسلون الى السلطان ويعرضونها  
ويختمونها ويرون ما جرى في المابين دائماً ليكونوا على حذر وهدى مما  
يعملون الى ان كانت حوادث اطنه والاناضول وقد اضطربت المملكة  
واصطكت الاذان من هول ما جرى وسمع من فظيع الاعمال ثم تلاه  
ارتشاء العسكر والضباط في الاستانة وتهنيهم للفتك المشوم بزعماء الحرية

وقادة الدستور ومن يلوذ بهم ويصوب رأيهم من ارباب الدولة واهل الصحافة او يعضدهم وينادي بصدقهم كما سيأتي :

بعد منتصف ليل الثلاثاء من الاسبوع الواقع في ٨ نيسان " ش " اخذت العساكر تتوافد دون ضابطها من جميع ثكنات العاصمة الى الموعد المضروب مسلحة ببنادق موزر ومسدسات منجيز وقد شككت حراها في رؤوس بنادقها لكنها سائرة لمقابلة العدو ولم تطلع شمس ذلك اليوم التاريخي حتى اربى مجموع الذين اجابوا المدعو على الستة آلاف ما خلا المشايخ والعلماء الذين كان عددهم لا يتقص عن ذلك

ولما بلغ الصدر الاعظم الحادث المخيف هرع الى نظارة الحرية فوجد الناظر محاطاً بركان حربه فاصدروا قراراً معجلاً مؤثماً بحاسنة العصاة واتخاذهم بطريقة حكيمة منعاً لسفك الدماء.

ثم توجه الصدر الى الباب العالي حيث اتأم مجلس الوكلاء وتداولوا فيما يعملونه . ولما أشكل عليهم الامر فيما يجب لتأييد الامن العام نصحهم ( عادل بك ) مستشار النظارة الداخلية ان يستقيلوا من مناصبهم فاستقالوا وانضم اليهم احمد رضى بك رئيس البعثات . فكتب استعفاه واستقال ايضاً . وعرفوا السلطان برفقاً باستقالة الوكلاء . ثم حضروا الى القصر السلطاني وامضوا المضبطة باستقالتهم .

اما السبب الظاهر لفضب الجند فهو منع الضباط وافراد الجند من مطالعة الجرائد المضرة ومعاشرة العلماء والمشايخ لان السلك العسكري لا يتمق في الاديان فهو عبارة عن حب الله والسلطان والشعب . وهذه مطالبيهم :

- اولاً ان تتخذ الشريعة المنورة اساساً لتنظيم القوانين والنظمات

- ثانياً عزل الصدر حسين حلمي باشا وناظر البحرية .
- ثالثاً عزل احمد رضى بك رئيس المبعوثان واستبداله باسمايل كمال بك مبعوث برات « رئيس فرقة الاحرار »
- رابعاً ابعاد حسين جاهد بك رئيس جريدة طنين ورحمي بك وجاويد بك مبعوثي سلانيك .
- خامساً حمل قيركور زهراب افندي من مبعوثي الاستانة وكيلاً للرئاسة .

- سادساً تغيير ضباط بلوكان الاوجيه . .

هنا تدخل شيخ الاسلام وحضر ثلاث مرات وتفاوض معهم ملياً فصاحوا بناءً على طلبه باعادة كامل باشا صدرًا . وناظم باشا ناظرًا للبحرية . وقد اسكرهم الفوز وكثرة المحاسنة فقتلوا يحيى باشا وخادمه تجاه صندوق القاعد شر قتلة . ثم قتلوا ناظم باشا ناظر العدلية . وجرحوا ناظر البحرية . والسبب هو انهم ظنوه ناظر الحرية . والبعض يقولون انهم ظنوه احمد رضى بك . وهو اقرب للعقل .

انتخب المبعوثان كسابق عاداته وفداً منهم ليذهب الى القصر السلطاني ويستفسر عن نهاية الحادثة وكان الوفد عشرة منهم الامير محمد رسلان الذي دخل المجلس الساعة السابعة بدون معارضة من احد . ولما خرجوا من باب المجلس الخارجي للقيام بمهمتهم ومشوا خطوات قليلة صدّهم المسكر وردّهم بدعوى انهم ينوون الهرب من اجابة مطالبهم . فعادوا على اعقابهم . وعند الباب قال احد المسكر لرفيقه مشيراً الى الامير هذا هو حسين جاهد بك مدير جريدة طنين فاقتلوه

فكر عليه اولئك الجملة بحراب بنادقهم بدون شفقة . وقام فضربوه  
 ثانية . فنهض بقوة الصبوة ودافع الحمية فكروا عليه بالرصاص المتتابع  
 غير مشفقين على شبابه النضير وجسمه المثنق اللطيف فسقط اخيراً والدم  
 يتدفق من جراحه المتفجرة كالانابيب ينزع النزعات الاخيرة . ثم فاضت  
 روحه الطاهرة وهو يتذكر اياه وعائلته وكانت وهي تملو في الجوالا على  
 ترفرف فوق يلرز لتعاتب الظالم القاتل وتطلب الانتقام العادل . آه .  
 فصاحت الوطنية مولولة معولة :

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| أروي الثرى من دمعي المذروف | سيطول بعدك في الطول وقوفي  |
| لفدئت من امرائنا بالف      | لو كان يقبل فيك حتفك فدية  |
| منعتك سمر قنأ ويض سيف      | او كان من حمر المنايا مانع |
| طرق الصواب ومنجد الملهوف   | يامرشد القتيان اذ أشكت     |
| شمس الشهامة غيبت بكوف      | ياشمس مالك تطلعين ألم تري  |
| لما ألم وخص كل ظريف        | عم المصاب به الطوائف كلها  |

وضج المبعوثان لاجل الامير الحبيب وصاح القوم الله اكبر على  
 من طغى وتجبر . أنقتل في محلنا ونحن هنا نواب الامه ؟ أيمد الظالم سيفه  
 علينا بعد ان عاهدنا وواثقنا وافتتح المجلس لنا ؟ انخون ويخفر ذمامه  
 وينكث عهوده امام الله والدولة ؟ ايزدري بالكتاب الشريف الذي  
 اقسم عليه الايمان المرهبة ؟ سوف يرى الظالمون اي منقلب ينقلبون !  
 نبكيك يا شهيداً قضى شهيد الوطن . نبكيك يا فتى الكمال والبسالة  
 نبكيك يا شهيد الحرية . نبكيك يا علماً علا . نبكيك يا غصن نقا . نبكي  
 المروءة والشهامة . والحمية والنبالة .







محمود اشوکت باشا

طير البرق نعي شهيد الوطن « الامير محمد ارسلان » مبعوث  
اللاذقية ووصل الخبر المريع الى كل انحاء الدولة العثمانية وما جاورها  
وصمت اذان اهله وذويه . وتقطعت الافئدة اسي : وشقت الجيوب عليه  
واذرف الدمع السخين . ونهض الخطباء والشعراء وتليت التآيين والمرائي  
ووردت لسعادة الامير مصطفى والده الحزين التعازي من مجلس المبعوثان -  
من وزراء الاستانة - من كبراء الامة - من الجهات العديدة - من  
ارباب الصحافة - من كل الطوائف والمذاهب . وكانت مقالات ومرائي  
الاسف عليه تتلى على اعمدة الجرائد الايام العديدة .

## الفصل الخامس عشر

(سوديك . زحف الجيش . استلام القلع وبلد بقيادة الفضل)

« محمود سوك باسا : »

نبأ تطاير من (فروق) بكى له - - - الحرمان وارتاع (الخطيم وزمزم)  
الجند باسم الدين قام مهدداً \* والدين ينكر صنعه ويحرم  
اجرى دماء الابرياء من الالى \* تعبوا لينا العالمون وينعموا  
ما حبه الشرع الشريف اقتاده \* بل كان سائقه لذلك الدرهم  
عجبا باسم الدين يطلب نزع ما \* يقضي به الدين المين ويحتم  
حملوا على الدستور اية حملة \* ليقوضوا بنيانه ويهدموا  
ولهم من الخلق الشديد مدارع \* ومن الغباوة والتهور اسهم  
واذا (نيازي) قد اطل (وانور) \* الضيفم الثبت اقتفاه ضيفم  
فاضاء وجه الحق وابتم الهدى \* وعلا وجوه الخائنين تجهم

لاذوا باذيال السكينة عندما \* نظروا الهلاك حقيقة واستسلموا  
 رئت الافاق بالاخبار المشومة . صمت الاذان لهول انين شهداء  
 الظلم والاستبداد وقعت الحيرة في النفوس . واجد الخوف البلاد . بلغ  
 مسامع البطلين نيازي وانور واخوانهم ابطال الحرية ماقضاه الجور  
 والاستعباد وما فعله ارفاقهم الضباط الخائنون في الاستانة بفعل الاصفر  
 الرنان . بهتوا لحيانة ( ذاك ) الذي حلف الموائيق الراهنة على الكتاب  
 الشريف بحفظ اليهود والايمان والمحافظة على الدستور وراحة العباد  
 فهبوا من مراقدهم كالاسود الغاضبة تتبهم الجنود المظفرة بلامهل .  
 وزحفوا على الاستانة يجيش عرمرم لواؤهم الحرية . قائداهم الدستور  
 دافعهم الاخاء والمساواة . وقد سبقتهم الانباء البريقة الى كل جهات  
 الولايات للتطمين بان الفيلقين الثاني والثالث قد اخذا على انفسهما عهدة  
 كبح جماح ارباب الدنائة والمطامع الذين قد افسدوا قسماً من الجند  
 العثماني في الاستانة برشواهم وقاموا بتلك الحادثة المؤلمة قصد اعادة  
 الدور السابق ( دور الاستبداد المظلم ) وانها سيعيدان الامن في الاستانة  
 ويؤيدان الدستور .

فليعلم الاعداء اننا عصابة \* يقطي على حركاتهم فليعلموا  
 نصبوا الى الشورى لنقى امة \* تملي مكاتنها الشعوب وتعظم  
 لنظر احرارا ونحيا اخوة \* من فوقنا علم السواء نخيم  
 ذا ديننا بتنا عليه جميعنا \* العيسوي يحمله والمسلم  
 لا نرتضي عنه بديلاً او غنى \* مادام يصحبنا الحسام اللهم  
 ومن ابغى تعويج منهج حكمنا \* فغير حد السيف ليس يقوم  
 فليرجعوا عن نفث سم فسادهم \* وليتبعوا سنن الهدى وليزموها



يكفيهم ماشاهدوا عظة من \* الالهوال والحدث الذي لم يجلعوا  
 فاذا ابوا ان يستفيدوا عبرة \* فالسيف اصدق حاكم اذ يحكم  
 لايسلم الشرف الرفيع من الاذى \* حتى يراق على جوانبه الدم

هتف الجند المظفر بابتهاج : ليحى الدستور ليتم الاستبداد . وصلوا  
 الاستانة وابرت الوية الحرية . واعلموا القوة فشردوا المحافظين واخضعوا  
 العصاة . واكلت سيوفهم رقاب الخائنين . وكان لهول ذلك طنين عظيم  
 لايزال يتردد صدها في الافئدة لبعده حين . وبعد مواقع هائلة كان  
 الظفر بها لهم . فاستلموا القلاع واستولوا على قشلة السليمية في اسكدار  
 وحلوا فيها ورفعوا رايات النصر فوق ابراجها . فكان لهذا وقع كبير في  
 الاهلين . وكثر القيل والقال في ما يكون بعد ذلك . وضجت الاستانة  
 ماسوى القوم القليل من القوم الاحرار واهل الاستبداد باصوات  
 الابتهاج والتهليل . ثم تم آخر دور من ادوار الاستيلاء على " يلدز "   
 بعد ان احاط بها الفاتحون وجردوا الجنود المحافظة والحاشية ومأموري  
 البلاط من السلاح . والبعض يقولون ان السلطان لما رأى ما كان وعلم  
 ما سيكون وان الدائرة ستدور عليه وان السيف سوف ياكل حاميته  
 الشاهانية لاقل مقاومة فيتم القضاء بعد سفك الدماء بدخولهم اليه وصب  
 جامات غضبهم عليه ، اصدر اوامره للعساكر المحافظة برمي السلاح  
 والتسليم بدون معارضة قائلاً - انكم كلكم اولادي ولا اريد ان  
 السيف ياكلكم امامي .

اصبح اليوم الثاني يوم هرج ومرج في الاستانة فبلغ الذين سجنوا

بعد انتصار الجيش الى ذلك الوقت عشرة آلاف نفس والقي القبض  
في ذلك النهار على قائد حملة البنادق تفنكجي باشي بينما كان متخفياً  
في غلظه فعاملوه بالشدة والعنف واهانوه . وكانت الاسرى المقبوض  
عليها تساق الى الشكنات الخارجة عن البلدة فرقاً فرقاً . اما الجنود  
المتردة من طوابير الاوجي ( الصيادين ) فقد شدوا وثاقهم بعضهم الى  
بعض بالحبال وارسلوا الى السجن . وقبض على الآتي ذكرهم من المشاهير  
الرئيس صباح الدين .

مراد بك الدغستاني محرر جريدة ميزان .

نظيف بك رئيس الجمعية المحمدية .

عبد الرحمن بك محاسبه نظارة المالية .

مع جمع من كبار رجال المايين . وقد ارسلت الجنود الى نادي  
الاحرار فضبطت اوراقهم وسجلاتهم . . وقد اعدم البعض منهم .  
والبقية تحت المحاكمة التي تستمر شهراً وقد عقدت لها المجالس  
العسكرية .

## الفصل السادس عشر

✽ = دار الحرم الملوكاني قبل امتداد الجيش ✽ =

كان محمود آغا ياتي سنه هانم بما لطف وقل من الاخبار  
والحوادث الجديدة ويجاس عندها بضع ساعات يحادثها . وكانت تسر  
باحاديثه . فقال لها يوماً ما :

— ان الجند متهبج جداً اليوم . وسوف ياتي بالافعال العظيمة .

- وهل عند مولانا علمٌ بذلك ؟
- كيف لا وهم لاجله في هذا الغضب الشديد .
- كل الجنود ؟
- قسمٌ منهم . وقد اضيف اليهم جانب كبير من العلماء والمشايخ  
والكابر المايين .
- وما قصدهم في هذا الهياج ؟
- قلب الدستور . وقبر الدستوريين بعد ان ينكروا بهم بامر العذابات  
بجد المرفف الوهاج . .
- اولا تظن انه يخشى على مولانا من هذا . آه يا محمود اني اخشى  
العاقبة . فهو لا الدستوريون والذين يشدون ازهرهم اقويا لا يصلح  
لهم بنار .
- الحق بجانبك ولكن سياسة مولانا والا صفر الرنان ستولد في  
قلوبهم من الشجاعة ما يرتج له الخافقان .
- وهل اعطى مولانا اموالاً لهؤلاء العبيد . اليسوا صنعة يده .
- اولا يخدمون افكاره بدون رشوة .
- آه ياستي - ثم اقترب اليها قليلاً وتفرس فيها بامعان وقال  
للانسان قوتان جسمه واعوانه . ثم درهمه وديناره . فاذا فارقت القوة  
الاولى . يلتجى الى الثانية وهي اكثر امنية من رفيقتها اذ لا يعتريها  
الكل ولا الجبن ولا التقلب كيف شاء الريح . فهي ثابتة صلبة . متينة  
مع صاحبها . صلابتها وثباتها كعندنها . بخلاف الانسان الذي هو  
من ماء وطن . يتقلب مع الالهواء . احياناً يرى صحيحاً متيناً . وحياناً  
جباناً ضعيفاً . وحياناً مشعوراً ثم مكسوراً . فلا امنية له . والمثل

يقول • ربي كلباً ينفعك • ربي انساناً يقلعك •  
 - ها - ها محمود آغا فياسوف • ثم وضعت يدها على كتفه بابتسام

الحزن •

فاخذ تلك اليد اللطيفة بين يديه الضخمتين وقبلها بشوق واحترام •

ثم قال

- لست فيلسوفاً ياستي • لكن الدهر علمني • « لاتعلم ابنك الدهر

يعلمه »

علمت كيف قلب الدستوريون المملكة • وكيف فارقت مولانا  
 قوته • لكن والحمد لله لم يعدم نصراء من رجاله الامناء • فبواسطتهم  
 بث الاموال في افواه الجند الجياع فصاروا اسوداً يلبن اشارته •  
 ويستهلكون امامه وغدا ترين مايصير • •

- لم تخبرني شيئاً عن رسول اطنه • الذي اخبرني عنه سابقاً • وماذا  
 عمل من العجائب ذلك الجاسوس الفاسق الطاغية كما تقول •

- آه واحسرتاه على شبابه • والهقى على نضارته • انه قتل بعد ان  
 فتح اساس الثورة وهو من خيرة اصدقائي • ومن امهر الشبان • اذا  
 قصد لاينجيب • •

- من قتله ؟ يا للمعجب •

- احد الشبان الارمن البواسل •

- او لم يمسك قاتله •

- كلا • فانه كان كاحد مردة الجان = قتل غريمه ظهر النهار • ثم

اختفى ولم يظهر له اثر • •

- ومن اعلمك بهذا •



- اتنى كتابة من احد اصحابي الصادقين الذي كان رفيقاً له في تلك البلاد . وكاتماً لاسراره . وان ابتي عاوثته على فتح ذلك الاساس امرأة عجوز مسلمة . التقي بها مرة اذ كان يمشي واياه مع بعض الاصدقاء . بين البساتين ...

- وكيف كان ذلك ؟

- فتخرج الاغا وقال متردداً اذ كان بوده اخفاء الحقيقة عنها . .  
لكنها ارغمته بتوسلاتها . فابتدا:

= كانت العجوز مع شابة جميلة ارمنية من اشراف قومها تنزهران هنالك . فوقع نظر الشاب عليها وعلق بمحبته . ثم هام بذلك ولم يكن له صبر عنها فاستعمل العجوز بالذهب والارهاب فجمعه بها في احد البساتين غشاً واحتيالاً اذ لم يكن للشابة ادنى علم بذلك وكما انه كان عاشقاً مستهلكاً في هواها كان مهتماً في ايقاع الفتنة بين الاسلام والارمن والمسيحيين عموماً هنالك فرأى ان هذا يكون مفتاح البلاء ومع انه قد همه عدم كدر حبيته اذ اطاعت واذغنت له . لكن همه اكثر عمل ارادة مولانا فقال اقضي مرامي ومهمتي معاً لانه لا بد لهؤلاء الارمن من القيام اذ هم قوم بواصل صلبوا الرقاب فاذا نجحت اختطف حبيتي من بينهم واذا لم انجح اكون اتممت رساليتي ونات امنيتي

لكنه لم ينل شيئاً من امنيته ولا اشتها قلبه لانه عند التقائه بها هجم قوم من اهلها وكان بينهم موقمة هائلة ادت الى قتل احدهم وتجمهر الاقوام من الجيرة فاحتملوا القتل والقتاة الى بيتها وبعد ايام قليلة قتل هو بيد احدهم في منتصف النهار ولم يمك القاتل ثم شاع انه قتل آخر في نفس البلد من نفس الرجل المجهول ولم يتمكنوا منه وشبت النار

وابتدأت الفتنة - تم ارسالته وحرم امانيه ونفسه . .  
- احزنني على هذا الرجل صديقك لكن كان ليؤثر في أكثر افتراس  
فتاة طاهرة بريئة

= قه = قه اني اعلم رقة قلبك وطهارة نفسك ولذلك لم اشأ ان  
اخبرك القصة اولاً لكنه مراعاة لاحساساتك لم يتم لكن اهلها وذويها  
وعشارها مع كافة المسيحيين هلكوا واندثروا ومن بقي منهم تشتت  
في البراري والقفار ولا نعلم نصيبها اين الآن = افترسها سيف ام وحش  
ام جوع ام برد ام عري

= وي = وي محمود آغا كفى = كفى = انك تتكلم بقساوة جانم  
لا اريد هذا ان قلبي يؤلمني

فضحك محمود آغا وابرت عيناه بقساوة ثم حب ثم لطف ونظر  
اليها بنظر الواله المشتاق ثم قال :

ماعدت اخبرك شيئاً اذا كنت هكذا سريعة الانفعال = ثم قبل ان  
يتم كلامه سمع صوت جارية يناديه :

= محمود آغا محمود آغا الاغوات خارجاً يطلبونك  
ذانحنى مودعاً وخرج وهي تشيعه بانظارها وقد علاها الاضطراب

اجتمعت الهانمات مع بعضهن في القاعة الكبرى وصرن يمزحن  
ويضحكن ويابهن بعض العاب مسلية فطلبت احداهن حضور سنيه هانم  
فاجابتها الاخرى رافعة شفقتها باستهزاء

= ان سنيه هانم صارت سياسية تحب الاخبار وتضمن محمود آغا كل  
النهار ليأتيها بالوقائع

- انها مجنونة ستسقم جسمها ويعتريها الهزال . فتعدم نعمتها ويميل عنها مولانا الى احسن منها . واظن الجر كسية الجديدة الفتانة ستاخذ محلها لاني ارى مولانا مشغفاً جداً بها . وسنيه هانم لطهارة قلبها تحبها أيضاً فتدعوها احياناً كثيرة اليها .

- نعم القول ان صار فعلاً . فياتينا دور . ان لم تحل تلك في برج الاسد . ثم هل يجب ان تكون الدنيا كلها لسنيه . السيد والاغا والجواهر المايحة . . . و . . .

وقبل ان تتم كلامها دخل الاغا باضطراب خياهن باحترام فسكنه ومازحه وقلن اصدقن الحقيقة الى اين ذاهب ثم تغامزن عليه وضحكن وهو ساكت وقالت اكبرهن لعند سنيه هانم . أليس هكذا .

- نعم ياستِ اصبت

- مع السلامة احضرها معك لعندنا لتتسلى قليلاً مالهـا والسياسة . انها للرجال . الجنون فنون سبحانك ياخالق كم لك من العجائب في ملكك

## الفصل السابع عشر

← \* نهضة الاسد \*

لكل قنديل اذا نفذ زيتـه وقارب الانطفاء نفذه ولكل ميت قبل مفارقتـه الحياة فيقة فتكون هذه النهضة او الفيقة وداعاً ينطفي بعدها النور وتنطفي الحياة وتعليل ذلك هو انه يتجمع ويظهر من الضعف قوة ويفرغ كل ما في الجعبة فيكون بعدها لاشيء بل الانطفاء الحقيقي الذي لا يقظة ولا حياة بعده .

وهكذا كان السلطان قبل سقوطه • جمع كل قوته وحيلته بواسطة بعض من بقي له من اصدقائه واعوانه الذين حزمهم بدهائه ودرهمه وديناره ودفعها دفعة واحدة اطاعتها بعزم سقط بعدها مائتاً لا حراك فيه كحشوة عظيمة من فم مدفع برصاصها وبارودها خرجت بدوي عظيم • فهدمت وخربت وانشق لها المدفع قطعاً لانها اكبر واعظم منه ولم يحمل عزمها وشدها • او افعى اليمه قديمه الايام عدوة الانسانية جمعت كل قوتها وبغضها ونهشت عدوها وافرغت كل سمها واهلكته وسقطت مائة • • فمكذا صار وهكذا كان لجلالته • وقد نسميها احتراماً للمقام الملوكاني • نهضة الاسد الاخيرة وما هي حقيقة إلا نفضة اوفية الموت • دخل الآغا الى سنيه هانم فراها مسندة رأسها الى زلاج النافذة تتأمل فقال - السلام عليكم •

- وعليكم السلام : وادارت وجهها بحيرة لسرعة رجوعه قائلة ما ورائك يا آغا -

- كل خير ياستي • « نهضة الاسد » زار مولانا بعزمه فدوى لزياره العالم العثماني فنهض واهلك كل اعدائه وشتت شملهم ولذا ترين انني لم استطع صبراً عن اخبارك الحقيقة لتشاركيني في الابتهاج • وما هذا هات الحقيقة كلها •

- اخبرتك سابقا عن احتشاد قسم من الجنود والمشايخ والعلماء • واتحادهم لخدمة مولانا فها هم الآن قد هجموا وقتكوا فتكاً ذريعاً ببعض الوزراء والكبراء وقتلوا بعض اعضاء المبعوثان منهم شاب جميل • وهم في حق شديد كالبحر الهائج لا يحسر احد ان يقف امامهم فيعلموه وقد طلبوا مطالب عديدة بامر جلالته وايمازه ان لم يليها لهم الصدر ونظاره



يخربون المملكة هذا عدا عن الفتك بالاهالي والهياج والمذابح من  
انصار مولانا في كل انحاء المملكة .

= آه يا محمود قلبي ينبثني ان نتائج هذه الامور وبال علينا وعلى  
مولا ....

= لا . لا سمح الله . مالك تتباين بالحراب . ألا فاعلمي ان العصاة  
لا يأتون إلا بعصى من حديد وما الحق إلا للقوي جزا الله القوة كل  
خير فسوف يرى العالم العثماني وما جاوره ان عبد الحميد مقتدر على كبح  
اعدائه ورد كيدهم في نحورهم ليس كغيره ممن قادهم الشعب الطاغى  
واذلمهم لاهوائه وقذفهم بتيارهم وعلى الباغي تدور الدوائر فما هم إلا بغاة  
بغوا عليه وتعدوا على سلطته وارادوا اذلاله فما هو اشبه بهذا إلا براع  
شردت خرافه فردهم بعصاه ومن تمرّد اذبه .

= اذبه لا قتله = الادب نوع ( والقتل ) اي الموت نوع آخر  
= آيه ستي عيني خير أو لينشرح صدرك . الليلة سنعمل فرحاً في السراي  
من بعد امرك وساحضر المغنيات المشهورات اللاتي تحين سمهن وتصيح  
الموسيقى بانواعها ويكون للنصر رجة في هذا القصر

= آواه يا محمود اخاف انها تكون اخر الافراح لنا في هذا القصر  
العظيم الشأن . ثم اغرورقت عيناها بالدموع فتقدم الا غاملتها من الكدر  
لانفعال مولاته وحزنها الغير المنتظر ومسح دموعها بمنديل لها وقال

= اقسم برأس السلطان اني اذا رايتك هكذا بعد الآن لا اعود  
اراك ولا اخبرك شيئاً . هيا بدلي ثيابك واستعدي للفرح فسوف تأتيك  
اميرات كثيرات زائرات اليوم ويكون لهذا النهار شأن عظيم عندنا  
= فخافت الهانم من اغضابه وقالت ممثلة : افعل ما تريد وها اني

استعد لملاقاة ضيوفه لكن اليس للهائمات خبر بهذا  
 = سوف اخبرهن الان فيصرن ممنونات وها عدد منهن مجتمعات  
 في القاعة الكبرى يمزحن ويلعبن ولا اري الكدر والسويداء مستحوذة  
 إلا عليك ثم ودع وخرج فلاقته الهائمات بالاستهزاء والمزاح قائلات ما  
 السياسة الان عند الهانم يا آغا؟ فضحك قليلاً ثم قال = اليوم = يوم فرح  
 للحرم المملوكاني كن على استعداد فسوف تشرحن كثيراً  
 لم يكن ظهر ذلك اليوم حتى غص القصر بسكانه اميرات وهائمات  
 وجوار ومغنيات وموسقيات فكان فرح عظيم في سراي الحرم في يلدز  
 وتبادلن التهاني وكان لكل حبة خصوصية جلست بجانبها وسامرتها على  
 هواها وخاطرها وسرحن ومرحن في ذلك الصرح الكبير المزين بافخر  
 زينة ورياش كانه قسم من الجنان وكان المدح والاطراء للهائمات من كل  
 جانب واخصهم سنيه هانم التي كانت كقمر بين تلك الانجم او كشمس  
 بين تلك الاقمار لكن لم يخف على انظار الكثيرات منهن انها كانت تتصنع  
 او تتجامل في فرحها كأن شيئاً مهماً يس احساساتها وكانت بجانبها  
 السرية الجركسية التي فضحت بمحاسنها الجميع واستجلبت انظار  
 الكثيرات حتى ان بعضهن فضلنها على سنيه... وهمسن بينهن قائلات  
 هذه معشوقة السلطان الجديدة هنيئاً لها هنيئاً فقالت واحدة منهن = بل  
 هنيئاً له على هذا الملك الفتان النادر الجمال

---

ورأت فريدة شطاح التي حضرت مع بيت الباشا = لمتعاض  
 سنيه هانم الباطني وعدم انشراحها القلي فتقربت منها وقالت بدهانها  
 المعتاد

— مولاتي مالي اراك منقبضة رغماً عما تظهرينه من فرحك وتبسماتك  
الظاهرة •

— اني لست منقبضة يا فريدة لكن اعرف ان لكل طلعة نزلة ولكل  
نهار بهيج ظلمة تعقبه فاخشى من هذا الفرح والابتهاج الزائد ان يعقبه  
حزن وكدر لاني ارى بعيني ان هذا العصر عصر الدماء لا يكون بعده  
إلا الحمود والموت • آه •

— باسم الله عليك • بالله ياستي انظري الى نقطة النور ولا تفكري  
للغد اليوم خمر وغداً امر اتركي الغد لله ولا تفوتي ايام الفرح والسعد لانها  
تذهب من العمر والبسي اكل حالة لبوسها ولا تكوني مكدره قبل  
حاول الكدر وكل شيء بقضاء وقدر ثم ضحكت وتلاعبت وقدمت لها  
الامثولات والحكايات المضحكة المسلية حتى اذهبت ما بقلها من المخاوف  
والاوهام •

عزفت الموسيقى بانواعها واجمل الحانها ودار الرقص ورقصت الاميرات  
والهائئات فكن يتمايلن في تلك الفسحات البديعة كحور الجنان وقد  
ذهب الكدر وحلت الافراح ودخل الاغوات وقدموا المرطبات  
والحلويات وكذا الجواري الحبشيات حملن كلما طاب من النقولات  
والمرقيات وكان يوم يذكر فيشكر •

احمرت الاوجه واشتعلت الاعين بماء الحياة وصفا الحب وتهيج الغرام  
فكان كل يغني على ليلاه ويذكر حبه ومشتهاه •

ألا انها يقظة الموت او نفضة القنديل الاخيرة فيحل الشتات وتسح  
الدموع وتصعد الزفرات وينعق غراب الخراب فوق تلك الجدران الشاحخة

فيضربها ويشئت اهلها فيكون الكل وما كان في خبر كان .  
 ..... هنا وقفة تلذ للكاتب والقاري نجبس بها انفسنا  
 عن الخروج ... نتركها لتأملات المطالع اللبيب ليرى بعين ذهنه عظمة  
 هذا العالم وبذخه واسرافه ثم انحطاطه وسرعة زواله واندكاكه . علو الى  
 اعظم شاهقات المجد .... ثم انحطاط يصم الاذان الى اسفل دركات  
 الهاوية ....

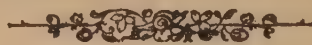
نتركها لتصورات الشاعر الرقيق = الفريد = المتغزل النادب الباكي  
 الموثن الرائي : ليشغل بها بعض اوقاته ويتغزل بها في خلواته ثم يرثيها  
 ويبكيها وينشرها على صفحاته ... آه .

ياجنة الله في الدنيا لقد نصبت \* منك المياه جفف البث والشجر  
 ياليلة فيك والانعام صادحة \* والخور راقصة والنور مزدهر  
 والارض تبسم والافلاك ضاحكة \* فيك النجوم وفيك الشمس والقمر  
 حتى تشقق ثوب الليل وانبلجت \* بشائر الصبح لاتبقي ولا تذر  
 فهرول البشر كالطرود منهزماء \* واصبح الطرب الفضاح يحضر  
 واضحت النفات السبع نادية \* عز القصور فلا عز ولا قصر  
 واطفئت فيك انوار مشعشة \* والنجم يطفأ حين النور ينتشر  
 ترزعزع العرش واندكت دعائه \* فليس يرجعه جن ولا بشر  
 يامن يصيرون بالتيجان آلهة \* هذي عواقب رب التاج فاعتبروا

ولما كان مساء ذلك اليوم ارفضت الجلسة ورجعت الزائرات الى  
 بيوتهن بعد ان ودعن باحتشام وهن يدعين للسلطان بدوام العز والافراح  
 وكانت سنيه هانم مع البعض من الهاجمات اللاتي ابتدأن يشاركنها



في الاحساس يرددن الوداع بلهجة الحزن بخلاف العادة كأنه اليوم الاخير  
لهن او الفراق الذي لا لقاء بعده... وهكذا كان.....



## الفصل الثامن عشر

( اليوم المريب في القلع الرهيب وغمامة الجباب )

يوم لك ويوم عليك يا رجل .. الذي يطبخ منه الانسان اياه يا كل :  
الذي يحفر حفرة لغيره يقع فيها ...

دنا اليوم الرهيب وقطع الجيش المحاصر عن يلدز الماء والغاز معاً  
قطعاً تاماً واوقف آلات توليد الكهرباء ومركزها خارج القصر ومنع  
ادخال المؤن والاقوات اليه .

فارسلت سنيه هانم الى محمود وقالت .

- اين امس من اليوم يا محمود ؟ اما قلت لك الاسبوع الماضي ان  
هذه آخر افراحنا ضمن هذه الجدران الشاحخة ؟ .. ألم تكن انباءات  
قابي حقيقة ؟ ألم يكن حزني سرّاً غريباً ظهر مغزاه الآن ؟ أجل دنا الوقت  
انظر ترى الجيوش كالبحر الزاخر حوالى يلدز ! انطفأ نورنا الغازي  
والكهربائي فسنييت على الظلام علامة لانطفاء عزنا وحياتنا القريب ؟ !  
ثم ضعف صوتها الى درجة الهمس وكادت تعدم قواها ..

فاجهش الاغا في البكاء وقال تجري الرياح بما لا تشتهي السفن قطعوا  
الماء عنا ايضاً لكن عندنا منه مايكفيننا مع الحرص بضعة ايام ..

الماء والنور ليسا شيئاً بنسبة ماساخبرك اياه .. ان مولانا ظن بادي  
بدء ان زحف جيش سلانيك لعبة هازل فلم يتموّن مايكفي سكان القصر

بضعة ايام والآن ترين انه لا يوجد عندنا قوت يوم واحد بعد هذا المساء  
فاذا نعمل غداً ؟

فوضعت الهانم يدها على خدها واطلقت لدمعها العنان .. واذا ببعض  
الهائات دخلن عليها ولما علمن ما كان شاركنها في البكاء واجتهدن ان  
يخفين هذا عن الصغار انجال السلطان لكن الظلمة لا تخفى على ناظر فانها  
قرئت على كل وجه في السراي ..

وهكذا كان لما طلع فجر اليوم الثاني لم يبق في القصر قوت شخص  
واحد فمن اين يوثق بالاقيات والحالة تلك ثلاث مئة وخمسين نفساً من  
الحاشية السلطانية من كتبة وقرناء واورية ؟ ولثلاث مئة والسبعين نفساً  
من الحريم ؟ والمئة والستين نفساً من انجال السلطان واتباعهم ؟ والمئة  
والسبعة وعشرين من الاغوات ( الخصيان ) الحرماغاسية ؟ والثلاث مئة  
حوذي ؟ والاربع مئة وخمسين بستانياً ؟ والمئة وخمسين حاجباً ؟ والالف  
والاربع مئة وخمسين من الحرس الخاص ؟

هو لا الاربعة آلاف اقتاتوا مساء ذلك اليوم بورق اللفت الذي  
استحصلوه من حدائق الخضر وات في القصر .

باطلاً اجتهد الاغوات ان يشجعوا الهائات داخلاً وكان اشدهم قهراً  
وكدرآ = محمود = لان مولاته الخصوصية لم تذق طعاماً ذلك النهار  
بل كانت لا تفتر عن البكاء والدعاء بالفرج لمنقذ الارواح وكان الخوف  
والهلع والاضطراب والجزع مستولياً على نفوس سكان القصر اجمالاً ..  
وحدث ولا حرج فعلا الصباح واول صيحة كانت من دوائر الحريم فان  
اربع مئة تقريباً من النساء كن يصرخن متوسلات بما تنفطر من سماعه

الأكباد لانهم كن يخشين هجمات الجيش على القصر فيقعن في ايدي الجند ولم يكن رجال القصر اقل خوفاً من نسائه لانهم كانوا يخشون ان تسيل دماؤهم على شفرات السيوف .

والذي زاد الطين بلة والطنبور نعمة ان السلطان لما علم بدنوا اجل سلطته وسقوطه الرهيب وانفصاله عن ملكه دعا اليه قتاته الجر كسية التي كان مولعاً بها ويحبها حباً شديداً كما المعنا واخذ عليها ميثاقاً ان لا تزوج بعده فأغلظت له الايمان انها لا تفعل فلم يصدقها واشتد به اليأس والغيرة فاطلق عليها عياراً نارياً قتلها به فكانت هذه آخر جناياته الوحشية . . . . . ورن لها دوي في القصر ارتاعت له قلوب كافة نسائه . . هكذا = هكذا والا فلا لا . منك فلتعلم الضواري وحشيتها ايها السلطان والا فهي ليست وحوشاً . . .

وكانت التفرافات من ايام تتوالى متواردة من الولايات كلها تطلب منع السلطان لكن سعيد باشا اخفاها تفادياً من تهيج الخواطر ولما اطلع عليها المجلس العمومي برئاسة سعيد باشا رئيس مجلس الاعيان واحمد رضى بك رئيس مجلس النواب اقتنعوا على خلع السلطان ثم مراعاة لالشرع ارسلوا منهم وفداً من الاعيان لمقابلة سماحة شيخ الاسلام

فعاد الوفد ظهر النهار ومعهم شيخ الاسلام وامين الفتوى وتليت الفتوى الشرعية ووضع عليها القرار الآتي وهي حرفياً

« اذا حذف امير المؤمنين بعض مسائل شرعية مهمة من كتب الشرع المقدسة ومنع ومزق واحرق الكتب المذكورة وبذروا سرف في بيت المال بدون مسوغ شرعي وتعود ارتكاب غير ذلك من المظالم

الآخرى ثم بعد ان اقسم ان يرجع الى الصلاح حث بيمينه واصرّ على  
احداث فتن عظيمة تخل تمام الاخلال بانتظام امور المسلمين واحوالهم  
وحرض على المذابيح واذا كانت الاخبار تتوالى من جميع انحاء البلاد  
الاسلامية طالبة خلعها تخلصاً من ذلك الجور وكان في بقائه ضرر محقق  
وفي زواله صلاح ملحوظ فهل يجب اجراء ما يرجحه ارباب الحل والعقد  
واولياء الامور من الزامه بالتنازل عن السلطنة والخلافة او خلعها «الجواب  
نعم .

كتبه الفقير

السيد محمد ضياء الدين

عفي عنه

فارسل وفد الى السلطان عبد الحميد يبلغه الخلع وارسل آخر الى  
البرنس (محمد رشاد افندي) يبلغه خلع اخيه باسم المجلس الوطني  
وعرض مقام الخلافة عليه والسلطنة كما سيأتي هذا مفصلاً في محله ..

وفي تلك الاثناء دخل باشكاتب المايين جواد بك والقرين الاول  
نوري باشا وافهما مولاها السلطان ان الجيش المحاصر دنا من السراي  
واوشك ان يستولي عليها ولم يبق من سبيل للتردد وان الجنود من فرسان  
ومشاة وطويجية قد استكملوا المعدات والترتبات اللازمة وباشروا  
الحركات الحربية فارسل مأموراً من قبله لقائد الجيش يبلغه استعدادده  
للتسليم فاجابه بالايجاب ثم خرج الجيش المحافظ على السلطان الذي كان  
في السراي وجرى تسليم الاسلحة والمهمات الحربية فاحتل طابور من  
الجيش المحاصر الزاحف حديقة القصر

ودخل الوفد الذي ارسله المجلس الوطني بقرار الخلع يلنذ بدون  
ادنى معارضة من حراس القصر ومحافظيه لانهم كانوا جميعاً في ذهول وجود



من هول ما ربههم من العبر وكان معهم ثلاثة من ضباط الجاندرمة في  
سلانيك فقابلهم جواد بك كاتب السلطان فاعزوا اليه ان يبلغ مولاه  
بانهم قادمون لمفاوضته باسم المجلس الوطني ثم دخلوا الى الغرفة السلطانية  
فوجدوا السلطان مع احد ابناؤه فسألهم بنحسونة عما يريدون فاجابه الفريق  
اسعد باشا ان المجلس الوطني قرر خلع استناداً الى فتوى شيخ الاسلام  
فاكتفى بان قال بصوت أجش : ما العمل !

ثم سأله ماذا قرر المجلس بخصوصه . فاجابه ان الامة تضمن له حياته  
ففكر عبد الحميد هزيمة وقد اعتلاه الاغبار ثم الح طالباً معاملته  
بمثل ماعامل اخاه مراد

فاجابه قره صوه افندم مطمئناً واكد له انه لن يصاب بسوء  
ثم سأل اين ينوون وضعه فبلغه تقرير المجلس بارساله الى سلانيك  
فاعرب السلطان عن رغبته في سكن قصر جراغان الذي ولد فيه  
وطفق يبري نفسه من الاشتراك في تدبير الفتنة العسكرية وقال ان  
مدبريها هم بعض الجناة وانه لم يكن في وسعه ان يصنع شيئاً وان تسليم  
حامية يلدز بدون مقاومة دليل راهن على عدم رغبته في سفك الدماء  
وانه احترم الاحكام الدستورية ولم يعيث بها الى غير ذلك مما سمعه رجال  
الوفد وهم سكوت ثم انصرفوا بدون ان ينطقوا ببنة شفة ..

شاع هذا في القصر وعلا البكاء والضجيج واخصه في الحرم فكانت  
كثيرات منهن في حالة يرثى لها من الحزن واخصهن سنيه هانم التي كانت  
تنتظر ذلك كل دقيقة وقد زادها هماً قتل الشابة الجر كسية التي لم تعلم له سبباً  
سوى يأس السلطان واضطرابه الدماغى العصبي اذ كانت تعتذر عنه لطيفة

قلبها فاعلمي عليها مرات وقد التجأ الى غرفتها محمود آغا وهو لا يتجاسر ان يكلمها بكلمة لشدة ما اعتراه من الاضطراب .. والتجأ كل الاغوات والخدم الى دوائر الحريم لكنهم أمروا بالخروج .  
فخرج سكان يلدز على الصورة الآتية ..

اولا - رؤساء المأمورين والكتاب والقرناء وحملة البنادق فسيقوا الى حانوت بالموجي .

ثم الاغوات ما خلا محمود آغا ونجيت آغا اللذين لجأا الى سنيه هانم فارسل بعضهم الى سراي طوب قبو والآخرين الى المعسكر .  
وخرج بعدهم سائر مستخدمي يلدز وسيقوا الى الاماكن التي اعد لها الجيش لهم .

وكانت قد اعدت العجلات لركوب النساء اللواتي لم يكن شاهدن طرقات العاصمة من سنوات فاخرجن من الباب المقابل لاورته كوي .  
وسير بهن الى سراي جراغان ومنها الى سراي طوب قبو .  
ونقل الامراء والاميرات الى قصر جراغان مؤقتا وهو القصر الذي قضى فيه السلطان مراد خمس وعشرين سنة في اسوأ حال .

## الفصل التاسع عشر

« عبد الحميد - غاب ووداع »

ليلة الاربعاء الثامن والعشرين من شهر نيسان تحرك في محطة الاستانة قطار خاص يقبل سلطان الامس عبد الحميد الى الآتيني في سلانيك وهو مؤلف من قاطرة وعجلتين .

وكانت الناس بالالوف على الارصفة وفي الشبايبك وعلى الماشي .  
 منهم فرح وشامت . ومنهم حزين وبالك . ومنهم مذهول قد اعتراه الجمود  
 وكان على رؤوس الجميع الطير وكلهم يقول « الباقي هو الله لا اله الا الله  
 هو صاحب الملك وحده ولا شريك له » اين من كان بالامس مهاب  
 الشوكة مرعي الجانب يخاف بطشه العالم العثماني وترتعب لذكره البلدان  
 اين صاحب الزهو والعظمة والفخامة ؟ اين صاحب الملايين ؟ ذهب وصار  
 في خبر كان فنحسبه ساوى سلفاه الكرام

وظهر بين تلك الجماهير قوم يعضون البنان كيداً وغیظاً من الطاغية  
 مهلك الامة - هادم البلدان « عبد الحميد » فرشقوه بانظار حداد ورمى  
 اليه احدهم وهو شاب مهاب بهذا « الوداع والعتاب »

الله اكبر فالظلام قد علموا \* لاي منقلب يفضي الألى ظلموا  
 لقد هوى اليوم صرح الظلم وانتقضت \* اركانه وتولت اهله النقم  
 وحصحص الحق في عز وفي ظفر \* يحفه خادماه السيف والقلم  
 ثارت له عصبه كانت مشردة \* وقد تهددها الارهاق والعدم  
 من كل اروع في حيزومه حق \* في نفسه عزة في انفه شمم  
 عبد الحميد استمع منهم مناقشة \* فطالما صبروا بل طالما كظموا

. . . . .

غادرت امتك المنكود طالعها \* تفص مقلتها ان عدت الامم  
 اطلقت فيها سيوف الغادرين وقد \* كانت مجبلك بعد الله تعظم  
 الله الله ياراعي القطيع فقد \* لاقى مصارعها في رعيك النغم  
 حملتنا ما تنو الراسيات به \* كيف الصنيع وانت الحصم والحكم  
 فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا \* وكم دعونا وحظ الدعوة الصمم

ولي نعمتنا قل لي اما بطلات \* تلك الولاية لما ضاعت النعم  
فلو رفقت امير المؤمنين بنا \* ما كان انفت مصدر وسال دم

. . . . .

محافظ الحرمين اعدل فهل امنت \* في ظلك الكعبة الزهراء والحرم  
ام حيج حجاج بيت الله في دعة \* بدون ان يرهقوا فيه ويهتضموا  
وليته (١) فاسقاً لم يرع حرمة من \* في ذمة الله ضاعت عنده الذم  
كم استجاروا عليه فازدريت بهم \* ان لم تكن ناقماً فالله متقم  
رب الهلال اجب هل كنت تمنحه \* ما اعتاد من نصرات ذلك العلم  
ماذا فعلت باحرار البلاد وما \* جنوا على الدين والدنيا او اجترموا  
حتى قسمتهم شطرين فازدحت \* على جسومهم الحيتان والرخم  
مزقت شملهم في كل ناحية \* فارغموك بحول الله والتأمو

. . . . .

ويا سلالة عثمان اما اتصلت \* منه اليك الصفات الفر والمهم  
اين الغطاريف ارباب العزائم من \* اسلافك الصيد من بالعدل قد عظموا  
شادوا لك العزة القساء من قدم \* فجئت تهدم ماشادوا وما رسموا  
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة \* وفي زمانك لاسيف ولا قلم  
حصدت ما زرعو افرقت ما جمعوا \* هدمت ما رفعا بعثرت ما نظموا  
ملكنا فرأينا منك طاغية \* لم يدر ندأ له المشهود والقدم  
نيرون عندك او فرعون قد غفرت \* زلاته واستحبت شاهها العجم  
قد اخترعت ضرراً بالمظالم والتسكيل . . . ما فطنوا فيها ولا حلموا

. . . . .



خيفة الله قد خالفت ماأمرت \* به الشريعة والتنزيل والكلم  
 وسيرة الخلفاء الراشدين بها \* خير المواعظ للظلام لو فهموا  
 ركبت مركب جور ليس يقبله \* ممن يخلفه في قومه الصنم  
 دمرت بيتك يا هذا فانت اذن \* عدو نفسك اذ قد مسك الله  
 حشدت زمرة غدارين كم سفكوا \* واستزفوا ثم لا قيدوا ولا غرموا  
 المخلصون تولوا منك وانهزموا \* والحائنون على ابوابك ازدحموا  
 اسرفت في نهب بيت المال فاستلبت \* منه الخواسيس ماشاؤا وما غنموا  
 عصابة ثقلت في الناس وطأتهم \* صموا عن الحق في اغراضهم وعموا  
 اخترتهم اختيار المرء شاهده \* ياليتهم رفقوا بالخلق او رحموا  
 خانوك لما راؤا منك الحيانة في \* بنيك والمرء موسوم كما يسم

. . . . .

جئت آلك حتى بعضهم هلكوا \* كأنما لم تكن قربي ولا رحم  
 حاولت اطفاء نور الحق وهو لظى \* تنور افواهه ان سد منه فم  
 طال الزمان على جور تعالجه \* وعيل مبر الوري واستحوذ السأم  
 ضيقت دارتهم في الارض فالتسعت \* والمرء مستبسل ان عضه الالم  
 قد جمع الظلم منهم كل مفترق \* وشدما استروا في الامر واكتموا  
 وكلما نام عنهم رهطك انبعثوا \* يدبرون وان لاحظهم جثموا  
 وعندما اكملت للوثب عدتهم \* توكلوا واستخاروا بالذي عزموا  
 سلوا عليك سيوف العدل مرهفة \* كأنما شهب في الافق او رجم  
 شقوا بها في جلايب الدجي شققا \* بشت له الارض وانجابت به الظلم  
 وطالبوك بحق كنت هاضمه \* وحاكوك الى البتار واختصموا  
 فادوا بارواحهم حبا بامتهم \* فلتحي تلك السجايا الفر والشيم

قد كان ما كان والرحمان ناصرنا \* فالعدل منتصر والجور منهزم  
 دبرت فتنة سوء تستعيد بها \* من مجدك الباطل القرار ما هدموا  
 مجد كبير طوته ظلمة كثفت \* ثم انجلى فاذا ما تحتها ورم  
 كروا بعزيمة حرّ جاء منتصراً \* لنفسه واستباحوا منك ما احترموا  
 فانزلوك عن العرش الرفيع وما \* كانوا يريدونها لكنهم رغبوا  
 تآبى الشريعة ان تبيحك حافظها \* وابت بالقدر والاغواء - متهم  
 فاليوم تعلم عقبى من يخون ومن \* يطغى وتندم اذ لا ينفع الندم  
 هبطت من قمة الابداح منحدرأ \* كصخرة حطها من شاهق عرم

. . . . .

فني هبوطك عاد الملك مرتفعاً \* وفي هلاكك كل الخلق قد ساموا  
 كانت باقبالك الاقدار عابسة \* فاصبحت بعدما ادبرت تبسم

## الفصل العشرون

( بقي السلطان المخلوع )

انما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت  
 انما الدنيا كبيت نسجه العنكبوت

ركب ذلك المنفي التعميس القطار وكانت سرية من الجند الفاتح محتلة  
 المحطة احتلالاً عسكرياً مع احدى عشر من خواص نسائه منهن سنيه  
 هانم صاحبة العز والاكرام وقد استولى عليها اليأس الشديد . ونجلاه  
 واثان من الحصيان وهما محمود ونجيت وبعض الخدم . وكان الانحطاط  
 بادياً في وجهه والتأثر آخذاً منه كل مأخذ .

وصل السلطان عبد الحميد الى سلاويك الساعة ١٠ من مساء الاربعاء  
 الواقع في ١٥ و ٢٨ نيسان وكانت تبدو عليه دلائل الجزع والكتابة ولم  
 يكن في المحطة احد سوى الضباط من حزب تركيا الفتاة وكان السكوت  
 سائداً في ذلك الموقف الرهيب . ولما خرج من المركبة حياً الحضور فردّ  
 الضباط والعسكر التحية العسكرية فعرض عليه ان يركب السيارة التي كان  
 ارسلها الجنرال دي روبيليان باشا الطلياني قائد الجندرية في الرومي . فأبى  
 موثراً الركوب في عجلة من عجلات الاجرة وركبت معه اثنتان من  
 نسائه احدهما سنيه ونجله الصغير وعمره لا يتجاوز السنة في حضن والدته .  
 وركبت بقية البطانة في العجلات الباقية وعددها ٣٠ بخفارة رجال الجندرية  
 من مشاة وفرسان الى قصر ( فيلا ) الاتيني وهي بناية واسعة ذات ثلاث  
 طبقات خارج سلاويك كان يسكنها القائد روبيليان باشا فخلاها عاجلاً  
 بايعاز الحكومة .

ولما وصل السلطان المخلوع الى باب القصر كانت الساعة ١١ وكان  
 هناك بانتظاره هادي باشا والي الولاية ( ١ ) وقومندان الفيلق الثالث  
 وكان قد عاد الى السلطان روعه واطمان باله فكلم الحضور بلطف وامتدح  
 من سلاويك معجباً بتقدمها ونجاحها في طريق التمدن والوطنية الصادقة الحقّة .  
 لكنه ما عثم ان عاد اليه جزعه فكرر رجاءه بان تكون حياته مضمونة .  
 فبذل هادي باشا وفتحي بك جهدهما لتطمين باله .

وعند منتصف الليل ارسل نزل يستاذني الطعام . على ان عبد الحميد  
 جاء بطاهية خاصة من يلسز وهي التي ستهي له الطعام من الان وصاعداً

وقد بقي هادي باشا طول الليل في « فيلا لاتيبي » وفي صباح ٢٩ منه كانت  
فصيلة من الجندرمة بامرة فتحي بك لم تزل محيطة بالدار فتمنع الاهالي من  
الجلولان حوالها ٠٠٠

فقلت الهاشم لمحمود - انظر يا آغا كيف صار المالك مملوكاً والسيد  
مقيداً . فاجابها بتأوه عميق - يوم لك ويوم عليك . هي الدنيا ليس لها ثبوت  
فاغرورقت عينها بالدموع وقالت : اين انت . اينها الاستانة . اين  
انتن . اينها الاميرات . اين انت . اينها العظمة . صرنا في الاسر والهوان  
فلا خير في الدنيا ومن فيها بعد الآن . ٠٠٠ ارجو ان هذه الذلة لا تكون  
شديدة الوطأة على حياة مولانا وصحته فاني اخشى عليه كثيراً وسابذل  
جهدي مع رفيقائي في تسليته وتمزيته ٠٠٠

- بورك فيك يا ستي وادامك الله . هذا ما يُنتظر منك الان  
- هي واجباتي المقدسة واني ساسعى اليها لكن يزيد كدري هو لا .  
الاهالي الذين يطوفون حول المنطقة العسكرية مظهرين العدا . لسجين  
القصر . ويقىمون الافراح احتفالاً بالسلطان الجديد . لكن هي الاحوال  
هكذا اذا وقعت الفريسة كثرت السكاكين .

- هداي روعك واصبري على حكم الله فان الله مع الصابرين . غداً  
تأتيني الاخبار عن اسطانبول والسلطان الجديد وما تم من الاحتفالات .  
آه . فساخبرك كل شي . بالتفصيل ونتأسى بالصبر الجميل الى ان يأتي الله  
امراً كان مفعولاً ٠٠٠

- قد اتى وخلص . ومن اين تأتيك الاخبار . هل لك ثقة كافية  
باصدقائك وهل تظنهم يثبتون على ولائك .  
خير اخوانك المشاركون في المرح \* واين الشريك في المرح ايناً



انت في معشر اذا غبت عنهم \* بدلوا كل ما يزينك شينا  
 ما ارى للانام ودأ صحيحاً \* صار كل الوداد زوراً ومينا  
 فهل تغفل انه يوجد من كل اصدقاء مولانا وغرس نعمته ومن كانوا  
 يتواترون بالتعليق والاطراء والتعظيم الينا ويعيشون بنعمتنا ويا كلون من  
 خيرنا من يذكرنا بخير الان؟ لا لعمرى . الناس مع الواقف يا محمود  
 وكلهم اعداء المقهور .

- هذا صحيح يا مولاتي لكني وعدتهم - وسأفي بوعدي - بان  
 اجزيهم ببعض ما عندي من سابق انعام مولاي علي والدرهم يفعل العجائب  
 - فاغرورقت عينها بالدموع وقالت - اكثر خيراتنا إلا ما قل  
 باقية في يلدز حتى وثياب مولانا ايضاً . . . . ساقونا كالغنم بدون ان نعتم  
 فرصة لجمع موجوداتنا فها هي اكثرها لهم غنيمة باردة .

- الرزق على الله لا تياسي من رحمة الله  
 - لا اله الا الله . ثم ضحكت مغتصبة وقالت الاصل السلامة .  
 السلامة غنيمة . آه . ثم اردفت بما معناه :

ومعيشة بالذل لا نرضى بها \* ففهمم بالغز اخضر منزل

## الفصل الحادي والعشرون

- تصيب الخليفة الجريد - \*

جلس سلطان الامس عبد الحميد افندي احد الاصباح يقرأ رسالة  
 سرية حملها له البريد مطالعها : « من صديق معلوم لديك مجهول نفيرك لا  
 يزال مثابراً على وداك محافظاً على ولانك واظني الفرد الاوحد في

الاستانة الذي لا يزال يحنُّ اليك ويشتاق اليك . وقد عاهدت نفسي ان لا اترك مراسلتك ومخابرتك بل اخبرك بكل ما يجد ويصير بالحرف الواحد كأنك تشاهده بعينك لتسلى في وحدتك وتقطع اوقات ظلمتك

كانت الزينة عظيمة في الاستانة فقد زينت الشوارع بالليارق والاعلام الكثيرة وكذلك زينت السفن في الميناء اعظم زينة ووقفت الاحكام العرفية ذلك النهار والذي بعده ليسهل على الناس القيام بمظاهر الفرح والسرور وكانت زينات المساء اعظم من افراح النهار وقد سموا هذا النهار « البشرى السعيدة والعيد المجيد في تنصيب الخليفة الجديد »

علمتم سابقاً مني بان المجلس الوطني ارسل وفداً يعلن للبرنس - محمد رشاد افندي - خلع اخيه السلطان عبد الحميد ويعرض عليه العرش ومقام الخلافة العظمى وقد طير البرق هذه الاخبار وزينت فيها اعمدة الصحافة - التي لا اعلم اذا كانت تصل اليك فساخبرك بها حرفياً نقلاً عن الجرائد وحسب مرأى العين الذي شاهدته بنفسى

سبق الوفد مبشراً - حبيب بك يصحبه احد الضباط - وشرطي - ركب عجلة اعتيادية الى بشكطاش قاصداً محل الامير محمد رشاد حيث يسكن في آخر قصر من سلسلة قصور طولسه بفجعه فدخل حبيب بك الردهة وابلغ سمو الامير قرار المجلس الوطني بتوليته عرش السلطنة وذكر له بانه سيأتي وفد خاص ليذهب به الى نظارة الحربية حيث ينادى به سلطاناً ثم اوصى المندوب الامير بان يكون رابط الجاش في هذا الحادث الجلل فاجابه سموه ..

- اقم كنت رابط الجاش ثلاثاً وثلاثين سنة وكنت كل هذه المدة اصوغ الاماني لاسعاد الامة ونجاتها فاذا كانت راغبة في فاني راض.

بان اخذها مع العرفان بالجميل وعنايتي ستكون وفقاً للاحكام الدينية  
والدستورية ولست احيد مقدار ذرة عن رغائب الامة ومتمنياتها واني احسب  
نفسي سعيداً اذا اتاح لي الله النجاح " ثم تداولوا بخصوص الوفد وقال  
- " ارغب بعد رجوعي من نظارة الحربية ان ازور الخرقة النبوية  
الشريفة في السراي القديم "

ولما كان اعضاء المجلس الوطني يتباحثون في كيفية نقل ازمة السلطنة  
من يد عبد الحميد الى يد جلالة محمد رشاد قال الفريق سامي باشا (١) من  
اعضاء مجلس الاعيان وقد كان قبلاً ناظر للضباطة وهو " العربي الفاروقي "  
- ان السلطان محمد الثاني افتتح القسطنطينية وان هذه المدينة قد افتتحت اليوم  
المرّة الثانية ولذلك ارى ان يسمى السلطان الجديد ( محمد الخامس )  
فوقع هذا الرأي موقع الاستحسان

ثم ركب اعضاء المجلس العمومي - العجلات بعد ان اعادوا القوتى  
وقوفاً وقرروا الخلع وذهبوا الى نظارة الحربية وكانت مدافع البطارية  
على جانبي الطريق - لمدخل ميدان اياصوفيا - متأهبة لاطلاق قذائفها  
حين المناداة بالسلطان الجديد وكان امام نظارة الحربية مشهد رائع حيث  
كانت الجنود المكدونية المتطوعة مع ضباط المكتب الحربي من فرسان  
ومشاة الخ جيش عظيم في وسط شعار كبير كتب عليه باحرف كبيرة  
الكلمات الاربع الدستورية

" حرية : مساواة : اخاء : عدالة : "

ولما وصلوا وقفوا عند الباب الكبير يتحادثون مع نيازي بك ثم صعدوا  
الى الطابق العلوي مع فريق من الضباط وبينما هم ينتظرون جاءهم ضابط

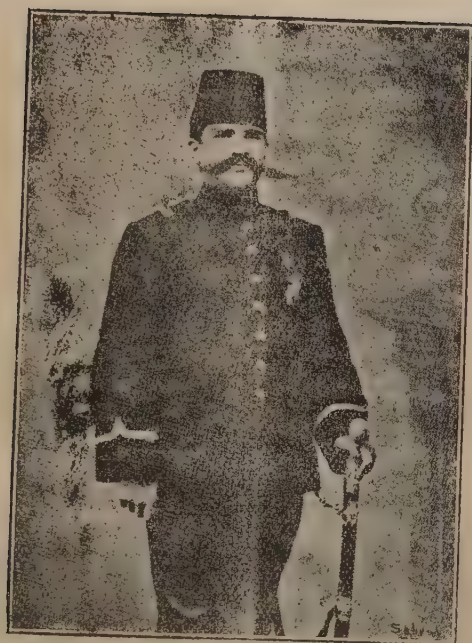
خبراً بان اليخت السلطاني اقلع من رصيف طوليه بفجة وبعد نصف ساعة  
بشرت الابواق بوصول جلالة السلطان الجديد

اقبل اليخت السلطاني من جهة بشكطاش على اسكلة سر كجي وهناك  
ركب جلالة السلطان عربته الفاخرة بين هتاف العساكر والاهلين وقد  
اصطفت فرق العساكر على حافتي الطريق من قصره الى نظارة الحربية  
تتقدمه كوكبة من فرسان مكتب الحربية على ظهور الخيل الجياد ويحف  
به الامراء العسكريون والحواشي والخدم الخاصة وركب عن يساره في  
العربة احمد مختار باشا الغازي وسارت المركبة من الاسكلة المذكورة  
بالمحفل الحافل الى نظارة الحربية حيث جرى رسم البيعة على الصورة الآتية  
وصل السلطان بموكبه الحافل الى نظارة الحربية الساعة ثمانية ونصف  
من نهار الثلاثة ٧ ربيع سنة ١٣٢٧ وفي ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ الذي هو  
مبدأ سعادة الامة العثمانية الحرة

فاستقبله في مدخل الباحة البطل المشهور زعيم الحرية والدستور نيازي  
بك قائد طابور رسنه فكان جلالتة حفظه الله مبتهجا مسرورا بجيوشه  
ورعيته التي دعت له لمقام السلطنة واعتمدته مليكاً لها وسلطاناً عليها وفي اثناء  
ذلك علت الاصوات بالدعاء لجلالتة وتنفس الناس الصعداء لخلاصهم من  
ايدي الاستعباد واستئصال جرائمه فصعد ايده الله الدرج الذي كان  
يتنظره في منتصفها رئيسا مجلس الاعيان والمبعوثان واذا ذلك دوى فضاء  
الدائرة بتصفيق الضباط والامراء العسكريين - حماة الملك والدستور  
واعلنوا سرورهم بتشريف ساطنهم الجديد ومنها ذهب توا الى القاعة  
الملكية فاستوى على عرش السلطنة العثمانية وبعد ان استراح برهة تقدم







نيازي بك

امين الفتوى وتلادعاءً بليغاً آمن عليه الخليفة والحاضرون فقال مرتجلاً  
 « اني مبتهج بما لاقيته من حسن القبول واقتخر باني اول ملك في عهد  
 الحرية الحقّة ومن يأتي بعدي سيكون الثاني لها »

ولما تم كلامه تقدم الشريف حيدر بك عميد اعضاء مجلس الاعيان  
 فبايع الخليفة على سنة الخلفاء الراشدين بالمصافحة الاسلامية ( لا بلمم الراحة  
 او تقبيل الذيل على العوائد المرعية في الدور البائد ) ثم تلاه الصدر الاعظم  
 توفيق باشا فشيخ الاسلام فقيب الاشراف ثم بعدهم رئيسا الاعيان  
 والمبعوثان ثم الاعيان والمبعوثون والامراء والضباط العسكريون منهم  
 المرحوم رديف بك الفاروقي الباسل المشهور الذي اشتهر بشجاعته وحماسة  
 وكانت والدته تجتهد ان تحبته وقت الفتنة خشية عليه لانه وحيدها فكان  
 يقنعها بلطف ويندفع كالسيل في طريق الواجب

وهكذا اناس بعد آخرين والموسيقى تعزف الانغام الوطنية الشهية  
 وافراد الجند الباسل حول الدائرة واقفون يزيدون الموكب هبة ووقاراً  
 فكانت ساعة جمعت انواع الكمال وتجلت بالبهجة والالجلال اجتمع فيها  
 ابطال الدور الجديد ووكلاء الامة الحرة وجندها الباسل والكل فرحون  
 يجلس ملكهم الجديد اول ملك في عهد الدستورية  
 ولما تم رسم البيعة نهض جلالة الخليفة ايده الله وقال مخاطباً من حوله  
 من الكرام

« ان آمالي هي سعادة الدولة والامة فاشكر الامة وهيئة الاعيان  
 والمبعوثين والوكلاء » ثم عاد جلالة السلطان الى سراي طوب قبو الساعة  
 التاسعة والنصف وكان الى جانبه المشير احمد مختار باشا الغازي والى جانبي  
 العجلة الفريق علي رضا باشا قومندان آلاي المدفعية في الفيلق نفسه

وكان يخفر الموكب السلطاني فصيلة من فرسان الفيلق الثاني  
ولما وصل جلالتة الى امام الباب الكبير المسمى ( دار السعادة )  
نزل من العجلة وتبعه اصحاب السمو الامراء نجم الدين افندي وضياء الدين  
افندي وعمر حلمي افندي ثم المشير احمد مختار باشا ثم اصهار السلطان  
ذو الكفل باشا ومحمد شريف باشا ثم علي باشا ناظر الضبطية وغيرهم كثيرون  
وبعد اداء صلاة العصر توجه جلالتة لتقبل الحقة الشريفة في السراي  
القديمة وفتح بيديه صندوقها وتلا ادعية موجزة بينما كان احد الحفظة ينلو  
سورة القشح وبعد ذلك عاد جلالتة من السراي القديمة براً وكانت الساعة  
١١ عربية

وخرج الموكب الشاهاني من باب صغو جشمه الى سككه جي فبنججه  
قبو ثم اجتاز جسر قرى كوى الى قصر بشككاش  
وكان جلالتة لما وصل الى السراي القديمة وحيا موظفيها قال لهم -  
( هذه ارادة الله )

ثم قال بعد ذلك - ( سأتكن من خدمة الامة من الآن فصاعداً  
ان شاء الله )

وجلالتة يرغب الإقامة في سرايته المذكورة دون ان ينتقل الى  
يلنيز او غيرها

~~~~~  
﴿ حفلة السلامك ﴾

اظنك ياسلطان الامس تذكر كثيراً هذه الحفلة الفخيمة والموكب
الحافل ولا تنساه مدى الحياة ولذا اخبرك ماياقي
ادى جلالة الخليفة صلاة الجمعة الاولى في جامع اياصوفيا والصلاة





انور بك

الثانية في جامع والده السلطان بالقرب من سراي طوليه بفجبه فاصطفت
العساكر على الطريق وركب امام جلالة الغازي مختار باشا وحدث ولا
خرج عن ذلك الاحتفال والابتهاج وبعد انتهاء الحفلة ذهب جلالتـه الى
قصره العالي فالتحق بجلالته كبار مأموري المايين وانجال جلالتـه وبقي فيه
الى المساء وعاد متأخرآ الى قصره

وهنا اخبرك عن احسانه الى نيازى بك: سأل احد محرري صباح بطل
الحرية نيازى بك عن الالتفات الذي ناله من جلالة السلطان - محمدخان -
فاجابه - نعم ان صفاء قلب الحضرة السلطانية على سيمائها وقد اعطتني يديها
فتبعتها واثنت على خدمتي الحقيمة ثم اخذني انجال جلالة السلطان الى
جانبيه ولما ركبت الباخرة كان بين يدي الحضرة السلطانية الغازي مختار
باشا فتفضل جلالة السلطان الاعظم وخاطبني بقوله

(اعلم انك لا تقبل الدراهم ولكن التذكار يقبل) ثم اخرج ساعته
واعطاني اياها وانني اتباعاً لاصول التربية التي تجب امام سلطان عظيم فقد
اخذتها واديت واجب الشكر

ويقول محرر الصباح ان الساعة السلطانية هي ذهبية ذات غطائين
وقيمتها من ٣٠ الى ٣٥ ليرة ولها سلسلة ذهبية ايضاً

وقد ذهب الامير آلاي غالب بك مقش البوليس الى السراي
السلطانية يوم الجلوس فاستدعاه جلالة السلطان وقال له

(ليس قصدي الملك ولكن حسن الخدمة للدولة والامة وان من
الادلة على نيتي هذه رغبة الامة في وهي التي تجمعاني اميناً على توالي
التوفيقات الربانية والسعادة) ثم امر جلالتـه بنزهة سلطانية فخرج الساعة
الخامسة ونصف من يوم الاحد الماضي وفي معيته رئيس الفرسان ورئيس

الكتاب ورئيس الحجاب وشرف الى قصره في مزرعة بالوحي فقضى
نهاره بالنزهة ثم عاد

وقد احسن جلالة السلطان المعظم على نجليه صاحبي الدولة والنجابة
محمد نجم الدين افندي وعمر حلمي افندي بوسامي العثماني والمجدي من
الطبقة الاولى وسمح بالتنازل عن خمسة آلاف ليرة من راتبه الشهري
فاصبح عشرين الف ليرة وهي مكرمة كبرى

وقد قال لناظر الداخلية الجديد فريد باشا اذ تشرف بالمشول لديه
ونال التفاته (يجب علينا بعد الان ان نسمى بتثبيت الامن وتوطيد رفاه
البلاد وتمكين الادارة الدستورية وتحكيمها ويجب علينا ان نجتهد جميعاً
بيد واحدة وانه ليس لي امل ورغبة سوى هذا)

ها قد كتبت لك مآظهر للعيان وتناقضه ارباب الصحافة وتداولته
الاسن حرقاً لتكون على بيان وغداً تأتيك رسالة اخرى والسلام

الفصل الثاني والعشرون

← ندامه الكسى كنوز بلديز →

فتأوه عبد الحميد من كبده حرى وقال بعد ان طوى الرسالة ندمت
ولات ساعة مندم . الندم بعد النوت امر من الموت ما كان اغنائي عن هذه
الذلة والاسر في هذا القصر الصغير والقرية الحائرة بعد عزتي وسلطاني
وفخامتي وجلالي لو اقتضت في الحالة الحاضرة من الحكم الدستوري
وسلمت لما قضاه الله علي وقد وعشت ملكاً دستورياً عاقلاً حكيماً معطياً
لابساً لكل حالة لبوسها متبعاً الاية « اذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون »

ولم أخطب خط عشواء واسفك هاتيك الدماء واحرق المدن والقرى
والمساكن وابذل الذهب الكثير في هذا المسلك الوخيم فحروني وخطوني
من اوج العلى والفخار الى جحيم الذلة والحقارة والهوان كصخر حطه السيل
من عل فاتني قصائد الوداع والعتاب تندد بي التنديد المر وتكشف
عيوبي وتذكر خطوبي الحميدة وما اورثت البلاد وسيت للعباد من الويلات
المتابعة والآن ارى هذه الرسالة التي هي مرآة نفسي والذل الذي انا فيه
وحقيقة خلفي والدور المجيد الذي صار اليه

واأسفاه لم استفد شيئاً من بذلي النضار الا ما انا عليه الان -البؤس
والهوان- خلني عن ملكي وسجني . هذه ارواح شهداء ظلمي وسيف نفعتي .
هذه دماءهم من الارض تتطلب الانتقام مني . هذا دعاء الايتام الذين
شدتهم في البراري والقفار نفذ الان ببدل في ثم علاه الاحمرار
قليلاً وقال : وما ذنب سريتي وحييتي ومحظيتي الجر كسية الفتانة التي بعد
ان اخذت عليها اليهود والمواثق بانها لا تتزوج بعدي عند انفصالي عنها
في يلدز اطلقت عليها ناري وقتلتها بيدي شر قتلة ورأيت روحها تفيض
امامي ناظرة الي بعين دامية كأنها تعاتبني وتوجني وتودعني . ألم تكن
فاتتي وقد تمتعت بحبها الايام الكثيرة لخازيتها جزاء سنار وكنت واقفاً
امامها كالوحش الضاري كأنني اتم امرأ مقدساً حتى صارت امامي جثة
هامدة ؟ آه ثم ترقق الدمع في عينيه وقال : كم أطلب بدماء
وشهداء يوم الحشر الموعود ؟ ويلى من حر الوعيد

وبعد ان صمت برهة ونظر الى حواليه كمن مسته جنة . عاد فقال :-
« علوت مكاني وجلست على سدي وخلافتي يا (رشاد) وتنازلت
عن كثير من حقوقك . وخفضت راتبك حتى وصلت الى ربع ما كنت

آخذه انا فاعجبت الدولة وكبارها . . . وقيدتهم بسياستك هذه لامرك .
 وقيدوك ايضاً وصرت ملكاً معظماً بعد ان ذقت مرارة السجن ثلاثين سنة
 ونيف اتى يومك وذهب يومي . اشرقت شمسك . وأفلت شمسي
 انتهى سجنك وابتدأ سجنى " ثم حرق الارم وصر على اسنانه وارغى
 وازبد وضرب بكفه زلاج النافذة فكاد يكسره ثم اخذه الصداق فقضى
 يومه بالخوف والالام المزعجة . تتناوبه الهزات العصبية .

في الصباح الثاني دخل عليه الآغا يحمل رسالة فاخذها بلهفة ويد مرتجفة
 وأومأ له بالخروج . فاذا هي من الاستانة تسطير تلك اليد تنمة الرسالة
 الاولى يقول في مطلعها :

بعد السلام . اسودت قلوبنا لفراقكم ولا نزال في كدر متزايد . .
 كتبت لكم سابقاً عن الاحتفالات التي اقيمت للخليفة الجديد - والابنة
 العظيمة للملك السعيد والآن اكتب لكم ان الملك المعظم تبرع باملاك
 التاج التي تقدر بعشرة ملايين ليرة للخزينة المالية . فادهش القوم بكمارمه
 واستعفى عن السكن في يلدز . ووهب اثاثها للخزينة ايضاً . وحضر شيخ
 الطريقة المولوية فسك سيف جده عثمان . وقلده اياه بين مظاهر الحماس
 الشديد في ١٠ الجاري في جامع ايوب بفخامة واحتفال عظيم . ولا حاجة
 ان اصف لكم الاستانة في ذلك اليوم ولا ذلك الموكب الحافل الفخم .
 سبحان من يغير ولا يتغير .

ولا شك ان الذي يكدركم اكثر هو ما ظهر في يلدز من الكنوز
 بعدكم التي استولت عليها الدولة . فالظاهر انكم لم تتمكنوا ان تأخذوا معكم
 شيئاً من كنوزكم وهي مما يدهش الاسماع ادرجها لكم كما هي وان كنتم

لا تجهلونها بل تعرفونها واحدة واحدة .

وجدوا في يلديز مبلغ ٤٥٦ الف ليرة . ووجدوا فوق ذلك اوراقاً نقدية بقيمة ٤٠ الف ليرة . ثم فتحوا غرفة تُسمى (الغرفة الحجرية) التي ابوابها من الحديد المصقّ فوجدوا فيها صندوقين من الحديد ملائين من الليرات العثمانية فارسلوا الى نظارة الحربية . ووجدوا فيها صندوقة صغيرة فلم يعبأوا بها اولاً ثم انتبه اليها حازم بك امين الشهر وفتحها فوجدها ذات خمسة قاطير وكل قطر منها ملاّن بالحجارة الكريمة ذات القيمة الغالية من الزمرد والياقوت واللؤلؤ والاملاس بعضها ممتزج ببعض واكثرها اصفر وهذا النوع نادر الوجود غالي الثمن فلم تستطع اللجنة تقدير الاثمان ولكن العارفين يقولون ان اصغر انواع تلك الحجارة الكريمة يساوي مليونين ونصف مليون ليرة وجدوا في احدى صندوقي الحديد حقبة من الجلد ملاّتي بالحجارة الكريمة وقد ظن البعض انهم لما رأيتهم الجنود دخلوا يلديز وضعت تلك الحجارة الكريمة في الحقبة لتحملوها فلم تتمكنوا .

فصاح عبد الحميد نعم - آه نعم ورثوني وسلبوني ولم اتمكن من اخذ شيء من كنوزي التي حصلتها وخبأتها لي ولاولادي . ثم فاضت عيناه بالدموع وبقي برهة قبل ان يستطيع اكمال الرسالة ثم اكمل ما يأتي :

« وجدوا في الغرفة الحجرية عصياً مرصعة بالاملاس وعلباً من الفضة والذهب ووجدوا غرفة تسمى غرفة (النجارة) وفيها آلاف من العدد والآلات الثمينة وأمن اسنان الفيلة (العاج) . ووجدوا في غرفكم الخاصة كل ادوات الكتابة واكثر انواع السلاح ووجدوا في خزائنهم مسدسات ووجدوا ستة آلاف مفتاح سري لم يعرف احد استعمالها ووجدوا في كل غرفة كنتم تنامون فيها سريرين احدهما فخيم كبير والاخر حقير كاسرة

المرضى في المستشفيات فقدروا انكم كنتم تنامون في السرير الحثير اخفاء
لامركم .

ووجدوا ايضا في الغرفة الحجرية صندوقاً ثالثاً صعب فتحه فلم يُعرف
ما فيه حتى الآن . ورجحوا انهم سيعثرون على مخايب عديدة وكنوز ثمينة .
ووجدوا في غرفة كمية من افلام السيكرات قدروا اثنائها بالوف
من الليرات .

ثم وجدوا انكم حفظتم جميع الاوراق التي ارسلت اليكم مدة حكمكم
الطويل فلم تضع منها ورقة واحدة وقالوا انه يلزم لفرزها وتلاوتها وترتيبها
خمسون شخصاً يصرفون في ذلك سنة كاملة على الاقل . وبين هذه الاوراق
كل التقارير التي كُتبت لكم وكل الاوراق السياسية وهي ذات اهمية كبرى
ووجدوا عدة ايكاس من القטיפه والحريد ملائى بالذهب ومجموع ما
فيها ١٢٠ الف ليرة ووجدوا مبالغ اخرى كهذه في صناديق عديدة كسروا
اقفالها ووجدوا مسبحة من اللؤلؤ الكبير وقد علقت عليها ورقة بقيمتها
٧٤ الف ليرة عثمانية . ووجدوا دفترآ فيه مقدار المبالغ التي اودعت لكم في
البنوكه تبلغ نحواً من مليون ليرة لم يجدوا بعد سنداتها ثم وجدوا صندوقاً
فيه اوراق مالية بقيمة تسعين الف ليرة .

ووجدوا نفائس الكتب القديمة في مكتبة القصر التي تُعد اليوم من
انفس الذخائر الغالية فنقلوا عربات منها الى نظارة الحربية .

ووجدوا صندوقين كبيرين فيهما نحو من خمسة عشر الف ليرة جميعها
ارباع ليرة ووجدوا فيهما مجوهرات تُقدَّر بثمانية وخمسين الف ليرة .

ثم بلغني ان هيئة التحري كسرت الصندوقين الكبيرين اللذين بقياني
الغرفة الحجرية فوجدوا فيهما ٦٤ غرشاً واوراقاً تتعلق بولي العهد يوسف



نيازي بك

عز الدين افندي والحاتم الهمايوني للسلطان عبد العزيز وليس فيها امتعة •

آه من غدرات الزمان وتقلباته - اخبركم ايضاً ما يكدركم ثانية وهو انه اجتمع احد محرري الصحف في ازмир بسعيد باشا نجل كامل باشا على ظهر الباخرة الحديدية (اسماعيلية) التي فر عليها وقد قص على المحرر اسباب الحادثه فقال

- وزعت الدراهم على الجند لايقاع حادثة ٣١ مارت سنة ٣٢٤ من قبل نجم برهان الدين افندي فاعطى للجاويش ١٥ ليرة وللانباشي عشرة ولالجندي خمسة • وكان بينه وبين الجند نادر آغا المصاحب

ثم ظهر في جيوب الذين توفوا من العساكر المتمرده (كما يسمونها) في حادته ٣٠ مارت الاخيرة ١٥ ليرة في جيب احدهم و ٢٠ في جيب الآخر و ٢٤ في جيب الثالث فكان لهم دليلاً على اليد المستبده في الحادثه واثبتوا خيانتكم وسوف اخبركم في رسالتي الثالثة عن المشانق التي تعلق في الاستانة واسماء الذين يُشتقون بسبب الخيانة اما الان فاستودعكم الله بعد ان التمس منكم • معرفة احوالكم وكيفية معيشتكم وراحتكم في منفاكم لانه يهمني كثيراً فتأكدوا حبي واخلاصي وسابق عبوديتي

الامضا

•••••

الفصل الثالث والعشرون

(اتقاع عبد الحميد • جواب الرسالة)

لم يكمل عبد الحميد افندي الاطلاع على الرسالة الاخيرة حتى رماها

جانباً وفاجأته نوبة عصبية كادت تقضي عليه ولما استفاق وقد اعياه الضعف وفارقه الجلد وجد حوله جمًّا من الذء اللواتي سمح له بهن في منفاه وقد اسرعن اليه لما بلغهن ما استولى عليه من الضعف الفجائي والغيوبة ومنهن اقبال هانم ام نجله الصغير وسنيه هانم التي اخذت تلك الرسائل حالاً واطلعت عليها لتعلم سبب انفعاله الشديد ولما اكملت ردتها الى مكانها بسرعة وقد استولى عليها الرعب وافهمت رفيقاتها بعض ما انطوت عليه فاذفرن الدموع التي كتمتها عنه ومسحنها بسرعة عند استيقاظه وجلسن امامه بالوقار والاحترام وبذلن وسعهن في تخفيف آلامه وكانت سنيه تأتيه بالاخبار المسلية والاقاصيص المضحكة والنوادر والاحاديث كأن لم يلم بها شيء ثم دخل اليه نجله منها الصغير محمولا على يد نجيت آغا فهتف للجمع وانشرح له ابوه قليلاً وقبله ثم عاد فتأوه قائلاً : لم اتمكن من اسعادكم يا اولادي بل نفعت عليكم عيشكم وحرمتكم مستقبلكم - آه - فقالت اقبال هانم ام الطفل وهي تحاول اخفاء دموعها - مولاي وجودكم كفاية ادامكم الله لا يزيد الا راحتكم وانشراحكم وطول بقاكم هذه بغيتنا والسلام

~~~~~

وبعض ساعات امتلك فيها السلطان المخلوع راحته وتفرق عنه نسائه اخذ دواته وكتب بيده جواباً لمرسله - قائلاً ( وهذه من نوادر عبد الحميد ايضاً )

« ادامك الله .. وصلتني رسائلتك . اشكر احساساتك . واصلني باخبارك وان كانت لي السم في الدسم تسألني عن حالتي فاخبرك اني كنت متفائلاً من هذا اليوم منذ سنين كما قد انبأني احد اصدقائي : المرحوم صديقكم (١) بانه بعد سنين كذا يكون يوم جلوسك وميلادك في يوم واحد يخشى



فيها عليك من حدوث امر جلل ووقوع خطر كبير فكنت انتظر اتمام ذلك النبا وتراني الان وصلت اليه

اما عن معيشتي هنا فهي معيشة رجل سجين منفي لكنها اكثر راحة من ذي قبل لانه قد زال ما في قلبي من الرعب والوسواس الذي كان يقلقني دائما خيالي في سلانيك غير حياتي في الاستانة انهض صباحا واصعد الى سطح القصر واشرف على البحر وزرقته وحركة البواخر فيه وفي المساء انظر الى مدينة سلانيك منارة بالكهرباء من نافذة غرفتي وقد اشتريت البارحة لبناً رائباً من السوق الامر الذي يدهشك ويدهشني لاستحالة صيرورته قبلاً وقصدت البارحة ان استحم فلم يعرف خدمني ان يدفنوا الحمام بالكاز ويسخنوا الماء فيه فاضطرت ان استدعي خادم الجنرال روبيلان باشا الذي كان صاحب البيت الذي انا فيه قبلي « ليعلم الخدم طريقة استعماله لكن الامر الذي كان شديد الوطأة واثقلها ظلاً علي هو يوم الجمعة فذكرت حفلة السلامك الشهيرة التي كنت ارى فيها المشيرين خدماً في ركابي والسفراء وقوفاً عند بابي فلم اسمع في قصري الذي بت سجيناً فيه غير قدم الحارس يروح ويجي ساهراً علي مراقباً حركاتي

اما من جهة يلدز وكنوزي فيها فقد ابقيتها كلها لاعدائي ليتعموا بها وحرمت منها نفسي واولادي وكله بقضاء الله وقد فمل بي الاطلاع على رسالتك والفكر بها وبجالت التي صرت اليها مرضاً عصياً كاد يقضي علي صحتي لولا رحمة الله وعناية عائلتي التي لي بها تعزية كبرى لم اكن اعرف قدرها قبل الآن

اما من جهة ابني الحبيب برهان الدين وما اشاع عنه الاعداء فهو غير

حقيقي دعهم يرجون بما شاؤوا .....

من جهة المشائق في الاستانة للمتهمين ممن كانوا من جنودي فهو بامرهم  
تعالى . الموت واحد والاسباب متنوعة لا حيلة في يدي .  
ثم اني اخبرك اني خرجت من الاستانة بلا مال على الاطلاق . ولا  
ثياب فالترم خدي ان يشتروالي من محل - ماير - ثياباً وقصائناً بقيمة  
اربعين ليرة اعطيت بها صاحب المحل تحويلاً على الحكومة لاني لا املك  
شيئاً من المال فهل كان يتصور في ذهنك اني اصل الى هذه الحال ؟

## الفصل الرابع والعشرون

( عبد الحميد في مقامه والوقائع التاريخية في دوره )

عين للسلطان المخلوع عبد الحميد الف ليرة راتباً شهرياً وعائلته  
الموجودة معه تحتوي على ١١ امرأة وولدين من اولاده وزنجين ( خصيين )  
وستة خدمة وطاهيين .

وقد كان بالامس محفوفاً بـ ٣٥٠ حاجياً و ٦٧٠ امرأة زنجية و ٦٠ اميراً  
واميرة . و ٣١٥ حوذاً و ١٢٠ خصياً و ٤٥٠ بستانياً و ٢٥٠ خادماً و ٦٠٠  
طاهياً ( طبّاخ ) و ١٤٠٠ حارس ومحفوظاً بنيف وثلاثين الفا من الجند .  
فسبحان الذي يغير ولا يتغير .

اما الوقائع التاريخية في دوره فهي كما ياتي .

جلوس عبد الحميد ٣١ آب سنة ١٨٧٦

وتمت الدول في الاستانة = ١ كانون اول سنة ١٨٧٦

الصلح مع السرب = ١ مارت سنة ١٨٧٧

اتفاق جيش رومانيا مع روسيا = ٩ آب سنة ١٨٧٧

- احتلال بلغنا = ١٠ كانون الاول سنة ١٨٧٧
- معاهدة ايا استفانوس = ١٧ مارت سنة ١٨٧٧
- موتمر برلين = ١٣ حزيران - ١٢ تموز سنة ١٨٧٨
- ترك قبرس لانكترا = ٣ تموز سنة ١٨٧٨
- الاتفاق مع اصحاب الديون سنة ١٨٨١
- الثورة في مصر واهداء عبدالحميد وساماً لمرابي باشا = حزيران سنة ١٨٨٢
- ضرب الاسطول الانكليزي للاسكندرية = ١١ تموز سنة ١٨٨٨
- احتلال الروملي من ايلول الى تشرين اول سنة ١٨٨٥
- ثورة الارمن من آب سنة ١٨٩٤ الى ١٨٩٥
- تقرير الاصلاحات في الروملي = ٢٨ نيسان سنة ١٨٩٦
- وقعة البانك العثماني = ٢٦ آب سنة ١٨٩٦
- ثورة جديدة للارمن واحتجاج الدول = ٢٦ آب سنة ١٨٩٦
- تعقبات حزب تركيا الفتاة - الجبس والنفي = ايلول سنة ١٨٩٦
- طعن الجمعية العثمانية بعبد الحميد وطلبها اعلان القانون الاساسي
- ٦ كانون اول سنة ١٨٩٦
- قبول الباب العالي لاستقلال كريت = مارت سنة ١٨٩٧
- اعلان اليونان الحرب على الدولة = ١٠ نيسان سنة ١٨٩٧
- زيارة امبراطور وامبراطورة المانيا للاستانة = تشرين اول سنة ١٨٩٨
- تقرير حزب تركيا الفتاة في حق عبد الحميد في حزيران سنة ١٩٠٠
- تشكيل لجنة الاصلاحات في مكدونيا = تموز سنة ١٩٠٢
- طلب اصلاحات متنوعة = سنة ١٩٠٣ الى ١٩٠٨
- عصيان اليمن في نيسان سنة ١٩٠٥

سوء القصد بعبد الحميد = ٢١ تموز سنة ١٩٠٥

حركة حزب تركيا الفتاة في سنة ١٩٠٨

موافقة عبد الحميد على اعلان القانون الاساسي سنة ١٩٠٨

الحادثة العسكرية في الاستانة = ١٣ نيسان

زحف الجيش الدستوري = ١٧ الى ٢٥ نيسان سنة ١٩٠٩

خلع عبد الحميد في ٢٩ نيسان سنة ١٩٠٩

## الفصل الخامس والعشرون

( هضاب الاناضول الشابة الناضرة )

ضع منظارك وانظر بعين حادة . فتش ودقق بين هاتيك الهضاب  
والوديان فترى هضبة قاحلة جرداء تفتح فيها الافاعي وتسعى الحشرات  
السامة سائبة بين صخورها تلتمس فريسة تلتهمها وعلى مقربة منها واد  
اخضر باغصان باسقة ومياه دافقة واطيار باشكالها تغني باطيب الحانها  
فرحة منشرحة غير عالمة بالويلات الواقعة على سكان هاتيك الاطلال من  
جور الانسان على اخيه الانسان ولا بتيهيم بين هاتيك الهضاب والوديان  
بجانب دغلة خضراء وتحت شجرة غضاء جلست شابة تعمسة ذات  
جمال وذكا لوحتها الشمس وجادت عليها الايام بوجنة حمراء واعين محمرة  
من كثير البكاء وقالت - جارت علي الايام والليالي اين انتم احبائي  
روحي بهجتي حياتي شقيق الروح رفيقي ملاكي الحارس قتلك الاعادي  
وجعلوك فاتحة لمذايجهم هدوا ركن ابي وايبك واثكلوا واذابوا كبداي  
وامك وآسفي على شبابك وآهفي على غصنك الرطيب وآلوعي على تلك



الطلعة الباهرة - والاعين الساحرة والشهامة والمروءة والآن ابن انت  
ايها الاب الحبيب ميت ام حي؟ لا ادري اأذابك الحزن وقضى عليك فراق  
الاحبة فاشق فؤادي عليك وابكيك ام تائه مثلي تقش على سعادتك  
المفقودة واجائك فاسمى وراءك واناديك الى ان نرزق الضالة المنشودة  
والايقك :

ابي واشي وما لي معين \* على فقد اهلي وقلبي حزين  
عياذي ملاذي ابي والشقيق \* شقيقي رفيقي وعيني اليمين  
ثم شهقت وبكت بدمع سخين وقالت -

اياعين نوحى وسحى الدموع \* عماك تطفي سفير الضلوع  
حرام عليك لذيق الهجوع \* اذا لم تري قربك الغائين  
وبعد ان كففت الدمع قليلاً اخذت رسالة من صدرها وضمتها  
الى فمها وتنشقت ريجها - وقبلتها واعادت مافيا وقالت -

- حببي طيبي خطيبي العزيز الكسي تم فألك علي وعلى نفسك هذه  
نبوتك امامي مسطرة باناملك العزيرة روياء عجيبة رايتها اول يوم اتحادنا  
في الخطبة ولم تشأ ان تخبرني اياها مع كل الحاحي عليك وتوسلي اليك  
لانك لم تشأ ازعاجي بما ظننته احلام ناثم واوهام هائم وما هي الا حقيقة  
والهام الهى بما ستنكبنا به الايام وبفراقنا العاجل ولما تم لك ذلك الفراق  
بالقضاء المبرم الصارم وضعت لي هذه الرسالة بل الرويا تحت وسادتي  
وودعني الوداع الاخير وانا بين الموت والحياة لا اعي على شي فساعيدها  
الآن وابي عليها الى ان يذوب دماغي وتجف مآقي وتفنى حياتي

اما الرسالة فهي : حبيتي اولغا

اودعك الان الى الملتقى البعيد او القريب او الفراق الابدى لا ادري  
الله اعلم لم يعقد ارتباطنا حتى انحل ولم يبتدي اجتماعنا حتى انتهى . لم تشرق  
شمس سعادتنا حتى اغربت فلم نشعر بالسعادة التي توهناها ولم نقدر ان  
نمسك ظل الهناء الذي كنا نترقبه

الاحوال في اضطراب قلبي ينبثني بحدوث اخطار هائلة ولم يكن فقد  
الحبيب اخيك الا فاتحة الشرف سوف نرى ما يشيب له الرضيع واني الى  
حيث تباع الارواح ذاهب لابيع حياتي واخذ بثاره بل بثارك الذي هو  
ثاري واقسم بحبك الطاهر اني لا افعل هذا الا ظهراً والشمس في رابعة  
النهار لا تظهر لاعدائي اني لا اختلس تحت جنح الظلام بين البساتين  
والاشجار الغيا . بل اثار لاجبائي ونفسي نهارة تحت الشمس العظيمة وفي  
وسط المجتمع الانساني وبعدها ترخص عندي الحياة فساعرضها كسلة  
رخيصة للموت والهوان الا اذا رأيتك محفوظة لي مقيمة على عهدي وولاني  
فعندها لاجلك اعيش وان كنت ميتاً وابعث حياً وان صرت رماداً

ربما تاتيئك احوال عظيمة ولهذه البلاد اجمالاً تندك لهولها الراسيات  
فاحتفظي يا اولغا ولا تندي في حياة او ممات من لا ينساك ويتفاني في حبك  
الكسي تدعيه الا وهو دائماً وابدأ عبد اشارتك ورهين ارادتك . . .  
اودعك الوداع الاخير وانت لا تدري لانك في غيبوبة الخمي لكن الخطر  
قد زال والحمد لله عنك فساذهب بقلب مطمئن من جهتك

لكن على ان اخبرك قبل الحتام برويا رأسي وسبب قلقي وازعاجي  
ذلك النهار الذي هو ابتداء اجتماعنا وحياتنا الحية وانتهاؤه كما وعدتك  
رأيتك في منظر جميل وحسن رائع واثواب ملائكية وسط جنة

خضراء وحولك افعى خبيثة تتلوى وتتلون شراً ومكرراً واذا بطائر عظيم  
هائل انقض عليك ولا انقضا الصاعقة فصحت بصوت عظيم وانساب  
الافعى وهربت من جانبك وقبل ان يتمكن من اختطافك سقطت  
الى الارض وانقض عليه قوم من ذويك فاذا قهمل النكال ومزقهم بمخالبه  
وسالت الدماء انهرأ ثم تغير المنظر فرأيت قبوراً تفتح وسمعت عويلاً ثم  
رايت جثثاً كثيرة بهيات تقشعر لها الابدان وقتلى يفوتون العد وفقتشت  
عليك فلم ارك واستيقظت وقد اعتراني الاضطراب الشديد والرعب ورأيت  
الارق يتصبب بارداً من رأسي وما زالت الوسوس تترأوحنى حتى رايتك  
ذلك النهار وكان ما كان فافرج قلبي بملقائك واطمأنت نفسي بروياك

هذه احلامي ولا اظنها اوهاماً بل حقيقة فسر بها كما تشائين وعبر بها  
بحكمتهك والهي والهك يحفظك ويحرسك ... كلمة واحدة فقط ...  
( ويل لتلك العجوز ) اذا سقطت في يدي ... اودعك اودعك يا حيائي  
الى الملتقى ودمت لمن لا ينسك

حبيبك

الكسي

ولم تتم قراءة الرسالة حتى سمعت صوتاً من الادغال هادئاً عميقاً  
كانه من جوف الارض يقول لها -

أولغا كفاك البكاء والنحيب \* ايجدي بكاءك ولا من محجب  
نلو كان نوح يرد الحبيب \* ملأت النواحي بفرط الانين  
فبهتت قليلاً ثم انتصبت على قدميها وصاحت اين انت ! ومن انت  
يا من تكلمني ؟ املاك انت ام بشر ام ؟ ؟ .. ثم اعترأها الرعب الشديد لما  
لم تر ولم تسمع احداً بل جاوبها الصدى من الوادي وحل بعده السكوت  
التام فكاد ينمى عليها من الخوف وجالت عيناها على غير هدى الى كل

الجهات كأنهما تلتزمان شيئاً ثم استلقت على الارض بدون حراك واخذها  
سبات عميق

ولم تستيقظ الا على صوت امرأة متوسطة في السن قد اثقلتها  
الاحزان والهموم واسقمتمها الغموم • عليها ثياب بالية رثة مزقتها الايام  
تقول لها

« اجلسي يا بinti وهلمي نا كل فها قد احضرت لك بعض الاعشاب  
الطرية » الا وهي امها التعيسة امرأة الخواجا اورقيلان ذات الوجهة والرفاء  
ام الفقراء والضيغان وقد عضها الدهر بناية وكلكلها القضاء بثقله كانت قد  
تاهت مع ابنتها في تلك البراري والوهاد بعد المذبحة الاولى العظيمة  
واختفاء ابينا وحرقت بيتهم • وسلبت املاكهم كغيرهم ممن سكنوا هاتيك  
القفار توسدوا التراب واقتاتوا بالاعشاب من النساء والثواكل والايام  
اطفالاً وغير اطفال

كانت وقد اضعفت عينيها الاحزان قد تركت ابنتها لتدب حالها واهلها  
وذهبت لتفش على بعض الاعشاب لتقتات بها ولما وجدت بعضها على ضفاف بعض  
المياه اتت بها ورات ابنتها على تلك الحال فاجلستها واكلتا قليلاً وقدوهت منهما  
القوى وتمكن منهما الضعف والهزال لذلك العيش السقيم وكانت الام  
الحزينة تا كل لاجل ابنتها لترغبها في ذلك محافظة على حياتها من العدم •

ولما انتهت لحظت الام سكوت ابنتها كأنها تفتكر في حادث جديد  
او خاطر مهم ذي شان فاضطربت افكارها وقبل ان تسالها بادرتها اولفا قائلة  
- هل سمعت يا اماه صوتاً بشرياً بقربنا في هذه الاحراش هذا  
الصباح او هل رأيت شبحاً ما ؟



- ياتي احيانا كثيرون من رفقاءنا التمساء مثلنا ويمرون اسراباً من هنا  
يجلسون قليلاً ثم يذهبون وقد رأيت امس عدة منهم وجالستهم ودعوني  
اليهم حيث يكونون فوعدهم ان اوافيهم واخبرتك بذلك ورأيتهم بنفسك  
وكلمتهم

- لكن من الامس لم نر احداً ولم نسمع صوتاً فكان الوادي  
الصغير صار لنا وحدنا اليوم اليس كذلك ؟

- بلى ولماذا انت مضطربة لاجل هذا . نذهب اليهم اليوم او غدا او  
ندعوهم الينا ان شئت . وهذا اجل وما ارجو لاجلك لكن انت تريدان  
الانفراد دائماً وتهيمن على وجهك في هذه القفار تاركة الرفاق والجيران وانا  
تابعة لك . كذلك لا اتجاسر ان اترك لحظة إلا وقت احضار الاعشاب .  
ولولالك كنا مع القوم نشاركهم ويشاركونا الهوان بل ان نفردوحدنا هنا  
عرضة لكل الاخطار .

- هذا حق يا اماء وسوف اتم رغائبك من الان وصاعداً ورافق  
القوم واجاورهم لاني كدت افقد رشدي الساعة هذه وحدي في غيابك .  
اذ سمعت صوتاً عميقاً هادئاً كأنه خارج من القبر ينشدني بيتاً شعرياً اكلاماً  
لقولي ورتاني وينهاني عن البكاء والنحيب ثم اعادت عليها الكلمات واردفت  
قائلة فوقفت منذرة وقد انتصب شعر رأسي وتصبب العرق من وجهي  
وناديت بصوت مرتجف - من أنت يا من تخاطبني واين انت أملاك انت  
ام بشر ؟ فلم يجبني صوت ولا نداء إلا الصدى يردد اقوالي من الوادي  
فاعترتني قشعريرة وانطرحت على الارض واخذني هذا السبات الطويل  
الذي ايقظني منه .



## الفصل السادس والعشرون

### ظهور الاسباب

فلما سمعت امرأة اورقليان كلام ابنتها وتاكدت صدقه اعترأها العجب والاندھاش والخوف وقالت - منذ امس لم ارَ احداً في هاته الغابة واني اعجب كل العجب مما سمعت وقلت فلا بد من شخص متخفٍ في الجيرة وقد سمع رثاءك وندبك واجابك بهاته الكلمات واخشى ان يعرفك ويصيبنا منه سوء لاني صرتُ أخشى من نسيات الهواء ومن ظلي التابع لي فالخدار يا ابنتي من الجلوس وحدك بعد الآن وقللي الندب والرثاء بصوتٍ مسموع • لان للحيطان آذاناً ومن يعلم من يكمن لنا في هذه الظلال وبين هذه الادغال من الاعداء فاذا ذهبتُ لحاجة ما فاذهبي معي واذا جلست لا تفارقيني والافوق ان نسمى لنلاقي ارفاقنا المنكوبين ونتخذ لنا زمرة منهم نشاطرهم الحزن ويقاسموننا البلاء الى ان يمن الله علينا اما بالموت او النجاة •

- صدقت يا اماء قومي لنذهب الآن •

= لكنني تعبَةٌ جداً يا اولغا واحب ان ارتاح برهة وربما انام بضع دقائق ريثما يبرد الجو وتميل الشمس قليلاً •

= نامي أيتها الام العزيزة وضي راسك على ركبتي وانا ارنم لك بعض الحان شجيّة كئاسية ليست ندباً ولا رثاءً لتهيج اشجانك وتطير نومك بل تجدين فيها تعزية ونشاطاً وتمتلئ روحك قوة فتأمين قريرة واني اشكر الله ان لي امّا • لان الامّ هي المعزّي الوحيد للولد في بلائه وهي الحنان كله والشعور الرقيق باجماله • انت امي في احزاني • وسلوتي في اشجاني •

وعزائي . ورفيقتي . وشريكتي . وقسمٌ من حياتي . بكِ اشعر ان الحنولم يفقد من هذا الفضاء . والتعزية لم تخلُ والرقّة لم تمت . والحبُّ لم يطر والعزاء لم يفلت .

اني اشعر معكم يامن فقدتم امهاتكم لانكم فقدتم بفقدن من يحبكم في هذه الدنيا واخصه في وقت احزانكم = فقدتم من يشعر معكم ويواسيكم ويتفاني لاجلكم - فقدتم التعزية والحنان والرافة والحب الحقيقي ... آه . ربما احببتم ان تستعيروا امّاً وتوهوا الناس وانفسكم = لا = لا . ثوب العارية ليس كالحقيقي لا تغشوا انفسكم = ترون سراً بافتظنونهُ حقيقة = ظلاً فتظنونهُ جسماً : ليس التكهّل في العينين كالكحل .. ولا اللام بدل ... ثم انخست وقبلت امها الحبيبة قبله رنّ صداها فاجفلت تلك الام الحنونة بعد ان اغمضت عينها ونظرت اليها بلطفٍ وابتسامٍ قائلة = مالك يا بنية الآن ؟

= ليس إلا شوق تهيج في وهيام لك ولشخصك دون الانام .  
فاغمضت عينها ثانية وقد سكرت من كلام ابنتها العذب ونامت براحة مسلمة نفسها وابنتها الحبيبة لعناية الله .

ولم يمض نصف ساعة على رقاد الام الهني حتى سمعت اولنا صوت اقوام راكضين يلهثون وقد علتهم صفرة الموت فالتفتت لترى واذا جم من الجيرة اولاد ونساء يقولون : الويل لنا - المحلّ مسكون . جنّ في هذا المكان - هيا بنا قبل ان تصيبنا الاهوال .

= اين هذا ؟ ومن هو ؟ وقد ردّ اليها ارتعابها الاول .  
= شبح ظهر من هنا على رمية قوس في احدى الحفر العميقة كأنه منشور من القبور ثم اخفى بقتة بعد ان نظر الينا باعين وحشية وعقب ذلك انين عميق : هذا ما رايناه الويل لنا هيا بنا

= وما قصدكم في حضوركم الى هنا الآن ؟  
 = اتينا لنفتش على بعض الاعشاب لنقتات بها ونزاعاً لنكون سوية -  
 هذا قصدنا والسلام

فلم تشأ اولفا ان توقظ امها المسكينة بل لازمت الهدوء والسكوت  
 وقالت بصوتٍ منخفض : اجلسوا قليلاً ريثما تستيقظ والدتي وبعد ذلك  
 نرى ما يكون

= فجلسوا مرغمين وقد كانوا كريشة في مهب الريح يترمدون لاقبل حركة  
 وينظرون بعضهم الى بعض واستيقظت ( ام اولفا ) كما ندعوها الآن  
 رأت الجمع فتمجبت ونظرت من واحد الى آخر - وسألتهم ما الخبر  
 فاجابوها بفروغ صبر عما رأوا وسمعوا من الاشباح ومناجاة الارواح  
 وقالوا لها هيا اسرعي لنترك المحل قبل ان ياتي الليل ويخن الظلام فيدركننا  
 الويل وغوت خفياً بعد ان نفقد عقولنا

ولم تكن ام اولفا بكفية الناس تعتقد بالالوهام كثيراً لكنها تذكرت  
 ما اخبرتها به اولفا ذلك الصباح وتاكدها ان بعض الاعداء يكمن لهم  
 في تلك المخايي والوهاد ويضمر لهم شراً فاسرعت مع القوم وقالت لابنتها  
 هيا بنيتي نذهب مع من كانوا اصدقاءنا في زمن الهناء وهم الآن شركاؤنا  
 في البلاء

فهب القوم كلهم وهم بين راجف وواجف جانع وخائف ومريض  
 وناقة وساروا يهيمون على اوجهم ليس لهم كيس ولا مزود يمتقبونه ولا  
 فراش ولا وعاء ( خفاف : نظاف ) - النظافة من الايمان

وما زالوا يمشون ويلتفتون الى الوراء خشية من تابع لهم او ناظر اليهم



الى ان غابوا عن تلك البقعة الغضاء فجلسوا يستريحون في لحف اكمة وقد غابت الشمس فجعلوا مرقدهم هناك وناموا كومة واحدة لا يتجاسرون ان يبعدوا عن بعضهم لشدة خوفهم وما مر عليهم من الاهوال وقد سلموا انفسهم لعناية الاله الذي قال لا تهتموا للغد . . .

كان الكل رقوداً وقد اعياهم التعب الشديد ما خلا اولغا التي كانت لاتزال تن في اخنها هاتيك الكلمات التي سمعتها في النهار من ذلك القائل المجهول ولما ضاقت روحها واعياها الكل وطول السهاد وقد فات القسم الاكبر من الليل القت نفسها بحزن بقرب امها ورقدت قليلاً

لكن العقل المتعب لم يلبث يتجول ويقتش على ضلته المنشودة فرأت في حلمها انها تسمع ذلك الصوت ايضاً من شبح اقرب اليها وقال - اولغا حبيتي . تعالي الي - لانتخاني مني - انا الكسي - تعالي سريعاً لاراك قبل ان اموت فما قد ضاق بي الامر واعيتني الحيلة ومعني شخص اعلاه مدنف على خطر الهلاك - وجودك بقربه يعزيه قبل الوفاة . . . .

فهمت من مرقدها الحجري مذعورة ونظرت الى السماء وكانت الانجم تتوارى الواحدة بعد الاخرى لجهة المغيب وقد قارب الفجر البرزوخ فاسرعت مقادة بمنغاطيس تلك الرؤيا الى حيث سمعت الصوت في الصباح

## الفصل السابع والعشرون

( طرابلس . كامبل والغادة الحناء )

لما هاجرت العيال في طرابلس وغادرت مساكنها هرباً الى الجبال

بعد ذلك الهياج ذهب كاميل الى بيته وودّع اهله وجمع حاجاته وركب  
باخرة افرنسية قاصداً البلاد الاوربية

وكان البحر رهوا والجو صافياً فودع طرابلس وجناتها الغناء عن  
ظهر الباخرة وقال = وداعاً لك ايها الوطن العزيز رعاك السلام وحماك حامي  
الانام الوداع يا خلاني واصدقائي واسلمكم الى المهيمن الرحمن الوداع ايها  
العادة الحسناء التي عرفتك ذلك اليوم ورأيت منك من الرقة واللياقة  
ما كان . بودي الاجتماع بك ثانية لاجدد ربط الصداقة وبعدها  
المعاهدة على الحياة الزوجية لو كان في الامكان لكن هياج الوطن  
وزجرجة الزمان على اهليه دعاني الى سرعة الرحيل فلم تتم الاماني ...  
لاحول ولا

وكان القمر بدرأ تلك الليلة والركاب الوطنيون في هرج ومرج  
يتحدثون بحوادث الامس واذا بصوت من الجمهور رن في اذنيه  
واستجلب انتباهه فالتفت واذا بالشيخ الجليل صديق الامس يرشد القوم  
الى السكون ويعطيهم بعض النصائح فحن اليه كاميل واسرع للاقائه  
وتعانقا وسأله الى اين المسير

فقال = الى الديار المصرية يا ولدي لالتقي باولادي هناك واصرف بقية  
عمري بجانبهم تاركاً الوطن التبعس وسكانه لرحمة الله

= احسنت العمل وهل اتيت وحدك ولم يرافقك احد من عائلتك ؟  
= لم يرافقني الا نبيهة نسييتي تلك العادة الحسناء التي شاطرتنا  
الحديث في تلك الجلسة الاخيرة في « مينانا » المحبوبة وخلصتها من خطر  
الهياج بشهامتك المهدودة وهي قاصدة السفر الى اميركا الى عند ابوها  
التاجر الغني

= ها = ها لقد تمت امانينا واين هي الان ؟

= في غرفتها هنا على يسارنا

= الا يمكننا ان نراها

= بلا شك واني بانتظارها لنصرف السهرة على ظهر الباخرة تحت

شعاع القمر المنير

صعدت نبيهة الى عمها الشيخ فاخذ بيدها وقدم كميل اليها فسلما

على بعضهما بابتهاج وعلاهما الاحمرار وقالت

= لم اعد اراك بعد الانفصال عن تلك الزمرة المتهيجة من الرعاع التي

دادت تدوسني باقدامها لولاك لاشكرك على معروفك

= فاجابها برصانة : لايشكر الانسان على اتمام واجباته ياسيدي

ثم بعد مداولة بعض عبارات قالت

= الى اين انت قاصد ياخواجه كميل

= الى اوربا ايتها السيدة ومنها الى .. الى وطن الغرباء اميركا الشمالية

= اني مسرورة بذلك فسوف نترافق معاً واني كنت مهمة لسفري

هذا بدون رفيق من وطني اركن اليه والقي حملي عليه فهل تشغل عليك

رفقتي ياترى

= كلا ياسيدي فاني لهذا في غاية الامتنان

= اشكرك من صميم القلب على مكارمك الغراء

جلس القوم يتداولون الحديث وبقلبهم غصة الفراق للوطن المحبوب

والاهل والخالان وكانوا يلتفتون كل آن الى الاقوام على « الظهر » من

المهاجرين بعضهم يلعب على القصب والبعض يغني ( عتابي ) وهذا يتذكر  
اولاده الاحياء وذلك امرأته العزيزة وذلك والديه العاجزين وتلك اخوانها  
الاحياء وهم بين متأوه وشاك وباك الى ان كانت الساعة الخامسة  
ليلاً فزعق القابور الزعقات المتوالية مؤذناً بالرحيل

فهب القوم وودعوا المدينة العزيزة واذرفوا العبرات  
وودعت نبيه كاميل ونزلت الى غرفتها يرافقه الشيخ الى الباب والدمع  
ملء عينها لتحرك الباخرة وابتداء سفرها وبعدها عن الوطن العزيز  
القت رأسها الى وسادتها وطفقت في البكاء حتى بل دمعها الوسادة  
ثم رقدت براحة الى الصباح

رست الباخرة في المرافيء المعتادة حتى وصلت الاستانة وكان قد  
افترق عنها الشيخ قاصداً مصره في سفينة اخرى فبكت الشابة لفراقه  
ودعا لها بالتوفيق والنجاح وقبل اياديه رافقته السلامة  
فصعدا مع من صعد الى ظهر الباخرة لينظرا الاستانة وبدائنها  
وبوسفورها الجميل والسفن الراسية فيه وبلغهما مع من اتى جديداً مما  
حل فيها من العجائب والغرائب من خلع وتنصيب وفتح واحتلال ومن  
خيانة الجند والفتك الذريع وفوز الجيش المظفر وسقوط يلدز وغيره مما  
مر ذكره معنا

فشكرا الله على مهاجرتهم السريعة وحزننا على شهداء الوطن واحبا  
سرعة المسير ليخلصنا من هول تلك المناظر والتذكارات المحزنة ولم يرق  
خاطرهما الى ان دخلا مرفأ مرسيليا ورأيا من عجائب التمدن الاوربي  
ما يدهش وتذكرا قلق الوطن وزلزال اضطرابه المخيف وعلم البون بين



هذا السلام وهيته الراقية وذلك ثم دخلا باريز حيث زاد دهشهما وسرورها  
ومن هناك سافرا الى انكلترا ثم اميركا مملكة السلام  
ولما اشرفا على نيويورك المدينة العظيمة ظهر لهما تمثال الحرية بعظمته  
وفخامته كأنه يبارك القادمين بيده المرفوعة الى السماء فتوسما الخير  
وابرت اسرتها

ولاقاهما ابونبيهة بسرور واحتفاء وعلم ما لكامل من الفضل على ابنته  
في الطريق فرحب به وجعله في محله كاتباً اولاً ورأى منه ادباً ومعارفاً  
وثقة فرقاه بعد قليل وجعل له سهماً في تجارته ثم شريكاً الى ان حصل  
اسماً وشهرة واصدقاء وكانت متن الرباط والصدقة تزداد بينهما مع  
توالي الايام ورأى مالابنة من الميل الصادق للشاب وتاكدماله من الحب  
الشريف المتين لابنته وكانت نبهة قد اشتهرت بين السوريين وبعض  
الوطنين واكبروا نباهتها وجمالها وآدابها وود كثير من القرب اليها لولا  
ميلها لكامل وسرعة عقد الخطبة بينهما

ولم تمض برهة على ذلك حتى تم القران السعيد وكان له محفلاً حافلاً  
ابتهجت له النزالة السورية والاصدقاء الوطنيون وعاشا بهناء وسلام يجتبان  
ثمر الحب الطاهر تحت سماء السلام

## الفصل الثامن والعشرون

( اكتشاف اولغا السر المجهول : السعادة )

هرعت اولغا قبل ان يستيقظ القوم ولم تخبر اياها خشية من ممانعتها  
لها وتوسلاتها التي تفعل كالسيف في قلبها المحب الخنون قصدها عن

الذهاب ولم ترل في مسيرها وقد لاح الصباح وكان النسيم العليل يعطيها قوةً ونشاطاً ودافع الحب يزيد لها سرعة حتى وصلت لتلك الشجرة الغياة حيث كانت جالسة نهار الامس فنظرت حوالها كمن مستها جنة واعتراها الخوف ولم تر احداً ولم تسمع صوتاً سوى انغام الاطيار الصباحية على اغصانها ففطنت الى ابيات رثائها البارح وانها كانت الوسيلة لسماع تلك المناجاة او الصوت العميق الهادي فجلست تحت الشجرة اذ لم تتجاسر ان تتقدم اكثر وجمعت قوتها ورفعت عينها الى السماء لتستمد عوناً وشجاعة وغنتها بصوت شجي رخم وقبل ان تكمل انشادها وتنشف دمعها سمعت صوت خطوات بين الازغال فاعتراها الجمود ولم تتجاسر ان تنظر او تلتفت حوالها لترى الحقيقة : فاجتهدت ان تكذب سمعها وظنت ان هذه تصورات الهواجس ونتيجة الوسواس التي تملك دماغها

لكن الحقيقة تظهر والوهم يبطل - تقدم الماشي اكثر فاكثر وسمع صوته وتذكرت كلام القوم ارفاقها وخوفهم وفراهم وتشخص لعينها هذو ذلك المكان ووحشته وخلوه من السكان وانفرادها فيه ذلك الصباح بدون انيس او رفيق في ذلك الوقت المشحون بالمخاوف والاحطار فادركت خطأها ولامت نفسها وارادت ان تستقيث فالجم لسانها واحبت الفرار لكن من اين القوة فجمدت مكانها واصطكت ركبها وجحظت عينها وتذكرت كيف انها خالفت وصية امها وندمت اشد الندم لكن هي الطبيعة هكذا في كل سننها وشرائنها اذا اشتد الاضطراب على امره او امر وعلت تيارات الاوهام عليه وازبدت واختبطت وتجادلت فيه ما بين اخذ ورد سلب واجباب اخيراً يعلموها جميعها تيار واحد عظيم اسمه تيار اليأس اذا قطع الرجاء يجمع فيه آخر ما حواه من القوة

ويقدفها قذفة واحدة يكون بعدها اما الحياة او الموت  
هكذا جرى لاولنا ففي لحظة عاد اليها وعيها وملكت روعها نوعاً  
وقالت لنفسها - اليس هو الموت آت الي؟ هل يوجد أكثر؟ لا - اهلاً  
به فلماذا انا خائفة مرتبة هكذا - اين شجاعة ابراهيم؟ اين دم اورفيلان  
ثم صعد الدم الى رأسها وعاد لمان الحياة الى عينيها واستعدت للقاء المفاجي  
المجهول واذا هي تسمع صوتاً رقيقاً خرق كالسهم اعماق نفسها = قائلاً  
بهذه وارتعاش

- اولنا حبيتي هل اتقدم أكثر؟ الا تخافين من لقائي؟ نفد صبري  
وفارقتني قوتي وخانني جلدي . اراك من خلال الاشجار ولا اتجاسر ان  
اتقدم أكثر اليك لاني ارى جمودك وعدم مجاسرتك على التلفت يمناً او  
شمالاً كأن سمع خطواتي اربعك: لا تخافين من اكسي يا حبيتي وما لك  
انظري الي قليلاً وشجعيني لآتي اليك ولا يربعك منظري الذي هو اشبه  
بالاموات من الاحياء والافاني ارجع من حيث اتيت ... اولنا اولنا

ولم يكمل الكلمة الاخيرة من اسمها حتى افادت من سباتها وانتصبت  
على قدميها مدفوعة بقوة كهربائية وصاحت :  
- الكس - الكس - تقدم الي واعذر قصوري لعدم ملاقاتي اياك  
لان قوتي تلاشت مني وانظر ارتعاش جسمي ثم سقطت على الارض  
لاتعي على شي فتقدم الشبح الناطق بسرعة وقد سمع كلماتها الحلوة ورأى  
ما حل بها ودنا منها وحملها على ذراعيه واسندها الى صدره واخذ يفرك  
صدغيها ويديها ثم اخرج من جيبه الممزق منديل الملطخ بالدماء وكان لا يزال  
عليه اثار زائحة نشتها اياها وهو يقبل جبينها البارد بجرارة الواله المشتاق

وبدني بجر أنفاسه اصفرار ذلك الوجه الجميل فتحرّكت قليلاً ورفعت رأسها وفتحت عينيها ونظرت إليه ثم طبقتهما كأنها في حلم لذيد لا تريد انفكاكه عنها فكلّمها برقته وحنانه المهود وضما بشدة إليه وقال -

- اولغا - اولغا انت في يقظة لا منام وقد جمعنا بعد معا كستها ومطاردتها لنا الايام افتحي عينيك وكلميني • فتأوهت من كبد حرا تأوّه طويلاً عميقاً وفتحت عينيها وقالت بصوت يكاد لا يسمع

- الكس - الكس هل انت هو ام خياله منشور من القبور ؟ فلم يستطع ذلك البطل الشجاع منع دموعه عندئذ التي كان قد احرقها الشوق والوجد ففاضت بسرعة الى ماقيه وسقطت على وجهها الملاصق وجهه بجرارة محرقة وقال = هو انا يا اولغا لا خيالي وقد نشرت من القبور كما قلت وكلمتك البارحة بكلمات اظنك لم تنسيها وسمعت رثاءك وندبك وبكاءك فنشر في جسمي حياةً وروحاً ودماً ونشاطاً وكنت اياتك لك وسمعتها من في بصوت عميق هادي كما من قبر وهي الحقيقة ولم تجاوبني عليها فظننت انك خفت وتاكدت الحقيقة فيك فسكت عن الكلام وتجلدت في قبري مستجيراً برب الانام ان يتم امانى ولا يجرمني لقاك وصبرت صبر جبار لوقت آخر ريثما يمن عليّ القضاء ببسمة منه فاراك • ولم اعد انطق بكلمة خوفاً عليك ومراعاة لك فانظري كم كان هذا السكوت مرأوئاً لي وهذا الصبر موتاً بل اشد لنفسي

ولكن بعد ساعات خرجت من حفرتي بل مفارقي لاستحضر بعض حشائش ل • • • فوجدت على مقربة مني قوماً آتين من المنكوبين مثلي فتفرست فيهم بحزن واذا هم نظروا الي لحظة وفروا هارين يصرخون: الجن الجن فاخفيت ثانية في هاويتي وعلمت ان السماء لا ترال عابسة في وجهي

ورجعت الى ظلمتي ثلثا اخيف القوم المساكين واميتهم جزعاً ٠٠٠ وما انا  
 الا - إلكس - من حارب عنهم واطلق ٤٠٠ رصاصة امامهم وامام  
 ذويهم ٠٠٠ ونكّل في اعدائهم المرات وقتل العدد العديد منهم ٠ وقد  
 بليت بالجراح الكثيرة قبل ان اصابي ما قد اصاب ٠٠٠ ودهاني ما قد  
 دها ٠٠٠ وقد حلّ رعي في قلوب الاكثرين وكانوا يحسبون لي حساباً ولم  
 يقدرُوا على اصابتي باذى سوى الجراح المذكورة مع شدة اجتهادهم كأن  
 يد العناية كانت تحفظني ٠٠ وما هي الا صلاتك وتمنياتك ولا جلك ٠ ثم  
 قرّب فهُ من شفيتها بوجدٍ شديد ٠ وبعده همس قائلاً تشجعي لا تم لك  
 حديثي ٠٠٠ الى ان كان احد الامساء وقد تساحت بالسلاح الابيض مع  
 سلاحى الناري واستعديت تمام الاستعداد للموت لكن بعد ان افصح  
 جيوشهم وابطش بالكثيرين ٠ والذي اعطاني هذه الشجاعة والفوز هو  
 رخص الحياة عندي ٠ فكنت اُندفع كالسيل اينما وجدت شرذمة مهاجمة  
 من الاعداء فيأتى القوم ويندهشون لبسالىتي النادرة فيفرّ الكثيرون من  
 امامي وكنت استعمل السلاح الذي استحضرتُه بانواعه بدون تأجيل ٠  
 ووراني حامية من قومي تحمي ظهري ٠٠ وانا لا افتر ولي عزم كالخديد ٠  
 فكنت كأني اطلب الموت واكدّ واركض وراءه فيفرّ مني ٠٠٠  
 والذي جعلني في هذا اليأس والجنون هو لانى طلبتكم في بيتكم فلم اركم بل  
 رأيت دخان البيت يناطح السحاب متصاعداً فجهدت عيناى ووقفت حركة  
 قلبي وقلت: هلك قومي ماتت امالي فلا رغبة لي في الحياة والدنيا بعد الآن واني  
 عدوها وصديق الموت وسافتش عليه امكاني لكن وسط المعامع وتحت  
 الرصاص حيث اذيق اعدائي ما اطلبه لنفسى من الموت الزوام واثار لاجتي قبل  
 منيتي فاهال هذا اعدائي وارعبهم وجعلهم يخشون بأسي بل بأسي الجنوني



الى ان كانت ساعة وقد خيم الظلام فرايت شخصاً حياً الى سقط  
برصاص الاعداء ميتاً = فاسرعت اليه وحملته بسرعة ورأيت انه لم يم  
بمد وقد يشفى اذا لاقى اعتناء وقد اضعف قلبه نرف الدماء فاخذته  
واسرعت فيه تحت جناح الظلام وكنت استريح هنا وهناك وانا اهتم على  
وجهي لا ادري الى اين وقد جعل الله حجاباً بيني وبين الاعداء فلم يروني  
حتى وصلت بمد العناء الشديد الى حيث سمعت صوتي واتخذت هذه الحفرة  
لي مائلاً لا علاج حيبي الذي لم اراه منذ ودعته الوداع الاخير في بيته الا  
وقئذ وافديه بنفسي وقوتي وقد نجحت بان اخرجت له  
الرصاص من جسمه وكنت اجده بعض الحشائش النافعة في هذه القفار  
لجراحه واسهر عليه النهار والليل واعتني به واحرص على راحته حتى قارب  
الشفاء وكادت تلتئم جراحه غير انه اعتراه الهزال والضعف الشديد ثم  
اعتراه بعض نوبات حمى قوية لشدة يأسه وحزنه على عائلته التي فقدوها  
مما كان يكتمه امامي ثم زاد انتحاله قلة الطعام والفداء فانه يأني ان  
ياكل من اعشاب البرية السخيفة ولذلك الآن هو في خطر شديد

فصاحت اولغا وقلها يخفق بشدة ومن هو هذا العليل يا الكسي ؟  
اخبرني ولا تخفي عني

= لا اخفي عنك اذا كنت حكيمة وشجاعة كما اعهد فيك . هو ابوك  
العزير = اورقليان =

= ابي = ابي العزير وتكتم عني خبره وهو في حال الخطر وانا جالسة  
هنا بعيدة عنه هيا خذني اليه بسرعة لا قبل يديه وقدميه وابلهما بدموع  
ابتهاجي وآفرحاته بوجودك يا ابي الحبيب ثم وآزنائه على آلامك ومصائبك  
ودواهي الدهر الخوون

## الفصل التاسع والعشرون

— اللقاء السبع —

فاجابها الكسندر لا لا يا اولغا ان ذهابك هكذا بغتة اليه ودخولك بدون انتظار اليه يقضي حالاً عليه ويعود عليك وعليّ بالحنن الشديد اذ تكونين قاتلة ابيك واكون شريكك في الجناية لاني لا أقدر ان اصف لك مقدار حزنه ويأسه وكم كان يندب دائماً غياباً عني وانا على بابهِ ندب الحيّ لا مواته ويعدد ما ترك كما تعدد الانسان لفقد آله واعزائه اذ ظنكما من الشهداء والاموات . فتربصي قليلاً الآن ريثما اعدّه لمثل هذه المفاجأة ثم اعود فاخذك اليه لكن اين امك . لم تخبريني عنها شيئاً اليست معك ؟

فاجفلت اولغا واي اجفال وفطنت لامها المسكينة التي تركتها في آخر الليل بدون ان تعرف عنها شيئاً وعلمت كيف تكون الآن لفراقها وما هو الاضطراب الذي يستولي عليها وماذا يسبب لها هذا الفراق الفجائي من زيادة الضعف والحزن الشديد وانها ربما تقتش عليها البراري والقفار وتنادي باسمها باعلى صوتها غير مبالية بالعواقب والاطار فاشعرت بخطاها وان تكن نتيجة سعادة وفرحاً لكليهما فاسرعت واخذت يد الكسي بيديها واستوت جالسة ونظرت اليه نظرة الخوف واخبرته بكلام كان من جهة امها وكيف كانت تغزيها الوحيدة وكم كانت تراقبها بحنان ما عليه من مزيد وانها لولاه لتجرعت كأس الحمام منذ ابتداء الفراق وانها هي ايضاً كانت علة بقاء الام ووجودها وشعلة الامل والنور الصغيرة الباقية لحياتها ثم اخبرته بمجديتها مفصلاً كما ياتي

اني منذ سمعت صوتك البارحة ايها العزيز واعتراني الجمود والخوف

الشديد لاستغراي اياه وجهلي صاحبه ولم اتصور اني ارى صاحب هذا الصوت هذا الصباح وانه - الكسي -

ثم مسحت دموعها المنهالة بسرعة على وجهها وقالت - كان الصوت لاذني هادئاً ضعيفاً كانه من قبر او هاوية عميقة ولما سألته من هو ومن يكون ولم يجاوبني تضاعف خوفي جداً فالجمل لساني وجدت مكاني ثم انتصبت لاهرب فلم تساعدني رجلاي وخذلني قوتي فسقطت الى الارض واخذني سبات عميق اشبه بدوار لم استيقظ منه حتى اتت امي العزيرة حاملة بعض اعشاب طرية بيديها الكريمتين فايقظتني جلست واطعمتني شيئاً بعد الحاح شديد وكانت هي تعطيني قدوة في ذلك ولولاها مت جوعاً منذ ايام

ثم سألتها اذا كانت رأت احداً في الغابة او سمعت صوتاً فقالت - منذ الامس لم أر بشراً ولم اسمع صوتاً. فاخبرتها بما كان وما سمعته ذلك الصباح فتعجبت واندھشت ورغبت ان تاخذني من هنا خشية من ان يكون احد الاعداء مترقباً لنا متخفياً في هذه الحفر بقربنا ولما اهتمنا بمفارقة نقطة النور هذه او قدس الاقداس ... ثم تبسمت ورفعت اليد العزيرة الى صدرها وضمتها اليها بشوق فقال = الكسي = بركة وابتسام - بل هو باب السماء ويزوغ فجر الحياة لنا يا اولغا الحياة جديدة والسعيدة ان شاء الله - ثم ماذا ؟

فقالت - وقبل ان نفارق المحل بيضعة دقائق اتى القوم الذين اخبرتني عنهم مذعورين يصيحون : المحل ( مسكون ) الجن الجن واخبروني كيف رأوك كأنك منشور من القبور وكيف نظرت اليهم بشدة ثم اختفيت وصاحوا يريدون اخذي معهم وسرعة الرحيل فعلمت انهم رأوا شيئاً وانه

ربما يكون ذاك الذي كلمني واشغل افكاري لكنني كتمت الامر عنهم  
وصبرتهم ريثما تستيقظ ابي المتعبه المسكينه التي كانت رقدت قليلاً  
على ركبتي

ثم رحلنا معاً بعد ان علمت حديثهم وتاكدت وجود اعداء بقرينا  
وكنا نهميم على اوجهنا لانعلم طريقاً ولا مقراً الى ان وصلنا الى حلف اكمة  
فجلسنا هناك على بعضنا البعض حباً بالتكاتف والتعااض الذي ينميه الخوف  
وكنا كلنا كالموات من الرعب والازن والجوع والتعب والارق فرقد  
القوم على بعضهم وبقيت وحدي اراعي النجوم وانا جي الفضا الى ان  
ذهب اكثر الليل فغلبنى الكلال والنعاس فالقيت رأسي على حجر بجانب  
امي ورقدت قليلاً ثم استيقظت باضطراب اشد وكان العرق البارد يكلل  
وجهي . وهذا على أثر رؤيا ادهشتني وسرت كالسهم الى قلبي ودفعتني  
بسرعة الى الحضور الى هنا فقممت قبل الفجر بدون ان اوقظ ابي والقوم  
لجانبتها لئلا يمنعوني ويصدوا طريقي ويكسروا قلبي وهذا سبب اثر عاجي  
الشديد لاجل ابي الان لانها استيقظت ولم ترني فهي لا شك هائمة الان  
في البراري تفتش علي وتصرخ وتنادي باعلى صوتها باسمي وتبكي بدموع  
حرى لاجلي : ويلاه -

- هذا بلا شك يا عزيزي - لا بُد للشهد من ابر النحل . ان ماعلمته  
واكتشفته الان يساوي اضعاف اضعاف ذنبك والبشارة التي تحملها  
اليها الساعة هذه تنسيتها كل اساءتك اليها منذ وجودك الى الان . التي  
لولا شجاعتك وحضورك غياباً عنها وخلسة عن القوم الذين كانوا امسكوك  
ومانعوك بشدة ربما كنت عدمتها الى الابد . . .

فما عملت إلا شرفاً وشجاعة قل أن تعمله شابة نظيرك فيحق لي الان

بدوري ان أقبل يدك. واضمها بشدة الى قلبي الذي احبته بعملك الشريف  
ثم ضم اليدين الى فمه وقبلهما بشدة وغسلهما بدمعتين من عينيه ثم وضمهما  
على قلبه وقال :-

- اخبريني الآن الرؤيا . ثم نفترق لان افترقنا ضروري  
فاخبرته الرؤيا كما رأتها تماماً حرفياً وكيف اسرعت لملاقاته حتى اجتمعا  
فاندش الكسندر من عناية الله وفعله العجيب . وقال -  
- الحمد لله يا اولفا على هذا اللقاء الغريب الذي لم يكن احد منّا  
يتظره . وهو نعمة كبرى وعناية جلى فالان صرت احب الحياة واعيش  
بهنا . أجل صارت ثمينة عندي بعد ان كنت افتش على الموت واطلبه بعناء .  
واني تأكدت اني سالاقيك ايضاً . ولما عرفت صوتك العذب  
وتاكدته علمت ان يد الرب كانت في هذا وانها لا بُدّ تكمله بوقت ما  
لكن يجب ان نفترق الآن ويرجع كل منّا الى رفيقه ويخبره بلطف  
وحكمة عن حنان الله علينا وبقائنا كلنا في قيد الحياة والتقاءنا ببعضنا بعد  
كل هذه المذابح والمخاوف ثم نجتمع هنا تحت الشجرة المباركة - قدس  
الاقداس كما قلت ونذهب لنرى اباك العزيز بعد ان يكون استعداد لهذه  
الملاقاة .

ودّع الكس اولفا وشدّ على يدها كأنه لا يريد ذهابها والتصقت هي  
به خشية الفراق الذي هدأ أركانهم جميعاً ولم تكن لتطيقه ايضاً  
ثم ضمها اليه وقال وقد خطر له خاطر ..

- اولفا لا يمكنني ان ادعك تذهين وحدك . لا - لا . اصبري  
علي قليلاً ريثما اذهب الى ابيك . واخبره بوجودكما ثم ارجع وأخذك اليه  
واذهب انا لافتش على امك . لا يمكنني ان اتركك وسط هذه القفار



تسيرين وحدك = لا = ولو مهما صار .

ثم انثني عنها وكرّ راجعاً من حيث اتي ودخل الحفرة التي تؤدي الى مغارة صغيرة او سرداب ضيق . وهناك وجد عمه اورفليان يتقأ بضجر على فراش من الحشيش اليابس وهو يتململ الماء وجوعاً وقلقاً وقد اعياء الضعف والحزن حتى كاد يفارق الحياة وسمع انينه من فم السرداب فقال اتيتك يا عماء بما تستطيب . .

= فاجاب ماذا ااني اكره هذه الاعشاب . ولا استطيع ان اضمها في في أيضاً . آه يا الكسندر كفك تعباً ومشقة انك تجرني الى الحياة التي اكرهها وتجتهد ان تمنع عني الموت الذي ارحب به .

عاجتني كثيراً وسهرت علي طويلاً كفك يا ولدي عناء دعني في مغارتي اموت بسلام واذهب انظر لنفسك مقراً خيراً من هذا ومستقبلاً أجد . واني اشكر الله على النعمة التي اولانيتها بوجودك بعد فراقك الطويل . وانك انتشتني من تحت اقدام الاعداء وجثث الموتى . ولم تدعني اموت هناك مداساً . مهاناً .

قد حان الوقت الذي به اطلقك بسلام . اذهب . اذهب يا جيبسي فان انفاسي صارت معدودة . ولا حاجة لي بك بعد . وسوف يرافك دعائي ورضائي الحياة ويركي الابوية ورجائي انه يكون لك ترساً واقياً من حادثات الليالي . ونوائب الايام . ويعوض الله عليك خسارتك باجائك واموالك باحسن منها . ثم غص بدموعه وانخفض صوته وقال =

- تعال يا موت ولا تُبْطِئْ فانك لي خير حبيب . .

فلم يستطع الشاب الامساك عن البكاء وقال بصوت متهدج مجتهداً اخفاء اضطرابه - عوض الله علي خسارتي يا سيدي بما اشتهي واحب . .

وسيعوض بأكثر أيضاً وهي سلامتك ورجوعك الى الحياة المستطابة  
والعيش الهنيء ولقاء الاحبة ان شاء الله

- هذا امل بعيد يا الكسندر . انهم ماتوا واكلتهم سيوف الاعداء .  
او ضواري البرية وانا سالاقيهم بعد قليل وهذا جُلّ ما اشتهي واريد  
- لا يا سيدي لم تأكلهم سيوف الاعداء ولا وحوش البرية . بل هم  
في سلام ترعاهم عين لا تنام . . .

- اهذه حقيقة ام اضعاف احلام ؟ . . . ثم اجتهد اورفليان ان ينهض  
من فراشه ونظر الى الكسندر بامعان نظر المدقق الباحث . وقد تجددت  
فيه قوة فجائية خاف عليه الطيب منها . فتوقف عن الكلام . . .  
فاجابه اورفليان - لا تتوقف يا عزيزي واخبرني ما عندك من طيب  
الاخبار ولا تحف علي فاني بسلام .

- مولاي سمعت هذا الصباح ان امرأتك وابنتك لا تزالان في قيد  
الحياة .

- آه ! هل هذا حقيقي ؟ ومن اين سمعته ؟ ثم شفق شهقة دوت لها  
المغارة وقال :

= هات يدك وامسكني لاجلس . فامسكه بيده واجلسه وسنده ثم  
قال : = انه حقيقي لا شبهة فيه وقد رأيته بعيني ايضاً .

= يا الله ما أكثر نعمك . وما اعظم خيرك وحنانك . واين هما  
الان ؟ لماذا لم تحضرهما الي لا رهما قبل ان اموت ؟

= احدهما وهي = اولنا = على رمية قوس من هنا واما ابعد قليلاً  
مع القوم المنكوبين وسوف آتي بهما بعد قليل اليك .

= اذهب واسرع يا الكسندر وطمع معروفك مع الاحياء كما تتممه

مع الاموات وها اني انتظر رجوعك بفروغ صبر .  
 = اني ذاهب اذا كنت تعديني ان تكون جلوداً شجاعاً وبطلاً  
 نشيطاً كما اعهذك دائماً .  
 = اعدك واقسم لك بذلك

فخرج الكسندر وقلبه يطفح سروراً وبشراً وقد ردّ له الفرح رغماً  
 عن الجوع والمشقات لونه السابق البهيج وسرى الدم بحجارة في جسمه  
 ليلاقى اولغا ويحضرها الى ابوها .  
 وصل الى الشجرة واعتراه الجمود الفجائي وكادت روحه تهق اذ  
 لم يجد احداً فنادى بصوت عال . = اولغا = اولغا = اين انت . فلم يجبه احد  
 فالتفت التفت الخاسر الى اليمين والشمال . ثم تقدم داخل الغابة  
 وهو يقول :

لا تزال تضطهذي الايام . أفلت عصفوري العزيز من يدي ايضاً .  
 اختطفته اللثام

لكن العلي لم يشأ ان يكدر الشاب ايضاً ويملمه ما لم يستطيع حمله  
 فسمع انيناً وسط الغاب عرفه انه من الحبيبة فطار اليها وراها ساقطة  
 بين الاشواك والدم يسيل من وجهها ويديها المخدشتين فاخطفها اليه وقال  
 - حبيتي مالك ؟ اخبريني سريعاً ؟ من اتى بك الى هنا ؟ ولماذا هذه  
 الدما . ؟

فقال - لا تخف يا الكسندر هو تخديش الاشواك التي سقطت فيها  
 لضعفي ووهن عزمي وهو اني رأيت بعد ذهابك بقليل جمهوراً من الرجال  
 لابسين الاثواب الحسنة باوجه مضطربة يكلمهم العرق ويعلموهم الغبار

كأنهم ينتشون على ضائع • ينظرون هنا وهناك وامامهم خدَم ورزم  
واحمال كثيرة فلما راؤني قالوا : - هذه منهم فصحت بخوفٍ وركضت  
وسط هذه الاحراش فسقطت بين هذه الادغال فتمزق جسي كما ترى  
وسالت دمائي وكأني سمعتهم يقولون : مسكينة = مسكينة هربت منا •  
فلم اعلم أهم من الاعداء ام لا ؟

فوقف الشاب بغتةً وقد حاول اخفاء اضطرابه ثم قال :

ستبدي لك الایام ما كنت جاهلاً \* ويأتيك بالاخبار من لم تروءِ  
= تعالي نذهب يا حبيتي ولا يخيفك امر هو لا ، فسوف نكتشف  
الحقيقة بعد حين • ابوك بانتظارك على مقالي الجمر فلا يجب علينا الابطاء •  
= آه ! ابي الحبيب ؟ هيأ اليه • فاخذ بيدها واسرعا الى مغارة اورفليان  
حيث دخل الكسندر اولاً وراه لا يزال جالساً يعلوه الاصفرار الشديد  
فقال له : = اين اولغا يا ولدي ؟ ثم خاضه الجلد فاسند رأسه الى الحائط  
= هي هنا ورائي • ادخلي يا اولغا وقبلي يدي والدك العزيز الذي هو  
بانتظارك من مدة وعائقيه •

فدخلت تلك وقد همس الكسندر في اذنها ان تعجل وتبتسم امام  
ابيه الضعيف والقت نفسها على قدميه وغسلتها بدموعها فضمها بشوق اليه  
واخذ رأسها بين يديه وتفرس فيها في النور الضعيف .... وقال :  
= هل انت اولغا = حبيتي وفريدي ووحيدتي ؟ لما اذا اعتراك الهزال ؟  
اين تلك الطلاقة والبشاشة والغضاضة والملاحه ؟ • احمدك ياربي واشكرك  
على انعامك ! عانقيني يا اولغا وضعي رأسي على صدرك لاستريح عليه  
لاني مُتعب جداً •

وانت يا حبيبي وسندي الوحيد - إكسر - اسرع الي بامرأتي

لاراهما قبل وفا ....

- لا يا ابي لا تقل هكذا انك ستميش عمراً طويلاً وتشفى من  
آلامك وتعود الى ما كنت عليه من العز والانشراح ونكون كلنا حواليك  
لخدمتك ومسرّتك .

- ساجيني يا اولغا على خطأي فسأعيش ان شاء الله لكما يا ابنتي  
وتقرّ عينكما ...

## الفصل الثلاثون

- البشارة -

رجع الكسندر تاركاً اولغا بجانب ابيها وقد اوصاها ان لا تكلم بما  
يزعجه ولا تحدّثه بشي . عما لاقت من الشقاء والعناء في تلك القفار بل تأتي  
له بالاحاديث المسلية المفرحة

توغل في الاحراش ثم تقدم الى الطريق التي اتت منها اولغا وكان  
يفتش وينظر مدقّةً الى كل شجرة ومنحرف وصخرة . وهو لا يزال  
مشتت الافكار يفكر احياناً بالسعادة التي فاجأته بغير انتظار من لقاء اولغا  
وامها وجمع الشمل بعد ذلك الفراق المرّ والاهوال والاختار فيرفع عينه  
الى السماء ويتنفس الصعداء ثم يعود يفكر بذلك الجمهور الذي رآته اولغا  
وفرّت هاربة منه وباحماله ورزمه وماذا يقصد وهل هم اعداء ام اصدقاء  
وما الباعث لتجولهم هناك وعلى من يفتشون .

ثم يعود يفكر بضائته المنشودة واين يلاقيها . ثم ينتقل الى عمه  
المريض ويفكر في ماذا تكون النتيجة عليه بعد هذا اللقاء السعيد ثم يعود



فيفتكر في مستقبله والبلاد والمنكوبين والخسائر الكثيرة فيتأوه  
ولم يزل هكذا وهو مواظب على السير والتفتيش الى ان رأى قوماً  
من بعيد بعضهم يبكون وهم يتضورون جوعاً وبعضهم ملق على الارض مصاباً  
بالحمى وهو في نزعات الموت والبعض يدبون هنا وهناك يفتشون على  
بعض الطحالب والحشائش ليأكلوها

حالة تعيسة جداً تفتت الكبد وتذيب الفؤاد وآخرون يندبون  
موتاهم وعزهم وما فات فلم يستطع الشاب الاديب امساك دموعه عن البكاء  
ولولا الفرح والامل واشعة الحياة التي ملأت قلبه ذلك الصباح وانعشت  
روحه لكان سقط الى الارض اعياءً وكدرًا

واستيقظت ام اولغا ذلك الصباح والتفتت الى ابنتها التي كانت يجانبها  
فلم تجدها ففتشت بين القوم النيام فلم تر لها اثرًا فصاحت بالويل والثبور  
وهب القوم على صياحها وأوا ما كان فأكبروا الامر وتعجبوا وحزنوا  
لحزنها فهامت على وجهها في تلك القفار وهي تبكي البكاء المر وتقول :

- هل ياترى انقطع املي الوحيد في الدنيا وذهبت وحيدتي فريسة  
للوحوش الضارية ؟ ام اختطفها عدو يترقبها ؟ ثم عاودها الفكر في حادثة  
البارحة وما اخبرتها به اولغا ٠٠٠ فقالت : - اواه ! لم يختطفها الا ذلك  
الشبح وربما هو صاحب الصوت الذي ناجاها

ويحك ايها الروح الشرير ! قبحاً لك ! ويحك ايها الشقي التemis ! آه  
لو وصلت اليك لمزقتك باسناني قبل ان تمزقني !! آه ابن انت ؟ !  
مالك ايته القوة السماوية اغمضت عين العناية عني واخذت آخر  
آمالي واطفأت آخر شعلة نور حياتي ؟

وهكذا كانت الام التعيسة تناجي نفسها والهها وابنتها على غير هدى  
 كن مسها الجنون واعتراها اليأس الشديد

ثم وجهت طريقها الى مكان الامس لملها تلاقي ابنتها وذلك العدو  
 الموهوم فتتقم منه ويعدمها الحياة فتاحق بعزيرتها عاجلاً تاركة الشقاء وقد  
 اخذ منها التعب غايته والوصب نهايته ولم تذق طعاماً ولا شرباً سوى ما  
 قل من اعشاب الباردة فسقطت الى الارض معية وكاد يقضى عليها

واذا بشاب مقبل عليها وقد رآها وتفرس فيها كأنه يدرس هياتها  
 والحالة التي هي فيها حتى اقترب منها ومسكها بيدها فرفعت اليه نظرها  
 وانحرفت الى الورا كأنها ترى خيلاً ثم صاحت صيحة المخوق وقالت  
 مجهدة - الكسندر - الكسندر - أنت هو ام لا ؟ ثم سقطت الى الارض  
 كالماثة فانكشف الغطاء وبان الحفاء وظهر الجلاء لعينيه وعلم انها هي  
 ضالته المشودة ام حبيته فقال : - آه اين ذلك الجسم المهاب ؟ واين ذلك  
 العز والوقار وتلك الفخامة ؟ اهلكتها الظروف القاسية وبدلتها الايام  
 بالشحوب والهزال والجوع والحزن والموت - وآسفاه - ثم حملها بين  
 يديه وهمس في اذنها قائلاً - سيدي لا تخافي انظري الي فاهديك احسن  
 ( بشارة ) واغذي نفسك الجائعة بتقديمي لك اعظم اجائك

فصحت عينها بغتة وقالت : = اولغا = اولغا

فقال لها - اولغا عندي براحة واطمئنان وانا هو شبح الامس ذلك  
 الجن الموهوم وقد اتيت لآخذك اليها واعتني بكما واخفف اتعابكما  
 - آه ساحني يا ولدي فقد لعنتك جهلاً وشتمتك وقصدت ان امزقك  
 باسنانني لظني انك عدو خطفت اولغا وكنت ارغي واربد عليك حتى  
 اعتراني الكل واجهدني الضعف والحزن فسقطت حيث رأيتني وانتشتني

فازت - انت صاحب الفضل = ولدي وحييي ورقة عيني سامحني  
يا الكسندر . ثم صعد بخار الحنان الى ماقيها الملتهبة فسالت عبراتها كالسواقي  
على وجهها الذابل

فضم الكسي يديها اليه وقبلها بجنو واحترام وقال : كم يحمل هذا  
القلب من العناء وكم ارى من اصناف البلاء وما هي هذه المحن التي  
تقتت الالكباد وتذيب الجماد ؟ آه . آه .

- سيدتي اني اسألك من كل قلبي واشكر خزانك على ابتك الذي  
انا شريكك فيه بلا مرأء وسوف اقدم لك سعادة اخرى وهي - البشارة  
العظمى - بوجود زوجك الحبيب الخواجا اورفيليان

- آه! اورفيليان؟ ماذا تقول يا مبارك الرب ؟ هل هذه مجاملة منك لي  
لتحيي في الامال وتعيد لي قوتي ام حقيقة تسعدني بها ؟

انها حقيقة يا مولاتي واني منذ الصباح اقتش عليك لاخذك اليه حيث  
تجدين اولغا ايضاً وهما باتم الشراح ينتظرانك بفروغ صبر

- فاخبطت ام اولغا بين يديه وافلتت من قبضته وسقطت على قدميه  
تقبلها وتبليها بدموعها فاسرع وانفضها وقال :

- انك تريدان احزاني بهذه المعاملة ارفقي بي فاني قاسيت كثيراً  
واحتمات كثيراً ونجحت اخيراً وها انا اضحك الآن بل القلب على الزمان

عادت ام اولغا الى وعيها وعاد اليها رشدها وتجددت قواها لاجبار  
الاجبة وتنشق ريحهم العطر فشت معه مستندة على ذراعه وهي تسأله  
المسائل الكثيرة ولا تشبع نفسها من ذكر الاعزاء وهو يماشيا الهويناء  
ويعمل قلبها بما يفرحها وينشطها من الآمال والاخبار الى ان وصلا

محبتهما المقصودة فدخلوا والكسندر ماسك بيدها فعلت اصوات الابتهاج  
واترحاب من الاب وابنته وارقت الزوجة الحبيبة مكبة على زوجها  
المحجوب بالدموع والقبلات الكثيرة فاخذها بين يديه الضميتين  
المرتجفتين وضما بجنو وشوق اليه ومسح دموعها وقدم شكراً للعناية  
الالهية ثم لالكسندر الحبيب وقال ان حياتي وجمع شملتي بعائلتي هو منك  
ايها الرجل الشهم : الفريد : تعال وقباني ودعني اشم رائحة ولدي وحبيبي  
وطيبي ومنقذي ثم تعانقا وامتزجت الدموع بالقبلات وكانت الاوجه  
طالقة بالبشر والهناء

واشار الطيب على عمه اورفيليان بلزوم الراحة فالتقاء على فراشه  
الحشيشي لينام قليلاً وسكت القوم لئلا يشوشوا عليه لكن القلوب لم  
تسكت والاعين كانت تنطق بالحب والشكر والابتهاج فاخبرت اولفا  
امها بمجديهما وكيف لاقى الكسندر واكتشفت سر ذلك الشبح وتلك  
المناجاة ثم رمت نفسها بكليتها على الكسندر بكل شكر وامتنان وقالت  
- لقد تضاعف حبي لك حتى صار عبادة فاقبله ايها المعبود الآن  
لانك رددت اليّ والدي وجمعت شملنا وكنت سبب بقائنا وحياتنا فقال  
هذا عانده اليك فانت مصدره وانت منهله وكلنا لك وبك في الوجود  
فاذرفت امها دموع الفرح المختلط بالحزن وقالت بشهيق عميق =  
ينقصنا انت يا ابراهيم = ولدي الحبيب وفلذة كبدي ٠٠٠ وشاركتها اولفا  
التي كادت تحتق اسي لذكرى اخيها وهي لم تكن لتفتقر دقيقة كل تلك  
المدة عن تذكاره بالدمع السخين والتهنيدات

ثم سكستا وكفكفتا الدمع اكراما لخاطر الشاب الشريف الذي  
شاركهما في احساساتهما واجتهد في تغزيتهما وبعد سكوت برهة كان

بها اورفليان نائمًا براحة واطمئنان قال الكسندر ناظرًا الى عمه الضعيف:  
نحتاج الآن الى الطعام فكيف اعمل لاحصله لكم؟ لا اعلم الله يعلم

## الفصل الحادي والثلاثون

الوفد الكريم . انعام الله .

فتأوهت اولغا من كبد حرى وقالت مترنمة بما سمعته من ابراهيم  
دع التقادير تجري في اعنتها \* ولا تبتز الا خالي البال  
ما بين غفلة عين وانتباهتها \* يغير الله من حال الى حال  
لا تهتم يا حبيبي فالله يدبر ما لا نعلمه . خذ راحة لنفسك فاني اخشى  
كثيراً عليك من اتعاب وتأثرات هذا النهار اما يكفيك ما لاقيت من  
اهوال الماضي ؟

تعال يا الكس ودعني انظر مؤلف هذه العائلة وجامع شملها ...  
وكانت تتكلم بسرعة واعينها تلمع بغرابة كمن اعترتها نشأة مسكر وما  
هي الا هزة الطرب ونشأة الفرح الشديد

فزاد هذا تأثر الكسندر وكان كل لاهياً بفرحه الا هو فانه قد  
جمع في كهفه الصغير عائلة عزيزة عنده وجبت عليه اعالتها بالقوت والاماتوا  
جميعاً واخصهم المريض

فهب من مكانه بقتة يريد ان يتخلص من حالته الحرجة وودعهم قائلاً  
- احبتي اعتنوا بسيدنا المريض ولا تهيجوا احساساته واني ذاهب  
عنكم قليلاً ثم ارجع فكان هذا لهم كفراق الروح للجسد وقالوا جميعاً  
لانتركك تذهب وكل ساعة يولد لنا الدهر من نكباته ما يشيب الولدان



فخشى كثيراً عليك من طوارق الحدثن ٠٠٠

فاجابهم ضاحكاً لا تخافوا سادقي فان الذي خلصني من كل تلك  
المخاطر ومن رصاص الاعداء الذي كان ينزل حوالي كالمطر المتساقط  
لا خدعهم واجتمع بكم يحفظني الآن فان لم يكن من اجلي فمن اجلكم ٠ ثم  
خرج غير متظر جوابهم

الانسان في التفكير والله في التدبير ٠ خرج طيبنا العزيز وهو حائر  
الى اين يذهب وماذا يعمل وهام على وجهه في تلك القفار يفكر بايام الخير  
وانواع المأكولات والتأنق بها والملبوسات وزهائنها والوانها والمفروشات  
والرياش الفاخر باشكاله وتذكر حاجته اليوم الى كسرة خبز التي كانت  
تساوي عنده اصاف ثقلها ذهباً

وبينما هو يفكر يحزن بهذه الامور اذا مجلبة وضجة امامه فرأى عن  
بعد اقواماً غرباء لم يعرفهم يتقدمهم احمال وحزم كثيرة وامتعة وموئن وكان  
يقرب القوم اليه واصواتهم تملو ففطن لما اخبرته به اولفا وعلم من اوصافهم  
وسماتهم وحسن اثابهم انهم هم القوم الذين رأتهم وهربت منهم فوقف  
قليلاً ليعرف شأوهم ومقصدهم وما زال حتى وصلوا اليه وحيوه ببشاشة  
وقال اكبرهم

= الست من المنكوبين المشتتين في هذه الجبال والاكام ايها الشاب

- بلي ياسيدي كنت من اعظمهم نكبة واشدهم حسرة

- افلا تريد ان نقدم اليك بعض انعام الله عليك من ايادي المحسنين

في الجهات الثمانية من قوت وكساء وامتعة ومفروشات واغطية ؟

= هذا جل ما اتنى ايها الكرام واني اليه خرجت واصبحت مختاراً

ماذا عمل اذ لم اجد امامي شيئاً ولولا ان عندي عائلة قاصرة واحد منهم  
في حال الخطر الشديد ويلزمهم خدمتي لقتلت نفسي وارتحت من هذا العناء  
- اهلاً بك ايها العزيز فلا تيأس من رحمة الله

وانزلوا احمالهم ليعطوه ماشاء وشاء ثم افكر احدهم قليلاً وقال  
- دعونا نوصلها له لمحلله لانه ضعيف متعب لا يقدر ان يحملها وحده  
فاستحسنوا رأيه ورفعوا الاحمال ومشوا معه الى قرب المغارة التي سبقهم  
اليها واخبر ذويه ان لا يخافوا لان بعض الاصدقاء عنده خارجاً وسوف  
يدخل بعضهم لزيارتهم هناك  
فضج القوم فرحاً لكن عاد فاعتراهم الحجل لرداة المحل وعدم  
وجود مكان للضيف

انزل الوفد الكريم احمالهم ودخل كبيرهم والبعض منهم المغارة  
العفنة المظلمة ورأوا العائلة الصغيرة ورأسها المريض الذي لم يزل نائماً فسلموا  
عليهم بركة وبشاشة وعلموا من ادايبهم ورقتهم انهم من اهل الكرامة  
والطبقة العليا فحنوا عليهم جداً ورثوا حالهم ثم افرغوا كنوزهم كما عمل  
اولئك الامراء المجوس للسيد له المجد وقدموا لهم طعاماً كثيراً بانواعه  
وموئنة وثياباً وفرشاً للنوم واوعية ومتاعاً واواني للطبخ ودراهم وقال  
احدهم مشيراً لاولنا = هذه هي الشابة التي فرت من اماننا صارخة ونحن  
نفتش عليها وعلى امثالها لنزورهم ونعزيهم ونعطيم احتياجاتهم فنظر اليها  
القوم وقد اعتراها الحجل الشديد فعرفوها وقال رئيسهم =

= لانلومك يا بنيتي لهربك منا وخوفك من لقينا لانك ولا شك  
ذقت احوالاً جعلتك تفرين من العدو والصديق فليباركك الرب وليبارك

ذويك وليردكم الى الاوطان سالمين  
ثم حيوا الجميع غير منتظرين تشكراتهم الكثيرة وخرجوا ليفتشوا  
على غيرهم « جزى الله المحسنين خير الجزاء »  
وخرج معهم الكسندر وشيعهم وابدى لهم شكراً كثيراً فسألوهم  
عن الحوادث التي جرت لهم فآخبرهم مختصرأما مكن فمجبوا بالبسالة وشهامته

## الفصل الثاني والثلاثون

( مطبئة اورفليان )

اخذت ام اولغا انعام القوم وتصرفت به فاكلوا من الطعام الذي  
لم يذوقوه من عدة ايام ووجدوه لذيذاً جداً بعد تلك الاعشاب السخيفة  
والصوم الطويل وعملوا منه مايناسب المريض فاكل قليلاً وشكروا الله  
فانفتحت عيونهم بعد الطعام وتقوت اجسامهم بعد وهنها وضعفها وفرقت  
التياب على عائلتها فسكتها اولغا وصارت تبني وتقول أفضل ان ابقى  
بشايي المعزقة علي ولا البس من هذه كم وكم كنت اوزع مثلها على المعوزين  
آه من غدرات الزمان وجور الايام فاجابها الكسندر وقد ضاق صدره  
= عزيزي لاتبالي بالاوهام البسي منها واشكري الله على انعاماته  
وعلى بقائك وذويك بالسلامة ولا تبكي على خير مضى او على رزق  
ومسلوبات اما يكفي اننا بقينا في الحياة واجتمعنا بعد هذا الشتات بينما  
الالوف من اصحابنا ووطنينا قد هلكوا بسيوف الظلم ورصاص الاستبداد؟

( كل شيء دون المية سهل )

كل شيء فدى الانسان فكله يعموز لكن الحياة لاتعوض

فارغمت اولفا اكراما لحاطره ان تلبس من انعام المحسنين وقد سر  
والداها برضاها

وجلس اورفيليان وقد شعر براحة اكثر من ذي قبل وقال = كان  
فرحنا ببعضنا شديدا حين اللقاء فلم يسعنا الوقت ان نسأل بعضنا عن كيفية  
هربنا وتخلصنا من الموت الامر المهم والمستحب لدينا استماعه ولكوني  
اكبركم سناً واطرفكم جسماً وقوة ابتدي فاقص عليكم حكايتي ثم اسمع  
منكم حكاياتكم

فصاحوا جميعاً هات ياسيدي قصتك فكلنا اذان للسمع فاجاب بعد  
تنهد عميق : = كنت مضطرباً كثيراً لتغيب عزيزي الكسندر الذي كنت  
اجد به تعزية وسلوانا بعد فقدي وحيدي الحبيب ابراهيم وزاد اضطرابي  
لتفاقم الخطب في البلد والبلاد فكنت اسمع بالاهوال حوالى واستفحالها  
من ساعة الى اخرى فيعظم الامر عندي وانا لا استطيع حراكا بل كنت  
كغلول اليدى والرجلين خوفاً على عائلتي وبيتى والكسي عزيزي الذي  
فتشت باطلا عليه الى ان ابتدأت المذابح الهائلة فضاقت نفسي مع تلمي  
ببسالة قومي وحميتهم وعظم نفوسهم وشهامتهم الامر الذي جعلني افاخر  
بهم جدا حتى سمعت ماجرى للمدرسة الاميركية وكيف حميتا حامية منهم  
= حفظهم الله ورعاهم =

- فقبسم الكسندر خفية وصاحت اولفا وقد تحولت بكليتها لتسمع  
كلام ابنيها بخصوص المدرسة التي كان لها عليها الايدي البيضاء وقالت  
- كيف ذلك يا ابني العزيز ؟

فقال - بلغ رئيسة المدرسة الانسة الصابات وُ ب الاميركانية  
الحوادث الجارية في المدينة فخافت جداً ومع هذا لم تتأخر عن تأديب مآدبة

للموجودين وللثلامذة الذين حاصروا هناك في المدرسة • وكانوا يسمعون  
 العيارات النارية المطلقة بسرعة وعند الظهر ازداد الاضطراب وتواتر  
 اطلاق النار وتكاثف الدخان حتى خيل ان العدو دخل المدرسة ودهمها •  
 ولما لم يقدر الاولاد على تميم فروضهم المدرسية هب المستر تشامبرز  
 مدير المدرسة لياقي بقوة من الحرس للمحافظة على نفوس الفتيان والاطفال  
 لكنه ما عثم ان عاد سريعاً لان الثوار ملأوا الرحاب وقطعوا الطريق  
 واحتقروا كل غريب وقريب فرأى المستر تشامبرز من الحكمة ان يبلغ  
 الامر الى والي المدينة بواسطة احد الاتراك اصدقائه فلم يحفل الوالي بإشارة  
 مدير المدرسة واستراحه ولا اهتم بنفوس اولئك الاطفال بل ارسل  
 الخدم لاخت ولدين تركيين كانا هناك من قبل اهلها والمحافظة عليهما وبقوا  
 هكذا في الحصار الى المساء وقد علا البكاء وعظم الخوف الى ان كانت  
 الساعة التاسعة مساءً فطُرق باب المدرسة بعجلة وقوة شديدة فخافوا ان  
 يفتحوا اولاً الا انهم علموا ان الطارق هو القنصل الانكليزي - الملاجور  
 دوطي - الذي انتعشت نفوسهم بقدومه وقد اتى خصيصاً من مرسين ترافقه  
 كوكبة من الفرسان لما سمع بخطارة الموقف والاضطراب في اطنه لحماية  
 المدرسة واقتادها

وبعد ان اطمان باله بان لم يصيبهم اذى وضع لحمايتهم ثلاثة من الجنود  
 للحراسة على الباب وذهب موصياً الجنود بالامانة والشجاعة والمحافظة الى  
 ان يعود اليهم ثانية •

لكن اولئك الجبناء لما رأوا كثرة عدد المهاجمين وان قوماً منهم هم  
 من الجنود الاشرار المشاغبيين الذين اتحدوا مع الثائرين بدلاً من ان يحموا  
 المدينة ويهدموا الشعب وان كثيراً من العيارات النارية كانت تأتي من



الجيران الذين عرفت اسماءهم المدرسة ٠٠ فرأوا هاريين بعد ان اطلقوا بنادقهم مرات كثيرة للارهاب .

وازداد الهول وتفاقم الخطب لقتل المرسلين الاميركيين المستر مودة والمستر دودجر الذين أتى حالاً بهما الى المدرسة وكان مهمما القس اسطفان كوبريدج . ففر هارباً ونجا من الموت لان رصاصة اطارت بقتله عن رأسه وكانت امرأة احد القتيلين وطفاتها الرضيع على ذراعها جالسة تندب سندا كبراً فقدته وقد شاركتها البنات والمعلمات اللاتي زدن ارتعاباً وهولاً لتلك المفاجعة .

وبعد قليل سمعوا صوت نفير القنصل الانكليزي والضباط الاتراك الذين يخفرونه وقد وعدهم بارسال قوة أخرى . وكانوا قد ايقنوا بالموت وعدموا كل معين ومحافظ حتى ان البواب الشجاع الامين الذي كان لهم اعظم امل فيه فر هارباً ٠٠ وفي تلك الليلة اقتربت منهم جماعات الارثوذكسين والبروتستانت ووقفوا في حصار منبع يردون مهاجمات الثائرين من الاكراد والشرکس والجنود مع الضباط . والباشيزق وغيرهم من الرعاع الذين اشهروا حرباً آكلة نارها .

انما كان اعتمادهم على عصبة من الارمن وهي حامية شديدة البأس حاصر رجالها حصاراً يذكر لهم بالثناء واخذوا نلى عاتقهم صد غارات الاعداء وكبح جماح اطماعهم فكانت بنادقهم متواصلة الطلق حتى اعياهم امرهم فطلبوا الى المهاجمين ان يرجعوا عن هذا الممهد العلمي او ان يقولوا ماذا يريدون بواسطة مندوب يفاوض مدير المدرسة فاجتمعوا بالملئات والالوف وراموا الدخول . فتمهم الارمن وعزموا على الخروج لمقابلتهم

حيث تسحق القوة القوة وافهموهم انه لا يمكنهم الدخول الى المدرسة ولا يتسنى لهم ذلك ولو بقوا شهوراً .

فشكرت رئيسة المدرسة ومديرها حمية القوم وبسالتهم شكراً جزيلاً . واخيراً رأت ان ينسحب البنات من المدرسة من الباب الداخلي ( الخلفي ) بالترتيب الى بيت المستر تشامبرز . ومروا في الشوارع بحجة عظيمة . وكان المستر طوبريدج الذي فر كما ذكرنا من الموت برصاص الاعداء قد ذهب الى دار الحكومة لرفع الشكوى واقامة الدعوى . فاصطحب اربعة من الجند لحمايته ففر منهم اثنان على الطريق خوفاً من الارمن على قولهم . وتركوا الرجل يخطر وقلق عظيم فارسل كلمة الى الحاكم وتربص في مكانه . وهو ينظر الموت بينه الى ان وصلت فصيلة مؤلفة من ١٥٠ جندياً لانقاذهم .

وهكذا كانت الذكري للارمن عظيمة وقد رنت بسالتهم في الافاق وازدادت تلك الشهرة قائد تلك الحامية الذي كان لا يهاب الموت . ويهجم على الاعداء بقلب من حديد ويفرق شملهم إلا ان الكثرة تغلب القوة . فان الجنود التي وجدت لتحيي البلاد انضمت الى الاعداء الثائرين وفعلت ما فعلت من الهلاك والموت والحراب .

---

وبعد ان استفقدت محلي اقبلته ورجعت مسرعاً الى بيتي لاستفقد عائلتي واخرجها خارج البلد فرأيت لشدة ذهولي وازدياد تعاسي دخان بيتي يتصاعد الى السماء فكادت تذوب حشاشتي هلعاً والتياغاً خوفاً عليها وكان يخامرني الشك انها هلكت داخله او ذبحت كما حدث للكثيرات والكثيرين من السكان فصرت ادور وانا في حالة اليأس الشديد حول

اليث ثم في الشوارع والممرات اقتش هنا وهناك فلم ار لها اثرا بل  
كنت ارى في الطريق الدم يجري كالداول والرووس ترمى في الاسواق  
والكلاب تسحب قطع الاجساد البشرية بدون مانع والقتلى تداس  
بالارجل والجرحى يموتون تحت الاقدام لما يشيب له الرضيع وترتعش  
له الابدان

ولم اكن لاكثرث او اسمع دوي الرصاص حوالي او ربما علي  
الى بعد حين بعد ان قطعت رجائي منكم انتم الثلاثة  
فاستيقظت من غفلتي وعادت الي شجاعتى وعظم ياسي فقلت الان  
اموت موت شجاع فسحبت سلاحى واستعملت بارودى ورصاصى بدون  
اهمال ولا اسفاق فقدرت اني اخذت العشرات في طريقى

ثم تصور امامى ابراهيم حبيبي وبهجتي ووحيدى فصحت بجنون  
وكنت حينما اتوجه اكش الناس من طريقى كالجراد الى ان كان المساء  
وتراحم علي الاعداء ونزل علي الرصاص متتابعاً من حيث لا ادري  
فسقطت قتيلاً وقد سقط معي مئات من الناس اصدقائي واحباي ومثلهم  
من اعدائي واضدادى ولم ادر الا وانا في هذه المغارة يعتني بي حبيبي  
ومخلصي الكسي الذي رآني حين سقوطي فانتشلي وحملني وكنت متغيماً  
او مائتاً من كثرة نزف الدماء فلم استيقظ من غيوبتي لبعده مدة ورايت  
وجهه الجيب فوقى ويده الكريمة تعالجنى وادويته وحشائشه تحمد آلامى  
وتضمد جراحي البليغة وكنت اتقلب على فراش الضعف والالم  
الذي اصطنعه لي واذا كركما كثيراً لكن ليس امامه بل غالباً وحدي ..  
لاني رأيت من تجلده العجيب ما ادهشني اذ لم يذرف دمعة واحدة  
امامى ولا ذكر اسمك مرة بجزن وتاوه على مسمعي فعلمت ان النار تحت

طيَّ الرماد في قلبه الشجاع يخفيها عني ببسالة غريبة شفقة عليَّ  
 - آه تقدم وقبلني يا الكسي ودعني اشم رائحتك المنعشة لقلبي ...  
 فتقدم الشاب والدمع يترقرق في عينيه وقبل عمه بحب وحنان وضمه  
 اورفيلان اليه بشوق شديد وتنشق ريحه وبكى عليه وتشارك الكل في  
 البكاء ثم قال : هذه حكايتي الى ان جمعي الله باحبائي " فاني له من  
 الشاكرين " ويحق لي ان اقول الآن " اطلق يارب عبدك بسلام : لان  
 عياني رأتا خلاصك "

ليس من حاجة بعد في نفس يعقوب والآن هاتوا واخبروني  
 حكاياتكم لاعلم سر بقائنا في الحياة وعناية الله بنا واجتماعا العجيب هات  
 ما عندك يا الكسي لانك المفارق الاول للعائلة ..

## الفصل الثالث والثلاثون

( مهرب الكسندر )

سادتي : بعد مقتل عزيزي ابراهيم ومرض اولغا كانت الدنيا ضيقة بي  
 ونورها ظلاما لعيني وتاكدي ان دلائل القلب لا تحيب فرايت بعيني  
 الحراب القريب وتمثلت لدي احوال وحروب وظلمات ودماء فكنت  
 ارى الالوجه مغبرة والناس في همس مستمر والبغضاء تلوح على الالوجه  
 وتقرأ في الاعين فاحيت ان اكون على استعداد قبل الوقت لاني رايت  
 ان لا مفر من الموت ولا نجاة من الويل الا تي وكان دي يغلي حقداً  
 وغيطاً من القتلة الاردياء الذين سفكوا دم ابراهيم واهانوا اولغا واطفأوا  
 نور الليت العزيز

فودعتم وداعاً اعتيادياً ولم اخبركم بعزمي على الفراق الطويل وربما الموت وذهبت الى بيتي وتنكرت في زي غريب وقتلت القاتل ظهر النهار في وسط الازدحام ومرقت كالسهم بين الجمهور قبل ان يستفيقوا من ذهولهم فلم يستطع احد ان يلحقني باذى حتى ولم يعرفني احد ايضاً وعند مروري في اليوم الثاني رأيت وسمعت واحداً يتكلم بالازدراء والتهكم على المرحوم ابراهيم بعبادات لاتليق فتجاولت واياه ونصرني الله عليه بان ارديته وجندلته ومشيت في طريق ثم اختفيت عن العيان والناس في ضوضاء عظيمة يصرون باسنانهم علي ويعجبون بشجاعتي ولا يقدرّون على لحاقى او معرفتي ..

فتأوه اورفليان وشرق بدموعه وقال : علمت هذا في وقته وعرفت انك الفاعل لتشار لحبيك ابراهيم وعمك المسكين اورفليان الحزين ثم اخبره بحديث ابراهيم مع ذلك المتهتك الذي لاقى اثار رداوته

فتمجّب الكسندر وتأسف لعدم معرفته هذا في وقته . وقال

- اخفيتني عنى اعمال البغاة ولكن الله هداني اليهم لانتقم منهم -

وعلى الباغي تدور الدوائر = ثم عاد الى حديثه فقال : - ثم بعد ذلك بقليل صارت المذابح المشهورة وكنت انا رئيس حامية مدرسة البنات تتبعني زمري من الارمن البواسل لاني رأيت ضيقها فاكّدت حمايتها وكنت في تنكري المجهول غريباً عند الاقوام فاحطت بالمدرسة وكنت ارد عنها هجمات الاعداء بسيفي ورصاصي وبسالة اتباعي الذين لم يملوا من اطلاق النار المتتابعة .

ثم بعد ذلك خلصت عدة من النساء والاولاد من سيوف الاعداء والمقتربين ووجهتهم الى البرية وها اكثرهم يتجول الآن في هذه القفار



وكان عدد ما اطلقت من الرصاص يفوق الاربعمائة رصاصة عدا السلاح  
الابيض وما تكسر وتمطل منه بيدي

وقد سقط عدة من اتباعي برصاص الاعداء فما كان هذا ليزيد البقية  
الاحثقاً وبسالة .. وقد اضيف اليهم اضعاف الذين سقطوا وبعد ان  
خدمت الانسانية وخلصت كثيرين من الموت الزؤام ونكبت به كثيرين  
من المعتدين بحد الصارم التبار وهذا الموزر والمسدسات قصدت بيت  
احبتي الذين ودعتهم ولم اعد اسمع عنهم شيئاً بل ظننتهم في امان وان يد  
العدو اقصر من ان تصل اليهم بسوء فرأيت دخان البيت يتصاعد متكاثفاً  
الى السماء ورأيت الارض قفراً والمزار بعيداً بدل النور ظلام وبدل  
السلام قام وبدل الحب جفاء وبدل القرب شتات وبدل الحياة موت  
فنظرت الى الجيرة فرأيت الهدم والحريق من كل جهة - وكنت  
ادوس على جثث القتلى واغرق بدماء الانسان وقد هالني هذا المنظر  
فكنت افتش عبثاً هنا وهناك فاعتراني اليأس الشديد وزادني جنوناً انين  
الموتى وحسرة النزاع في كل ناحية وهم يداسون تحت الارجل بدون  
شفقة او مساعدة

فقلت حان وقتي ودنت منيتي لارغبة لي في الحياة بعد الآن ولا امل  
لي فيها فخاربت حرب الابطال وكنت اندفع كالسيل الى ساحة القتال .  
فاذعرت الاقوام وشردت الفرسان والاقبال وتضرجت بالدماء مراراً  
كثيرة لكن لم اسقط امامهم فكانوا يحسبوني من مرده الجان ويفرون  
امامي اينما وجدت ويتمنون قتلي ويجاهدون لاجله اكثر مما كنت اشتيه  
لنفسني لكن يد العناية كانت تحميني رغماً عن كثرة ما اثخنت به من الجراح  
ولم تسمح بي لامر كنت اجهله وقد انجلي لي الآن ..

وكانت حاميتي من رجال البأس اتباعي تحمي ظهري وبعضهم ياخذ  
 يعني ويساري • وقد سقط منهم العدد العديد الى ان كان المساء فرأيت  
 من بعد رجلاً سقط قتيلًا وقد جاهد جهاد الابطال وحلت رعبه في  
 قلوب الاعداء واردى الكثيرين وطار له صيت في تلك المعامع الغياة  
 فشعرت بميل اليه فاسرعت اليه وانتشلته والدم يتدفق كالانابيب من جراحه  
 وتاملته فاذا به سيدي العزيز « اورفيلان » خملته وتركت اتباعي واسرعت  
 متخفياً وهم يسرون ورائي لحمايتي وقد سترتني العناية وجيوش الظلام  
 فتركني القوم لعناية الله وسرت الى هذه البرية ثم المغارة وعندكم الكفاية

~~~~~

فصفق القوم طرباً للشباب الشجاع وكادت اولغا تطير فرحاً بعمله
 المجيد وبسالته ونبالته وحميته النادرة فقالت امها :
 - حياك الله ايها البطل العزيز وجزاك خيراً •• اما حديثنا نحن فبسيط
 لا يجتمل التطويل

لما خرج سيدي اورفيلان ليستفقد محله وامواله ويرى الاحوال سمعنا
 رصاص الاعداء يدوي حوالينا وقد خرق الابواب والنوافذ ودخل الينا
 فصرنا بخوف عظيم ثم سمعنا ضوضاء عظيمة •• رأينا بعدها اللهب يندلع
 من جوانب البيت فاسرعنا الى الهرب من باب الجنيحة الصغير بدون ان
 نأخذ شيئاً من حاجاتنا • وخرجنا الى الاسواق فراينا عن بعد حامية عظيمة
 من الرجال البواسل تسوق النساء والاطفال الى البرية ويحملون على عاتقهم
 من قصر منهم ورأينا رئيسهم بزي غريب وقد صبغته الدماء فلم يعلم من
 هو لكن رأينا من حميته ما جعلنا نود ان نسجد امامه لو تمكنا من الوصول اليه
 واطنه انت ايها الحبيب •

- فبسم الكسندر قليلاً مجزئاً وقال - نعم ياسيدي انا هو .
 فقالت - ثم اسرعنا ركضاً . وقد فقدت الخادمة من بيننا حتى لحقنا
 القوم بعد ان رجعت عنهم الحامية . وسرنا في هذه القفار نقتات باعشابها
 وننوسد ترابها ونصرف اوقاتنا بالندب والتعداد وبكاء الاحباب . الذين
 جمعنا واياهم والحمد لله الآن .
 فترغرت عينا اولغا بالدموع ورفعوا جميعهم اعين الشكر لله وكل
 يُقدر انه أسر الجميع بملاقات احبائه
 نتركهم وشأنهم وناتي الى :

الفصل الرابع والثلاثون

العاصمة وسلطانها الجديد

القسطنطينية العظمى مقر بانيتها قسطنطين الكبير وخلفه الملك
 يوستيانوس المبنية على سبع تلال والمؤسسة سنة ٣٢٥ بعد المسيح . القائمة
 بمرکز جيوغرافي منيع لا يقوى العدو على احتلالها بسهولة مقر بني عثمان
 العظام التي دخلها محمد الفاتح بموكبه العظيم بعزّ وجاه وفوز مبين سنة
 ١٤٥٣ التي تقلب على عرشها الملوك اثني تسعة وعشرون سلطاناً متحدرين
 من سلالة عثمان الغازي النيلة . الا ان انتهى عرشها الى جلالة محمد الخامس
 الذي افتتحت القسطنطينية ثانية له بقوة الجيش المظفر . وقد اصبحت
 موضوع العالم الشرقي والغربي لما جرى فيها من الانقلابات والتغيرات
 السياسية من الحكم الاستقلالي سنة ١٨٧٦ الى الدستوري ثم الانقلاب الى
 الاستبداد والحكم المطلق والعبودية والظلم . ثم بعده الى الشورى والاخاء

والمساواة في الرابع والعشرين من تموز الماضي • حيث سارت تركيا الفتاة
ثم سقطت جمعية الاتحاد والترقي فجأة لانقلاب ١٣ نيسان الماضي • ثم
خامساً انتقل السلطة من عبد الحميد الى اخيه محمد الخامس في ٢٧ منه حيث
نحن الآن • وقد انتشر لواء الشريعة العسكرية • وتغيرت هيئة السيامية
والهيئة الحاكمة فصرنا نسمع كل يوم خبراً جديداً عن مقتل هذا الامير •
وذلك الضابط • وذيالك الوزير •

والسر في هذه الاجراءات • انما هو ارباب المتشبهين باهداب السلطان
القديم • وكبح جماح المتطرفين في اقوالهم واعمالهم • وغل آيدي من ينوون
الحاق الاذى بالدستور •

وقد قامت في الاستانة حرب طاحنة ملأت بها القتلى الشوارع كما ذكرنا
سلفاً • وكانت محلة بيراميدان الكفاح وسرير الجثث الى ان عقد النصر
للاتحاديين فاستولوا على المدينة بأسرها واهمها قصر يلدز وسلطانة المطلق
حيث انزلوه واجلسوا مكانه سلطاننا المعظم (محمد الخامس) الذي غير
الهيئة الاولى واستبدل تلك الفخامة والبهجة والزين الباهرة بهيئة الحكمة
والكمال والبساطة • ولم يقبل من كل اولئك الالوف من الجنود الحامية
لاخيه • والجواسيس والقرناء • والكتبة • والمستخدمين • والحجاب • إلا
ما قل فغير خطة عبد الحميد تماماً •

وطاب جلالتة ان يكون لديه عشرة من الحراس المدربين • وكاتما
اسرار • اول وثاني • وبعض الكتبة والحجاب والمستخدمين • وجعل بلاطه
كبلاط ملوك اوربا • خالياً من تلك الفخامة والعظمة البطالة التي استهلك
اموال الدولة وافرغت خزائنها •

ومن امانى سلطاننا الجديد أيدهُ الله . التجّول في انحاء السلطنة العثمانية في اوربا وآسيا لتفقد شوؤن الرعايا والنظر في حاجياتهم وهي ماثرة كبرى وعادة قديمة انتهجها ملوك العرب الاقدمون المتصفون بالعدل والحلم والشجاعة وقد ارتأى جلالته ان تكون دائرة المحكمة على غاية الاتقان ومستكملة شروط المحاكم الدستورية . وقال :

(ليست رغبتى في السلطة بل القيام بخدمة الوطن .) فليعش (محمد الخامس) وقد اهتم جلالته اهتماماً عظيماً في حوادث أطنه . وامر باقامة العدالة وعدم تضييع حقوق المظلومين والاقتصاص من الثاينين والقتلة . وقد زار حرس الجنود الدستوريين . واوصى لهم بكمية من الساعات تذكاراً في سبيل الشورى وقد سمي بخته السلطاني باسم (الدستور) وبهتمة جلالته ان يقدم له كل يوم كتاب عن اعمال الحكومة فحدث ان تأخروا عليه يوماً فقال لحاشيته وهو مستاء « علينا بالعمل فقد علمني والذي انه لا ينبغي ان يؤجل الى غدا ما يجب ان يُعمل اليوم »
ومر بحاشيته ذات يوم فراهم يعملون بهمة فشكرهم وقدم لهم مقداراً من الذهب فابوا اخذه وقالوا :

- نكفي من جلالتم بكلمة شكر ونظرة استحسان أيد الله سلطانكم الدستوري ومتعنا بطول بقائكم الشريف وجعل الامة جميعها على شأكلتكم . الحمد لله قد رجعت صحة مولانا المعظم الى اصلها الحسن ولمت عيناه وازدانت كلالته بما زينه به الله من المناقب الشريفة وميزه به من الصفات الحسنة . التي اخصها العفة . والمحبة . والشفقة لرعاياه مع العدل والمساواة دام الله ملكه . وتأيد عرشه . وحفظ انجاله الكرام . ورجاله العظام .

الفصل الخامس والثلاثون

— قصر الـتـبـني وساكـنـه عـبـد المـجـيـد . الرـسـالـة —

بُني هذا القصر سنة ١٨٩٩ مساحة ارضه ٩٢٧ ذراعاً وفيه ٣١ مسكناً وطبقته السفلى معرضة للشمس والهواء . وبلغت اكلافه عشرة آلاف ليرة ونقشه ودهنه اربعة آلاف ليرة . ومساحة القصر مع الحدائق التابعة له ٤٠ الف ذراع معماري . وتنوي الحكومة ابتياعه الآن

هناك يقيم سلطان الامس عبد الحميد بصفة اسير . او سجين . وقد سيق ايضاً من يلدز الى سـلـانـيـك ٧٦٠ رجلاً وضعتهم الحكومة في الاماكن التي قررتها لهم .

وتحضر اليه لوازمه باسم رئيس بلدية سـلـانـيـك اسماعيل حقي بك وقد ارسلوا له من يلدز بقرات حاويات ليا كل البانها وهو لا يزال على عادته وهو اجسه التي ظن انها فارقتة احياناً لكنها كانت تعاوده بسرعة فهو مصاب بمرض عصبي وافكار كثيرة يجب الانفراد لا يدخل عليه غالباً إلا نجله الصغير . وما زال ياكل بيضاً منذ وصوله الى سـلـانـيـك الى ان تمكن طباخهُ من طبخ اكله الخاص . متبعاً طريقة يلدز براقبة الطباخ . واختم على المآكل بطابع الكلارجي . مُحسن بك . حيث يفكه السلطان بعد تدقيق الطابع .

ولا يريد ان يقربه احدٌ من الخارج . وقد استدعى خياطاً ليصنع له اثواباً تقاس طولهُ عن بُعد . وقد أعدت له بلدية سـلـانـيـك ٨ فرشات عند وصوله لان عادته في ملكه ان ينام كل يوم على فراش جديد . ولما كان ولعه بالحيوانات شديداً أو جُـد بعده في يلدز من جملة الوف

الاطيار والحيوانات والاقفاص ٢٠٠ الف زوج حمام لكن حنانه كان متوجهاً الى هرة كان يحبها حباً شديداً وكتب مع الدجاج والديوك فطلبها فارسلت اليه محفوظة ضمن الاقفاص والهرة تدعى «لولو» والكلب يسمى «فستق»

وقد تعذر على لجنة التفتيش في يلدز معرفة محل منامته الحقيقي وبعد البحث علموا انه كان ينام على انواع الكراسي المسماة «كنباي» حتى لا يعلم احد مكانه في الليل

اليك يامليكي السابق اسوق كتابتي ايضا :

وعدتك بمتابعة رسائلي اليك فاخبرك ان المشائق علقت في الاستانة وشنق العدد العديد من الضباط والجنود وكتبة الجرائد من كل من يتمون اليك فقد حكم باعدام ٢٠٠ ضابطاً و ٥٠ جندياً و ١٠٠ متمشياً و ١٤٠ جاسوساً و ١٣ نفساً من قتلة المرحوم الامير محمد ارسلان

وغصت السجون بالذين قبض عليهم وسوف يحاكمون في المحاكم العرفية والاعدام يجري يومياً في الاستانة والمجالس العسكرية تحاكم المجرمين ويأتون بالمتهمين من الجهات العديدة ليحاكموهم ايضاً وقد جرد السر عسكر السابق رضا باشا وصودرت املاكه وحرم عليه بالنفي ٥ سنوات الى مدلي ومثل ذلك على راتب باشا والي الحجاز السابق ٥ وسعد الدين باشا قائد مركز استانبول ٥ وزكي باشا مشير الطونجخانه ٥ واسماعيل باشا مفتش المكاتب العسكرية ٥ وممدوح باشا ناظر الداخلية السابق ٥ وحسن رامي باشا ناظر البحرية ٥ وتحسين باشا باشكاتب المابين ٥ ورشيد باشا (١) امين

الشهر في الاستانة . وراغب باشا احد القرناء . فمنهم من نفى الى مدلي .
ومنهم الى رودس . ومنهم الى عكا .

ثم اخبركم عن حزبكم المسمى حزب التقهقر في ديار بكر انهم
قاموا يريدون ايقاد الثورة في ديار بكر حسب امركم والايقاع بجمعية
الاتحاد والترقي ومناهضة الارمن والنصارى فاشعروا بهم والقوا القبض
على جواسيسهم فاقرؤا ان نيازي الديار بكري ورفقانه هم الذين اوغزوا لهم
اما نيازي ففر الى قبائل الاكراد وسادت الراحة الى ان كان يوم جلوس
السلطان الجديد وقامت جمعية الاتحاد والترقي والارمن بالزبنات الباهرة
وفياهم عند الوالي جاء نيازي وسيف الدين باشا ومحرم زاده بكر افندي
وكور حاجي ابراهيم بملابسهم الرسمية فانقض عليهم الجنود ومزقوا
ملابسهم الرسمية واوسعوهم ضرباً وسجنوهم وقد جرح سيف الدين باشا
ومرض نيازي فشاع الامر وساد السكون وقضي على حزب الاستبداد
القضاء المبرم واخيراً القي القبض عليهم جميعاً

وهم الافندية نيازي المذكور . سيف الدين باشا . عبد العزيز خالص .
فخري بك . الشيخ نور الدين . عبد العزيز عفت . الحاج ابراهيم . مفتي زاده .
عبد الرحمن . محرم زاده بكري . محمد رشيد . احمد صاحبي . الشيخ موسى
والاغوات ذو الفقار مصطفى . نجيب . محمد . الدلال . محمد . وقد وصلوا يوم
الاربعاء الماضي الى بيروت مرسلين من حلب الى الاستانة وليحاكوا في
الديوان الحربي ويلاقوا جزاء ما جنته ايديهم .

وتقدم يومياً اوراق الاحكام الصادرة من المجلس العسكري العرفي
بإعدام المجرمين لتصادق عليها الحضرة السلطانية .

وقد تحقق من الاوراق الخفية التي وقعت بايدي الاتحاديين ومن

الرسائل البرقية الطائرة في تواريخ مختلفة ومن اوامر ودراهم وجدت في
جيوب القتلى من حزب التمهقر كما يسمونه . ان لكم اليد الطولى في المذابح
التي قامت في الاناضول التي ترتبت لتوافق الثورة في الاستانة فتكون
العاصمة مرسحا لهياج الجيش والولايات الاسيوية ملعبا لخيول التعصب
الديني وان كل الاوامر المعطاة للفاتكين والشاين هي باسمكم وصادرة
عن قصركم يلديز مبعث الولايات والشروع كما قالوا

لكن ثبتت برائة برهان الدين افندي نجلكم (لانتهامه باعداد
الموامرة ضد الدستور) بعد تحقيق قانوني وضرب صفحا عن قضيته لكنه
سيحبس في سلايك عندهم وبقي انجالكم سيقمون في الاستانة في
قصور مخصوصة لهم

وقد قدموا ٣٠٠ حصان من جياد خيلكم للجيش المظفر

كنت اخبرتكم سابقا عن كنوز يلديز والان اخبركم ايضا ما صار
بعد ذلك . وجدت لجنة التفتيش في يلديز خمسة بياتو يعزف عليها الالاتيون
لتفريج كربكم وعشرة آلاف مسدسا للدفاع في قصر النجم الفخيم وعثروا
على ايكاس كثيرة ملائى بسبائك الذهب المخبئة حين الحاجة وكشف
هذا السر كان بواسطة نادر آغا رئيس الحصيان الاول القديم عندهم الذي
اعترف بوجود هذا البكنز الثمين في حفاز يلديز ولا يزال التفتيش قائما
في القصر حتى تفرغ اللجنة بمجهودها وتياس من ايجاد دفائن بعد

ثم بعده وجد كل النفائس والهدايا التي اتكم من ملوك وامبراطرة
اوربا في اوقاتها المختلفة فنقلت الى قصر طولمه بنفجه موطن السلطان الجديد
ونقلت كل الطيور والحيوانات والوحوش الى موضع عمومي لتكون

معروضة لانظار المتفرجين فاصبح يلدز الذي هو اشبه بمدينة جميلة مستكملة
شروط المدنية وقد يزيد بها بجاهااته وفخامته وعظمته خالياً من كل ذخائر
وبقاياكم حتى ان محاطيكم تركز القصر والتجآن الى دور الاعيان فلم يبق
فيه الا الجند المحافظ وقد سمح لكتبة الجرائد واهل الصحافة مع بعض
السائحين بالتجول في ساحاته والنظر الى جناته وباحاته

لكن الامر الذي حير الجميع هو وجود كتب ثمينة في الاصطبل
الخاص وقد وجدوا خزانة ملاءى بالكتب الثمينة النفيسة منها ٣٠ مصحفاً
وكثيراً من الكتب الفقهية النادرة فأرسلت الى نظارة المعارف وسيحققون
عن واضي هذه النفائس في الاصطبل .

انما الغريبة التي زادت اعجاب القوم وادهشتهم انه وجد في قصر كم
جريدة يعلمكم كاتبها بان منطاداً سياقي من باريس ويخطف - رشاد افندي -
ولي العهد آنثذ (اي جلالة السلطان الان) ويوسف عز الدين افندي نجل
المرحوم السلطان عبد العزيز .

فهذا غلط الخواطر عليك يا ملك الامس وضاعف ذنوبك في اعينهم
وجعل في انا ايضاً تأثيراً شديداً

ثم الذي زاد الطين بلة والعلة علة هو تحرير اخيك السلطان (مراد)
اليك الذي نشرته الصحف وتداولته الاقلام وكان له وقع عظيم في النفوس
الا وانه صدر من سجين مظلوم ينطق من اعماق سجنه ويبيدي النصائح
التمينة الراهنة من ظلمات اسره الذي كان مكتوماً قبل الآن لكن كشفه
الدستور الناطق وحرية الزمان الحاضر

والذي زاد الطنبور نعمة هو ما اعلنه الامير صلاح الدين نجل السلطان
مراد . قال وهو يبكي انه لما توفي والده لم يحسر احد من الدنو منه ليقبسوا

طوله بغية ان يصنعوا له تابوتاً فصنع التابوت بدون قياس ولدى وضعه فيه وجد التابوت قصيراً فاراد اثنان من الجواسيس هما محمد باشا واسماعيل باشا عمل طريقة لتقصير الرجلين فلم يستطيعا وفي ذلك الوقت خاف السلطان عبد الحميد ان يكونوا اشاعوا موته وهو حي ليخرجوه من القصر فبعث عدداً من الاطباء لفحص الجثة فاخذوا يجزون رأسها بالدبابيس حتى تحققوا الموت وفي اثناء ذلك كسر اسماعيل باشا رجلي السلطان مراد برجله فامكن وضعه في التابوت ثم حملوه وخرجوا به وقد قص الامير هذه الحكاية الفظيعة وهو يذرف الدموع الحرى . اه .

فاعترف لك يا صديق الامس اني بعد ان عرفت هذا كله لست اذنا اليوم ما كنت غداً .

بل اني اعترف الان بالعبودية القلبية الصادقة لجلالة السلطان الحالي (محمد خان الخامس) المعظم نادماً على ما كان مني من الاخلاص في الماضي اكم لاني كنت مساقاً بجهالتي محمولاً بغباوتي لم ادر اني في بحر الظلام تاخذني تيارات الاوهام وتتقاذفني امواج الضلالة فاننا الحمد لله قد استفقت من غباوتي وغيبوتي الان وصرت ابصر ما كنت اعشى عنه في ذلك الزمان .

لكن لا بد لي ان ابر بقسمي فسوف اكتب لكم رسالة أخرى اخبركم بها عن بقية ما علمته وساعلمه عنكم وبمدها تنقطع المكاتبة بيننا : والسلام =

الفصل السادس والثلاثون

الرسالة الأخيرة

بعد السلام عليكم - اخبركم بما تكنه رسالتي الاخيرة . كانوا يفتحون

صندوقاً من صناديق يلدز فعر عليهم فتحه فاحضروا له عاملاً فاشار
العامل الذي استقدموه أن يبعد الحاضرون • واخذ يعمل وهو منحرف
عنه فما فتح الصندوق حتى انفجر منه عدة طلقات نارية بجركة القفل •
وهكذا تظن اللجنة الفاحصة في بقية الصناديق ومكان اقامتكم السابقة
لان هناك ابواباً خفية وغرفاً مدرعة • واخشاباً متحركة • وتماثيل تشبه
واشراكاً وفخاخاً وغير ذلك من آلات الدهاء •

فازداد عجب اللجنة من مخابضكم • وقد وجدوا لكم ثلاثة تماثيل خشبية
تشبهكم تماماً يعسر على الناظر اليها ان يحسبها تماثيل •
ثم وجدوا صفيحة صور عليها مدحت باشا واعوانه بشكل يدل على
الحُب والاحتيال وقد قصدتم حضرتكم ايجاد هذا الرسم والاحتفاظ عليه
لتظهروا للعالم ان الذين يمهدونهم احراراً انما هم قومٌ خبيثاء لا دين لهم •
والصفيحة موجودة عندكم بمزيد الاهتمام •

وقد انبأنا قومندان الفيلق الثالث والجيش الزاحف • حضرة الفريق
(١) محمود شوكت باشا • انه في ٤ مايس الجاري سُنق كلٌّ من كاظم
افندي يوزباشي المدفعية • و خليل آغا ملازم المدفعية • والافنديه عمر شوقي
وحازم من افراد البوليس • واسماعيل التكنيجي من المتطوعين وهم ممن
ثبت في ديوان الحرب العرفي اشتراكهم في الاختلال العسكري • الذي
حدث في دار السعادة في ٣١ مارت وحكم عليهم ديوان الحرب العرفي
بالاعدام • فانظروا •

ثم قدّروا الضائعات في ايامكم • الروم ايلي الشرقية • دوبرويجة • الجبل
الاسود • البوسنه والمهرسك • طاشليجة • نيس • تساليا • ابيروس • تونس

باطوم • ازدرهان • قبرص • وبمجموع سكانها ٧ ملايين و ٨٠ الف نسمة
وقفاها بامتيازات جزيرة سيسام وتكاد السلطنة ان تفقد كريد من آثاركم •

ثم يقدرّون كرمكم وبخلكم فان عندكم المزيّتان البخل والكرم • ولما
زاركم امبراطور المانيا اهديتم الامبراطورة كل ما راق لسيها من الجواهر
القيمة • عدا ما اهديتموه للامبراطور •

اجل كان المرحوم السلطان عبد العزيز اشدّ بذخاً منكم فقد بلغ ما
انفق في عام واحد ٢٢٢ مليوناً وكانت عربية فاطمة سلطان امرأة عبد العزيز
من الابنوس الخالص • وعجلاتها فضة ومظلتها مرصعة باثن الجواهر •
ومشطها من اللؤلؤ المرصع بالفيروز •

لكن لا يخفى انه كان عندكم من مأموري التشرّفات ومساعدتهم
١٠٦ ومن الكتاب ١٠٠ و ٣٠ للملابس و ٦٠ طيباً و ٣٠ صيدلياً و ٥٠
صياداً و ٣٠ منوراً و ٣٠ لحمل المشاعل و ٢٠ للقهوة و ٥٠ للمكتبة و ٢٠
مترجماً و ٤٠ لخدمة الاصطبلات و ١٠٠٠ للغرف و ٤٠٠ للمطبخ و ٨٠٠
للموسيقى والتمثيل و ٣٠٠ آغا و ٥٠ حلاقاً و ٤٠٠ بستاني و ٣٠٠٠ امرأة
و ٢٠٠ الباني و ١٠٠ تجّار وكان هذا الجيش الكثيف ياكل عشرة اطنان
من السمك في الاسبوع و ٩ آلاف كيلو من الخبز في اليوم •

سألتكم بالله كم كان هذا يستنزف من مال الدولة • وكم كنتم تسرّقون
وتبذخون من بيت المال • وكثير من رعاياكم يتضور جوعاً ويثن راحاً تحت
ثقل الظلم • والسلب • اه •

كم هو الفرق بينكم وبين اخيم الذي يشعر بالحنان والشفقة لكل
دوايره ويهتم باسعاد كل افراد رعيته • اظنكم صرتم تشعرون بالشفقة الآن

أكثر من قبل . لانكم جربتم بنفسكم والدهر علمكم كيف يكون أنين المكلوم
وكبس قوة اليد الحاكمة والتضييق على النفس
لكنه بلغني انه زالت مخاوفكم والحمد لله نوعاً في سلا نيك . فهذا
يفيدكم صحياً وانكم تمشون في الحديقة . وينار قصركم بالانوار ليلاً . وورد
على قصر آلا تيني ٢٠ عربية من الامتعة والرياش وفي اول ليل تفقدتم النوافذ
والابواب . لتتحققوا متانة الاقفال والحديد . وكنتم تابون تناول القهوة
واللبن واللحم بل الماء . لكنكم تدخنون كثيراً إلا انكم اخيراً صرتم
تتناولون الطعام وجعلتم الحمام على الطرز التركي . واخذتم تحدثون الضباط
الذين يحينوا لخدمتكم .

اني اتذكر كثيراً تلك الروايات التي قصصتموها علي منذ اربع او خمس
سنوات وهي انكم رايتم في نومكم انكم تطيرون في عربية مضيئة فوق الغيوم
بحرها ٣٠ حصاناً مجنحه وقد فسر لها لكم « ابو الهدي افندي » صديق
كلينا فقال - هذه الرواية فآل خير . وهذه العربية هي الممالك الشاهانية واما
الثلاثون حصاناً فهي تدل على انكم تحكمون ٣٠ عاماً أيضاً فسررتم لهذا
التفسير واعطيتم ابي الهدي افندي شكراً بقيمة ٣٠ الف ليرة عثمانية ابتاع
فيها حمام بشكطاش وبعض عقارات

لم يصدق هذا القائل ولم يصدق هذا التعبير إلا بضع سنين . لكن يقول
القائل (لا تكرر هوا شيئاً لعله خيراً) فربما استخاركم الله لتكونوا في هذا
الامر ليعلمكم امثولة مفيدة . ويؤكد في قلبكم حناناً وشفقة . وفي عقلكم
اختباراً وفوائد فتعلمون حالة السجناء والمنفيين وتكونون من رجال الله
من الآن وصاعداً .

وتزوا بان الريح الزعزع . لا يهز ويصدم نبتة الزوفا الصغيرة

والحشاش الحقيرة • بل يلطم المرتفعات والشواهد العظيمة المتشاحنة من
الجال والاشجار • ليختبر قوتها وصبرها •
فاصبروا ياسيدي وكونوا من الرجال العظام في اتضاعكم • كما كنتم في
ارتفاعكم • وعيشوا بقية عمركم باطمئنان • وسكينة • وسلام •

الفصل السابع والثلاثون

(كدر عبد الحميد)

قرأ سلطان الامس تلك الرسائل • وتأوه من كبد حري وشخص
الى العلاء وقال - الله - الله • عدمننا الكل حتى صديقنا • • • • • فهو يقول
انه استهجن اعمالى وتصرفاتى • وتكدر لعباوتيه وضلاله بعبوديته وصدقه
لي اولاً • • • • • وانه يُخلص آلان العبودية لآخى • • • • •

انك لا تلام يا هذا فهي عادة الانسان يقف مع الواقف • ويخلى عن
النائم • اولست من تلك الجبلية البشرية الترابية • تدور مع الدهر كيف ما
دار • بل كان يجب ان تقول لي هذا اولاً • لما كان سيفي يقطر دماً • وذكري
يرعب ملايين الدولة العثمانية • كان يجب ان تقول لي هذا لما كنت عائشاً
بظلي • تستعم بنعمتي • وتقلد نياشينى • وتعلو برتبى •

كان يجب ان تقول لي هذا لما كانت حرمك تاتي قصوري • وتلتمس
كل حاجياتها من حرمي الملوكانى • كان يجب ان تقول لي هذا في وجهي
لا في غيبي • في وقوفي لا في سقوطي • الله • • • الله اكبر على الدهر الخوئن
يعلي من يشاء • ويحط من يشاء • صار حيوان صغير ينبع على الاسد • • • • •
اتأوه من صميم قلبي • واتحسر من اعماق نفسي • على ما فاتني من النعماء

والقوة . والعظمة والبهاء التي اذل بها من هم مثلك . واسحق من هم
على شاكتك .

اني الآن اشبه باسدٍ مقيد يزأر من بعيد معدوم القوة والارادة .
ضيق النفس . ينظر بعينه ويسمع باذنيه ولا يستطيع ان يأتي بحركة ما .
يقدم بها شعرة او يوخر شعرة ويك أياها الاسد ارنب حر خير
منك ثم بهت قليلاً وقد سمع نقرأ لطيفاً على الباب . فقال :
- ادخل يا هذا وكن من تكن . لاسلي نفسي بك برهة . .

فدخلت تلك الهيفا . الجميلة القنانة - سنيه هانم - تحتال لطفاً ودلالاً
والبهجة والنور يطفحان من وجهها الجميل . وكان لها قوة تجذب اقصى
القلوب الصغرية واخشنها .

فظر اليها عبد الحميد باندهال . وتفرس فيها كأنها جديدة لديه لم
يرها من زمان . وقال وقد نسي حالته التي هو فيها لحظة
- اهلاً . اهلاً . بسنيه قد اتيت بوقتك فاني متعب جداً قلق الافكار
مُظلم النفس والقلب . فقد احتاج الى هذا النور . وانتش لهذه التسميات
وتزول خشونتي ويبوسة قلبي لهذا اللطف وهذه النعومة والركة تعالي
الي ياسنيه وازيلي همي وكربي .

~~~~~  
وكانت سنيه هانم تتمشى بخفة ولطف . وقدم غير مسموعة في احدى  
الغرف بقرب غرفة السلطان المخلوع . فسمعه ينادي نفسه تلك المناجاة  
من النوافذ المفتوحة . وقد دار ظهره اليها . وعلمت انه في ضيق وكرب  
شديد بعد اطلاله على تلك الرسائل . فخرنت جداً واسرعت اليه بتلك  
الهيئة اللطيفة والبشاشة . كأنها لم تر ولم تسمع شيئاً . وقالت له .

- سيدي انا بكليتي لك وتراب بين يديك . ثم تبسمت عن ثغرها  
وقبت ذيله باحترام وجلست بقربه . واخذت تحدّثه ببعض الثكات الصغيرة  
والاحاديث المضحكة حتى راقى نفسه قليلاً وقال :

- انظري ياسنيه . الا تسمعين عن الباشا فلان ؟

- بلى يا مولاي اعرف هذا من حرمة اللاتي كنّ صديقات مخلصات  
لنا وكنا نرحب بهن . واظن انهن اللاتي التجأت اليهن مغنياً عزت باشا  
ودخلتا الحرم الملوكاني معهن . ورايتهما بعيني وسررت بهما . وجعلني هذا  
اظن ان الباشا من عزوة احمد عزّت . او من ذوي قرباه .. والتمس ان لا  
يفض مولاي . عما اخبرته به الآن ..

ثم نظرت الى الارض بوجل .. ففرس عبد الحميد فيها برهة بقوة  
وحدة ثم زال ذلك من عينيه بسرعة . وانتشر الحنان على ذلك الوجه الذي  
قلما كان يشعر بذلك وقال :

- لا يمكنني ان اغضب عليك ياسنيه . لان في وجهك وشخصك  
ما يجذبني دائماً للحنان والشفقة عليك . وانت اهل لكل كرامة . لم اكن  
ارغب ان اسمع ان مثل تينك المغنيتين المتهتكين يدخل السراي . لكن  
هو شي جزني بالنسبة الى دخول الجيش اليها . واثرائنا منها . واسقاطنا  
من عظمتنا وعرشنا الملوكاني ..

هو شي جزني بالنسبة الى كل ما نظرناه من الابهة والجاه - ولذلك  
اضرب صفحاً عنه وما هو الا حشرة صغيرة بالنسبة الى جو امكن متلبد  
بالغيوم والرعود والصواعق انهال علينا ونحن في محيطة مقيدون بالقوة الفاعلة

فرفت يده الى فمها وقبلتها . وقالت

- اشكر انعام مولاي دائماً وابدأ والتفاتة الخالص الى جاريته  
والتمس ان لاتضعوا في فكركم دائماً تلك الاوقات المدهمة وتلاشوا عن  
ذهنكم تلك الظلمات وانتم الآن والحمد لله بسلام وراحة وكلنا في خدمة  
سيدي نبذل النفس والنفس لراحتكم وانشر احكم ثم تبسمت بركة ونظرت  
اليه تلمس الجواب فقال -

- انت نعم البركة ياسنيه فليس في طاقتي وامكاني ان انسى ماضي  
زمانى وانظر الى الحال الحاضر فقط . آه . لكن لنعد الى حديثنا الاول  
قلت انك تعرفين شيئاً عن الباشا . . . . . الذي سالتك عنه فاعلمي ان هذا  
الرجل من بعض صنائعي كما كان والده لايي وكنت انعم عليه بالنعيم المتواليه  
والرتب والنياشين والعطايا ولا ارد حرمه عن امر التمسنه من حرمي بل  
كنت انيله مراده ومشتهاه حتى صار مرهوب الجانب في الاستانة مرعي  
الخاطر ذا ثروة كبرى

فترين الآن انه خذلني وانقلب مع اعدائي وتركني وابتدأ في رسالته  
يبكتني ويبكت نفسه لضلالته الاولى باتباعي وقال انه سيخلص العبودية  
- لمحمد الخامس - اسفا نادماً على اخلاصه الاول لي والزمان الذي اضاعه  
وهو مغشوش بخدمتي فانظري مقدار نكران الانسان واعجبي من عقوقه  
ونسيانه المعروف والجميل وهذا ما جعلني استاء هذا الصباح حتى ان نفس الحصىين  
الذين كانا موكلين على بيتي وحرمي " جوهر ونادر " خاناني واظهر اكنوزي  
ومخباتي التي كنزتها ليبي واولادي واني كنت في شك من امرهما منذ  
سنتين ولذلك قدمت عليهما محمود ورأيت من حنانه وصدقه لي ولحرمي ما  
اعجبني واني ما عدت اكتب ذلك الباشا ولا اقبل رسائله . نعمة الله عليه

وعلى والديه • ثم صرَّ على أسنانه بقتة وتقلصت يدها وزأر برعب • •  
فارتعشت سنيه ارتعاشاً عظيماً وجمدت مقلتها لحظة ثم قامت على  
أقدامها وارتقت على يديه وقبلتهما وقالت :

- سيدي جعلت فداك ! لا يهمك هذا فإنه كما سبقت فأمرت بعوضة  
صغيرة بالنسبة الى العالم العثماني الذي انقلب باجماله علينا وادكن وابرق  
وارعد وصب صواعق غضبه علينا فهو من الجملة دعه وشأنه • وجوده معنا  
لا ينصرنا وحياده عنا لا يكسرنا •

- الحق معك ياسنيه ما لنا ولهذه الاوهام • ثم اجتهد ان يعود الى  
سكنته وتأثر لحبها وملاطفتها له وقال : احب ان اختلي قليلاً بنفسي  
لا كتب بضعة اسطر خطرت لي

- فقامت الهانم وقبلت ذيله باحترام وقبلها برقة وحنان وخرجت

## الفصل الثامن والثلاثون

= \* من - الى \* =

اخذ عبد الحميد افندي قلمه وكتب بيده ما يأتي : وقد نشرته جريدة  
الطان وتداولته الصحافة •

من عبد الحميد في مأسره في سلايك الى احمد رضا بك رئيس  
مجلس الامة •

( كتابة اليك بصفتك رئيس مجلس الامة خالياً من القاب التعظيم  
والتفخيم لاني أنفت من اتباع التقاليد القديمة • انت تعلم اني امسيت اسير  
الامة سجين سلايك منزوياً في قصر الاتيني الذي اصبح من القصور التي



يذكرها التاريخ • انا اليوم اطلب من الامة اطلاق سراجي اذ قد كفاني  
باني كنت اسير القصور السلطانية من يوم مولدي وعائش في وسط المكائد  
والدسائس وقد اضطرت ان اقتل اكثر من نفس حفظاً على حياتي  
ليس من السهل الحكم بلا سفك دماء والاحرار انفسهم يضطرون  
غالباً الى قتل خصومهم ومناوئتهم مع انهم تربوا في ظلال الحرية ولم يكونوا  
مثلي محاطين بالجواسيس والمنافقين والحدادين  
يجب ان يكون الانسان ملكاً ليتأكد لديه بالاختبار صعوبة المحافظة  
على شواعر الانسانية والرحمة •

ألم يكرروا على مسامعي مراراً اني اعظم الخلاق وشييه بالالهة •  
فن ذا الذي يلوم الالهة في تصرفاتها الشديدة • لا ينبغي ان تدسوا لي  
السم او تدجوني •

ان برايرة الغرب الذين كانوا يستحلون ذبح الملوك لا يجسرون اليوم  
على ضرب المجرم • فيتحتم عليكم ان تتبعوا نصائحهم في العفو والرفق •  
اريد ان اذهب اليهم اذا فزت باطلاق سراجي لان الشعب الباريزي  
سيحتفي بي ويستقبلني استقبالا لا مثيل له •

هذا الشعب يجب الملوك ولو كانوا مالوا عن كراسيهم • فئة من  
اصحاب الفنادق بعثوا الي تغرافات يقولون فيها انهم يقدمون فادقهم  
العظيمة باسعار متهاودة والبعض مستعدون لقبولي مجاناً جاباً بشهرة محلاتهم  
ومن هنا يظهر لك ان لي شيئاً من النفوذ والسلطة باق يا عزيزي احمد

لماذا تأسروني؟ اخصوا ثروتي فانا لست غنياً ولا انجل على مواطني  
بقسم من ملاييني • منذ عهد طويل وانا افكر باقامة معاهد خيرية في  
تركيا ولكن يا للأسف ان محن الايام لم تسعفني على اخراج هذا الفكر



الى حيز العمل .

اما اليوم فقد تفرغت وحانت الساعة لابداء الشفقة على من كانوا رعية لي . فاريد من صميم قلبي اشادة المستشفيات والملاجئ الخيرية المبرورة واذا كانت التماثيل لا تخالف الشرع فاني استعد لاقامتها حبا باحياء ذكر رجال تركيا العظام . اتريد ان اقيم لك تمثالا يا عزيزي احمد ؟ فايها افضل لديك البرونز ام المرمر اجيني ولكن اسمح لي بامتطاء القطار في فضاء الحرية انني شيخ مريض هرم . اشابه اولئك الملوك التمساء . الذين حكي عنهم شاكسبير الروائي الشهير . وصورهم في رواياته المشهورة .

امس عندما كنت اتقل في حديقة سجنى افكرت بالملك ( لامير ) وفي حال اضطرابي رايت حقائق لم تكن تخطر ببالي . عرفت آلان جمال العدالة . ولكن جمال الرحمة اعظم منه . انني بحاجة مساسة الى رافتكم . وفوقكم . لا يليق بكم ان تقتلوا رجلا قبل التروي كثيرأ . والتدقيق طويلا وهذا الرجل وان لم يكن بريئا . فله الحق بالشفقة .

لقد مضى زمان كانت تطرح فيه جثث الرجال في قاع البوسفور . وتقدم للضيوف القهوة السامة . كل هذه الفظائع الهائلة تقاص ظاهرا بفضل جمعية الاتحاد والترقي . وقام مكانها العدل والرحمة .

اذا سمحت لي ان اخرج من سجنى اذهب الى باريز . واني اؤكد لكم باني لا اقلق البلاد ولا احرك ساكنا بل اني اعيش في احضان المجتمعات المدنية . وسترون في الجرائد اني لا اتردد إلا على اماكن السباق والمراشح العامة . والخلاصة فاني اقضي حياة بسيطة هادئة . وذلك الامر محبوب لدي . وطالما كنت امني نفسي به .

اتظنون اني كنت سفاحا او جزارا لو لم اكن سلطانا الا . بل

كان يشار اليّ بالبنان ( هذا هو المحبوب الكسلان )  
 من النادر ان لا يصادف ذوو السلطة على امة مقاومة لارادتها .  
 ومخالفة لفطرتها . واني لاعجب من نفسي كيف اني لم اكن اقسي قلباً .  
 واعظم بطشاً . واكثر سفكاً للدماء . وكيف كانت ضحاياي تُعدّ بالالوف  
 ولا تُعدّ بالملايين .

يلزم ان تعذرني على هذا ياعزيزي احمد ، والخلاصة لا يوجد في الهيئة  
 الاجتماعية اعظم مسؤولية عن اعماله من الملوك والحكام . ولكن يحق  
 لهؤلاء الدفاع عن انفسهم اكثر من غيرهم  
 عبد الحميد

## الفصل التاسع والثلاثون

\* في سادتك \*

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| ( لقد سمعوا من الوطن الانينا ) | ( فضجوا بالبكاء له خينا )  |
| ( وناداهم لنصرتهم فقاموا )     | ( جميعاً للدفاع مسلحين )   |
| ( وثاروا من مراتبهم اسوداً )   | ( بصوت الاتحاد مزجرينا )   |
| ( شباب كالصوارم في مضاء )      | ( يرون وكالشموس منورينا )  |
| ( سلانيك الفتاة صوت ثراء )     | ( بهم قصص عن الوطن ديونا ) |
| ( لقد جمعوا الجموع فن نصارى )  | ( ومن هودر هناك ومسلمينا ) |
| ( فكانوا الجيش ألف من جنود )   | ( مجندة ومن متطوعينا )     |
| ( هي الاوطان تجمل في بنيتها )  | ( اخاء في محبتها رصينا )   |
| ( وتتركهم اولي أنف كباراً )    | ( يرون حياة ذي ذل جنونا )  |
| ( وان الموت خير من حياة )      | ( يظل المرء فيها مستكينا ) |

( مشوا والوالدات مشيعات  
 ( يقرن وهن من فرح بواك  
 ( على الباغن متصرين سيروا  
 ( ولا تبقوا الذين قد استبدوا  
 ( فان لم تنفذوا الاوطان منهم  
 ( فقد هاجوا على الدستور شرأ  
 ( هم الاشرار باسم الدين قاموا  
 ( فاتركوا من الدستور «شورى»  
 ( خرجن وراءهم والوالدونا  
 ( وهم من حزنهم متبسّمونا  
 ( وعودوا للديار مظفرينا  
 ( وراموا كيدنا وتحنونا  
 ( فلستم يابنين لنا بنينا  
 ( بدار الملك كي يستعدونا  
 ( فعاثوا في المواطن مفسديننا  
 ( ولا ابقوا لنفسته طيننا

( وكم قد قلن من قول شجي  
 ( ومذحان الوداع دنون منهم  
 ( وما انس التي برزت وقالت  
 ( الا ياراحلين لحرب قوم  
 ( خذوني للوغى معكم خذوني  
 ( وان لم تفعلوا فخذوا ردائي  
 ( لهم فتركهم متهيجينا  
 ( فقلن الصوارم والجفونا  
 ( وقد لقتوا لرويتها العيونا  
 ( لثام ضيعوا الوطن الثمينا  
 ( ممرضة لجرحاكم خونا  
 ( به شدوا الجروح اذارميننا

( ولما جد جدّهم استقلوا  
 ( فطاروا في مراكه سراحاً  
 ( وظلّ الجيش صباحاً او مساءً  
 ( فلم يتصرم الاسبوع الا  
 ( هنالك قت مرتحلاً اليهم  
 ( على ظهر القطار مسافرينا  
 ( باجنحة البخار مرفرفينا  
 ( تسير جموعه متابعينا  
 ( وهم برى فروق نعيمونا  
 ( لابصر ما أومل ان يكونا

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| ( وبأخرة علت في البحر حتى )     | ( حكت بعبابه الحصن الحصينا ) |
| ( يوتر جريها في البحر اثراً )   | ( تكاد به تظن الماء طينا )   |
| ( فترك خلفها خطاً مديداً )      | ( بوجه البحر يمكث مستينا )   |
| ( ركبت بها على اسم الله بجراً ) | ( غدا بسكون لجته رهينا )     |
| ( فرحنا منه ننظر في جمال )      | ( يعز على الطبيعة ان يهونا ) |
| ( ومرأى البحر احسن كل شيء )     | ( اذا لبست غواربه السكونا )  |
| ( كانك منه تنظر في سماء )       | ( وقد طلعت كواكبها سفينا )   |

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| ( اتينا دار قسطنطين صباحاً ) | ( وقد فتحت لهم فتحاً مينا )  |
| ( وظل الجيش جيش الله يشفي )  | ( مجد سيوفه الداء الدينا )   |
| ( فارهب انفس الطاعين حتى )   | ( سقاهم من عدالته المنونا )  |
| ( ورد الخائنين الى جزاء )    | ( أحلهم المقابر والسجونا )   |
| ( وحطوا قصر يلدز عن سماء )   | ( له فانخط اسفل سافلين )     |
| ( واصبح خاشع البنيان يفضي )  | ( عيوناً عن تطاوله عمينا )   |
| ( خلا من ساكنيه وحارسيه )    | ( فلم تر فيه من احد قطينا )  |
| ( هوى عبد الحميد به هوى )    | ( الى درك الملوك الظالمينا ) |
| ( فازل عن سرير الملك خلماً ) | ( وأفرد لانديم ولا قرينا )   |
| ( وسبق الى سلانيك احتباساً ) | ( له كي يستريح بها مصونا )   |
| ( ولكن كيف راحة مستبد )      | ( غدا بديار احرار سجيناً )   |
| ( يراهم حون مسكنه سياجاً )   | ( ويعجز ان ينيم لهم عيوناً ) |
| ( وموت المرء خير من مقام )   | ( له بين الذين سقوه هونا )   |

( لقد نقض اليمين وخان فيها      فذاق جزاء من نقض اليمين )  
 ( وقد كانت به البلدان تشقى      شقاء من تجربته مهينا )  
 ( فكم ازكى بها نيران ظلم      وكم من اهلها قتل المينا )  
 ( وكان يدبر من سفه رحاها      بمجعة ولم يرها طحينا )  
 ( وقد كانت به الايام تمضي      شهوراً والشهور مضت سنينا )  
 ( ولما ضاق صدر الملك بأساً      وصار يردد الوطن الانينا )  
 ( اتى الجيش الجليل له مغيثاً      فصدق من بني الوطن الظنونا )  
 ( واضحى سيف قائده المفدى      على الدستور محتفظاً امينا )  
 ( حماه من العداة فكان منه      مكان الليث اذ يحمي العرينا )  
 ( واسقط ذلك الجبار قهراً      وانباه بصارمه اليقينا )  
 ( فقرت عين الدستور امنا      وشاقت اوجه المتمردينا )  
 معروف الرصافي

## الفصل الأربعون

( الدعوي على عبر المجيد : اسرار نادر اغا ورسوم الفرنجة على بلدين )  
 لم يكتف الزمان العادل بتنزيلك ايها السلطان السابق عن عرش  
 مدكك وتذليلك بل فتحت الاعين عليك وتشدقت الالسن فيك وتنفس الصعداء  
 مظلوموك ووثبوا بعد ان كسر نيرك عن عنقهم يطلبون حقوقهم منك  
 ويدعون عليك بما سلبتهم وظلمتهم  
 فهاك الامير صلاح الدين افندي يقيم الدعوى عليك بسجن ابيه  
 المرحوم السلطان مراد وسجنه هو ايضاً ويطلب تضمينه قيمة الاضرار  
 التي اصابتهم وقيمة الاملاك التي اخذتها من تركة والده وقد اخذها الدين



بك الى عهدته الوكالة عن الامير

فاين انت من جلالة سلطاننا الحالي المعظم - محمد الخامس - الذي يبدي كل رقة وكرامة لاقربائه وكل رجاله وقد اهدى امس مزرعة ( زنجيري قوير ) الى حضرة الامير يوسف عز الدين افندي ولي عهد السلطنة العثمانية واهدى عربتين وزوجين من الخيل لكل من انجالك وبناتك فانظر...

ثم انه ستقام عليك دعوى بقيمة اربعين الف ليرة ها تفصيلها : يدعي عليك محل قسطنطارا واخوانه باعة الجواهر في الاستانة لتعطيلك اشغالهم واغلاقك محلاتهم التجارية سبع سنين ويطلبون تضمينك باربعين الف ليرة وقد سافر الى سلانيك مصطفى بها الدين بك احد وكلاء الدعاوي ومعلم القوانين في المكتب السلطاني وكيلا عن المحل المذكور .

وقد اخذا على عهدتهما المدافعة عنك الوكلاء محمد بك وعاصم بك وان نادر آغا احد مصاحبك الذي كان متظلماً منك سرّاً . كشف المخبا عن كثير من اعمالك واسرارك . وساعد الديوان العرفي على حكمه في كثير من الوقائع .

وقد قصده احد محرري جريدة الاتحاد التي صدرت حديثاً في الاستانة ودار بينهما الحديث الآتي .

المحرر - علمنا ماضيك وما اتى عليك من الوقائع في الحادثة الارتجاعية وبعدها . فهل تخبرنا بما تقصد اجراءه بعد ذلك .

نادر آغا - اذا طلبت الحقيقة فليس لي رأي الآن بعمل . ولكنني سمعت بان امانة الشهر ستفتح ابواب يلدز للفرجة العامة . وستستخدمني هناك . وهي ترغب ان تستفيد بما اعلمه عن كل زاوية من زوايا يلدز وفي الحقيقة انني واقف تمام الوقوف على خبايا يلدز . فاذا اتاها زائر من

الاعاظم . يمكنني ان اطلعه على مسائل عظيمة . فانه ليس في يلديز بناءً او بحيرة إلا وله حكمة ومقصد . حتى انك ترى كوخاً حقيراً الا يستلفت نظرك . ولكن له عندي من الاسرار شيئاً عجبياً فاني كنت اعلم ما يقصد به عبد الحميد من انشاء هذا المحل . او من اقامة هذا الجدار . او ضرب هذا المسمار . وجميع هذه الاعمال ذات بال واغراض هائلة . وغرضها الوحيد محافظة عبد الحميد على شخصه . واستبقاء حياته .

المحرّر - هل كُتبت لهذا رسمياً ؟

نادر آغا - لا . ولكن بلغني انهم عازمون على ذلك . وانني اشكرهم على افتكارهم بي بهذه الصورة

المحرّر - هل حقيقي ما يقولون عنك بانك صاحب ثروة . وان قصدك الاشتغال بعمل خصوصي ؟

نادر آغا - ماذا تكون ثروة مثلي . فان عبد الحميد كان يخفق حاشيته بالمال . . . ولكنه لم يقتكر بهذا الفقير . بل كان يعذبني عذاباً شديداً . وكنت اكرهه قلبياً مع انني كنت اتظاهر بفرط العبودية . ومزيد الغيرة والاخلاص واني مرضت مرة وبقيت ٣٠ ليلة اتألم المأماً شديداً ولكنه لم يتركني دقيقة واحدة الا اشغلني بها . حتى حرمني النوم . وافقدني الراحة ولو ثانية من الثواني . والذي زاد الطين بلة انه ضربني ضرباً بهرحاً بعد ان أبلت من مرضي . فعدت الى الفراش وكدت اموت لولا طول الاجل لكنني لا اكذب عليكم فاني جمعت قسماً من المال بواسطة اقتصادي وتبلغ ثروتي الفيليرة وهي تقوم باودي مدة .

انتهت المحاوره . فأتى الى رسوم الفرجة على يلديز . فاناجيك يا صاحب

القصور الفخيمة . ان قد فُتحت ابواب يلدز للمتفرجين ووضعت الرسوم  
الآتية على المحلات الآتية .

يؤخذ من كل متفرج على الجنيينة العمومية ٥ غروش ويؤخذ عن كل  
متفرج على باقي المحلات ٥ غروش والاجرة باقية علاوة

١٠ غروش فرجة حديقة النساء

٥ غروش فرجة دار التحف

٢٠ غرشا فرجة اقامة عبد الحميد

٥ غروش النزهة في الزورق والاتوميل في البحيرات

٥ غروش النزهة في البواخر الكهربائية في البحيرات

١٠ غروش على العربة

٥ غروش لراكب العربة ايضا

وقد اقيم في يلدز مطاعم وغيرها لراحة المتفرجين

## الفصل الحادي والاربعون

\* ← عبد الحميد في نظر الطب \* →

قال الدكتور شبلي شميل :

اذا كان في مستطاع الطب اليوم ان يحكم في اخلاق مشاهير الرجال  
الغابرين وسائر اطوارهم يرى ان عبد الحميد من اشهر مشاهير هذا العصر  
وسيقدم له التاريخ صفحة كبيرة

ان عبد الحميد بين ملوك هذا العصر يكاد يكون نادرة لالانه لم يقم  
له شبيه في التاريخ الحاضر من جهة استبداده وعظم سلطانه وارادته المطلقة

بل لانه كان سلطان مملكة شاغلة اهم بقعة في الارض بمركزها الجغرافي ذات شعوب متباينة من حيث التربية والاستعداد فينما هي في اقصى الهمجية في بعض الجهات فاذا هي تفقه ارقى مزايا المدنية في بعض الجهات الاخرى وبينما هي من اصول نشأت في حضن الحكم المقيّد في بعض الاقوام فاذا هي هي لم تعرف غير الحكم الاستبدادي في بعض الاقوام الاخرين ..

قال بقراط - ان اهل اوربا تحكمهم شرائعهم واما اهل آسيه فتحكمهم ملوكهم والمملكة التي كان يحكمها عبد الحميد تمتد املاكها في هاتين القارتين فلذا لان مركزها هذا المتوسط في قلب الممالك الذي هو الصلة بين الشرق الاقصى والغرب الاقصى هي مرتبطة ارتباطاً شديداً بمصالح الامم الاخرى الامر الذي يجعل تلك الامم تهتم بها اهتماماً تاماً كلياً لحفظ كيانهما سليماً من الطواري

ومع ان الامم المتقدمة هي على قيد شبر منها استطاع عبد الحميد ان يعيش كل مدة حكمه سلطاناً مطلقاً دائماً على كل الشرائع الوضعية حتى الالهية نفسها

وقد يقول جمهور الاخلاقيين ان عبد الحميد تمكن من كل ذلك لانه على جانب عظيم من الزكاء والدهاء حتى اجاز على رعاياه وسائر الامم فوز اغراضه وقد يشهد له المؤرخون ايضاً انه اعظم داهية في هذا العصر وانه ذو مدارك عقلية فائقة وانه يعتبر اليوم في قوة فهمه اعظم ممثل للدكا الشرقي الفطري الذي قضت عليه التربية العلمية الحديثة

وفي سلوكه اعظم ممثل للسياسة القديمة الشرقية المكتسبة من تربية الشرق الاجتماعية والتي كان اخر ممثل لها في الغرب السياسة البسماركية لكن

بتلك كانت نتائجها الحميدة في مصالح الملكة اما سياسة عبد الحميد فقير  
قاصد بها الا مصلحة نفسه

عبد الحميد ورث عن اجداده ومجتمعه طبائع مختلفة وهو نسيج تلك  
الاخلاق التي للشرق الرئاسة فيها لنوع احكامه المطلقة واكتسب من نوع  
التربية البيئية التي شب فيها كالسجين بين جدران قصره قلة ثقته بغير  
نفسه وحذره من كل من سواه واعتقاده الراسخ فيه ان مصلحته لا تتفق  
مع مصلحة غيره فكان يظن ان الملك المنتقل اليه انما هو له وحده لا لله ولا  
للناس فلا مصلحة وراءه الا نفسه ولم يفكر قط ان مصلحة نفسه تكون  
اضمن واجل اذا اتت من وراء مصلحة امته

وكل الملوك الذين تربوا هذه التربية ينشأون على هذه الاثرة وهذا  
الترفع عن الناس وقلة الاعتداد بهم الا لاغراضهم لا ذمام لهم غالباً ينكثون  
عهداً ولا يحفظون وداً

وعدا هذه الامور العامة قد وجدت امور خاصة اتفقت  
بعد الحميد جعلته في منتهى الخوف والحذر وهي تبوءه الملك بعد سلطان  
خلع ثم قتل او انتحر وآخر أنهم بالجنون وحصول ذلك بمساعي طائفة من  
اصحاب النفوذ ما زالت محيطة به في اول الامر ورأى تلك العبر فاشتدت  
به المخاوف من كل من حوله ولم يعد يرى في المقربين منه الا كل يد  
اثيمة .. واشتد حذره من كل شيء حتى من الهواء الذي يستشقه والماء  
الذي يشربه والطعام الذي يأكله ووقع من جراء ذلك في حالة عصية تهيجية  
اشبه شيء بوسواس المضطهدين فلم يكن له سوى هم التفكير في وقاية نفسه  
والتخلص من كل توهم انه سبب في الانقلاب السابق وان وجوده خطر



عليه . ففتك باولئك المقربين متدرجاً من العزل فالابعاد فالتضييق الى القتل  
ثم قلب النظام الجديد الذي كانوا قد وضعوه واعاد النظام القديم ثم زاد  
وسواسه كالمرض السريع في جسم العليل ولم يطمئن له بال حتى جعل كل  
شيء في يده فقلبه شيئاً فشيئاً حتى صارت ادارة الاحكام كلها له وصارت  
موارد الدولة كلها ترد الى خزيرته فاستخدمها لقضاء مآربه صوتاً لحياته  
يفرقها على هذا المقرّب ويقضي بها ذلك المبعد ويتخلص من ذلك الذي اشتد  
قلقه منه ويضرب الواحد بالآخر حتى يكون الواحد رقيقاً له على الآخر  
ولم يقتصر بذلك على رجال الوظائف الادارية بل اشتد به الوسواس  
حتى جعله في حاشيته الخاصة وخدمه ونسائه فكان يستعمل معهم جميعهم  
سياسة التفريق التي كان يستعملها بين رجال دولته ولم يكن يستكف ان  
يقتص منهم بنفسه فلم يكن يفارقه مسدسه يقتل به ايا كان منهم حركة  
تصدر منه توقع عنده الريب فيه وقد قتل ابرياء كثيرين لمجرد الوهم فقط  
حتى انه قتل يوماً ابنته الصغيرة لانها استغفلته ورأت على طاولته مسدساً  
فاخذته لتلعب به شأن كل الاطفال فتوهم انها مغرارة على الفتك به فأودى  
بها وهو مع ذلك كان يحبها شديدة وانما الوسواس الاضطهادي كان  
به اشد من ذلك الحب الابوي فهو مغرور به ومدفوع الى العمل بموجبه  
بقوة تفوق كل عاطفة اخرى

وما زال هذا الداء يتقدم فيه حتى انتقل من قتل الافراد الى تاليف  
المذابح في الجموع واقامة الجواسيس بعضها على بعض فلم يعد الواحد  
يأمن على نفسه من اهل بيته وصار الفتك به طبيعة مالكة وقد  
عاونه على هذا بعض الاعوان الخونة فاخذ يستبطن اساليب الشر الواقية  
والحيل والشباك والاختراعات حتى انه صار يفكر كيف انه يمضي وبعده

في المملكة ديار او نافخ نار وهذا وسواس اصحاب السلطة الخصوصي  
كنيرون رومية لما احرقها ليقوم وحده متفرجاً عليها وهيرودس اورشليم  
وغيرهم ..

ثم ازداد به ايضاً الداء العياء حتى انه صار يميل الى القتل والقتل  
لمجرد القتل فقط أكثر مما هو الى استرجاع نفوذه المطلق الذي فقده  
بالنظام الجديد حتى انه ارتأى ان يشبك المملكة كلها ويقيها عن اخرها  
لو لم تتداركها العناية ويسرع اليها اولئك المنقذون الاصلاحيون العظام  
ولو لم يكن حب سنك الدم هو الذي دفعه الى ذلك متقاداً اليه بتلك  
المواجس وذلك الميل المكتسب الذي تاصل فيه وصار من طبعه لغير  
غاية الا غاية سفك الدم لما اقدم على هذا التدبير وغرر بنفسه الى هذا  
الحد وهو غير آمن العواقب ولا هو مضطر لانه بقي ملكاً معزلاً بما  
الدستور وتوفرت له كل امتيازاته الحسنة حتى كاد الناس ينسون او  
يتناسون مساوئته الماضية وصارت له امنية على حياته اكثر من الاول لضرب  
يد الخائنين واصلاح ذات الامه ...

لكن الطبع غلاب ومنهم من يقول الاذى طبع وغيرهم الطبع غلب  
التطبع وكله عائد الي معنى واحد وهو المملكة المتسلطة على عبد الحميد  
« حب سفك الدماء » فداركه كانت كل ايام حكمه منصبة لخدمة هواجسه  
ولم يسلم له ثلثا ملكه مدة حكمه وخسرانيه الثلث فقط لحسن تدييره  
وحصافة رأيه بل لاختلاف مصالح الدول الطامعة

واذا كانت الامة قد صبرت عليه كل هذا الزمان الطويل وهو يعمى  
ويخرب فليس هذا من حسن تدييره وحكمته بل لان اختلاف اجناسها  
واديانها ولغاتها وجهلها يساعده عليها

حفظ عبد الحميد على هذا الملك المتداعي الذي ارهقه كل هذا الزمان الطويل هو من قبل اسباب سلبية وما عهدنا بان ذلك من صفات العقول الايجابية واما الاسباب الايجابية الفعلية فهي خارجية من تنافس الدول وداخلية من حالة تربية الامة الاجتماعية

هذه حالة عبد الحميد الفيزولوجية مع امته مستتجة من افعاله مدة حكمه الطويل فتا باللك بالامة التي كان هذا سلطانها المطلق مدة ثلاث وثلاثين سنة ولا يزال كثيرون منهم يبكون حسرة عليه .. واما ما يكون من امره بعد اسره فقد تنير اطواره من الضد الى الضد ويزدق راحة من هواجسه لم يعرفها من قبل اذ ليس علاج النجع في مثل هذه المواجس من الانتقال بصاحبها من مركز الى ضده وان لم يكن بالاملاج الشافي دائما

اما من جهة الرزايا المادية التي لحقت منه بالامة تبعثها في مثل هذه الامور تلتصق بالامة فقط لان الرزق السائب يعلم الناس الحرام وقد تحملت الامة عاقبة جهلها واما المسؤولية الحقيقية فلي الدول المراقبة المسؤولية وحدها لدى الانسانية المتضامنة

## الفصل الثاني والربعون

( الموت خاتمة كل انسان )

نرجع في روايتنا الى قوم الكهف فنرى ان الفرج بعد الحزن والجمع بعد الشتات ولقاء الاحباب بعد طول الغياب اعطى اورفيلان قوة بسند هزله وابقساماً بعد حزنه وجدد نشاطه بعد ضعفه الشديد

فكان يتفرس في عائلته وصهره تفرس الجائع ولا يشبع من محادثتهم ولا يرتوي من مواساتهم وقد انعم الله عليهم ببعض الذخيرة والكساء فلم يبقوا في حالة الضيق الاولى بل تحسنت احوالهم وصحتهم نوعاً وتجددت امالهم وتشددت قواهم وظنوا ان الدهر راق لهم وصفا واقتكروا انها اخر النكبات ولم يحسبوا لغيرها حساباً

لكنها للأسف لم تكن الاخيرة بل تلتها أخرى اذ لم تكن الفرحة الفجائية لشخص اورقليان العظيم وقلبه الكبير لتمد في اجله وتريد زيت مشعاله بل كانت كأنها نفخة ريح لذلك المشعال فهب بقوة بعد ان قارب الانطفاء والانتها فظن انه الشفاء ثم اخذ في الاضمحلال والانحطاط السريع ورد الفعل ثانية بسرعة اكثر لان القوة التي كانت لتمد لوقت اطول في حالتها الطبيعية اندفعت باجمالها وكليتها دفعة واحدة في ذلك السرور نتيجة ذلك اللقاء الغير متظر وتركت ذلك الجسم ينحل بسرعة لان مادته نفدت وخزائنه فرغت وقوته انتهت

فقد انهكه الحزن الاول على ابراهيم وهدأ اركان ذلك الجسم المتين ثم زاده فراق عائلته وحزنه وياسه وقطع اماله من لقاءهم في الحياة وهلاك اصدقائه واجابته الكثيرين وذهاب امواله وحريق بيته ثم كانت نهاية اليأس وثالة الكأس في سقوطه برصاص الثائرين كيت بعد جهاده العنيف وكمية القوة الدموية التي اضاعها ولولا عناية الله ووصول الكسندر اليه لكان قضي عليه ففرغ جسمه من الدم كما فرغ قلبه من الصبر واحترق فؤاده من تواتر الاحزان وكبر المحن والمصائب حتى وصل الى حافة الموت واشتد هزاله وضعفه الشديد ولم تكن عناية الكسندر وسهره المتواصل وحشائشه لتحيا فيه امالاً كبيرة ببقاء عمه مدة طويلة .. بل



كان ذلك الجسم ينحل بسرعة ليرجع الى اصله الترابي  
 لكن مراحم الله لم تشأ ان تحرم ذلك الاب الحنون ذلك اللقاء السعيد  
 بعائلته ولا تلك العائلة تلك الاماني البهجة ولا النعمة العظيمة فلم تشأ ان  
 تاخذ اورفيليان قبل ان تقر عينه بقاء احبائه الاعزاء.

فاصبح الصباح بعد الاجتماع البهيج ببضعة ايام وكان نهار الاحد اول  
 الاسبوع واشرقت الشمس بلمعانها الشديد وكان النسيم دليلاً رطيباً  
 فقالت اولغا بتأوه خفي وقد حنت الى الوطن

- منذ مدة لم نسمع قرع الاجراس ولم ندخل الكنيسة وهل ابقى  
 لنا الاعداء كنيسة ياترى؟ هنيئاً لاقوام الحرية آه ما تعس هذا المنفى ثم  
 اردفت بقولها وما احلاه الا ان بقاء الاحباب هنا كنيسة فلنشكر الله دائماً  
 على نعمه ولانه لم يسمح بان يضرب بكل عصاه فنتسحق كما صار لكثيرين  
 من ذوينا بل ابقانا في الحياة وجمعنا بعد الفراق ومسح دموعنا بعد اليأس  
 فتحنح اورفيليان وقد استيقظ بغتة ومد يده لامرأته فاجلسته  
 وفتح عينيه بعد رقاد مريح وقال مشيراً للعليب

اسعد الله صباحكم جميعاً اني شعرت براحة هذه الليلة اكثر من كل  
 يوم وسررت كثيراً ورايت ابراهيم في حلمي فرحاً بتهجأ كعادته واخبرته  
 ببعض ما جرى لي وفرح بي وشكر الله على اللقاء المسر ولما استيقظت الان

حزنت لانها روياً وودت اني اعود فانام لا كرر ذلك المنظر البهيج  
 فانحدرت الدموع من المآقي وشاركته العائله بالتأثرات وقالت  
 امرأته - عزيزي طالما رأيته في احلامي .. ووددت بعد اليقظة ان لا اكون  
 قد استيقظت ولا افارق ذلك الشخص الحبيب

وقال الكسندر - الاحلام المسرة نتيجة الراحة في الجسم والعقل



واني ارى انك في حالة احسن الحمد لله فرجاني انك تتقدم بسرعة للشفاء  
 فلم يحبه اورفليان بل تفرس فيه طويلاً ثم في البقية بنظر غير  
 اعتيادي متقللاً من الواحد الى الآخر كأنه يودع القوم وكان يلوح على  
 وجهه اشراق وهدو وتوسعت حدقاته قليلاً فلحظ الكسندر ذلك التغير  
 واخذ يده وجس نبضه فاعتراه الاصفرار رغماً عن تجلده وبسالته لانه رأى  
 فرقاً شديداً في النبض فعض على شفته السفلى وقد حول وجهه لجهة  
 الظلام من ذلك الكهف لئلا يراه احد ولم ينطق ببنت شفة وساد الصمت  
 بضع ثوان وقد جلس الطيب بجانب عمه واجتهد في اخفاء اضطرابه  
 الذي كان شديداً الى ان قال اورفليان

- لم تبقى حاجة في نفس يعقوب رأيتم احبتي وشاهدتم عوَض  
 الله عليكم اتعابكم وانا لكم امانكم ورد شتاتكم مرّت الاخطار ولم تمس نفوسنا  
 بشيء فكانت اشبه بريح زعزع كنس في طريقه ماديّاتنا وطرحنا ضمن اتون  
 نار الحزن والفراق والخوف واليأس والجوع ليمتجن صبرنا ثم عاد فجتمعنا  
 وردني انا من حافة الموت وشفير الفناء لاعود فاشاهدكم وها انا الحمد لله  
 في سرور كامل لم تعد في نفسي حاجة ولا في قلبي منية وشهوة بل نلت  
 ما كنت اتحسر عليه واتمناه الا واحدة وهي لقاء ابراهيم لاني اشعر  
 بشوق شديد اليه في هذا الصباح وكاني اراه يدعوني وينتظري فساوا فيه  
 واليه وانتم تعودون الى اوطانكم ويدبركم راعي الانام وانا اذهب اليه  
 وحدي بسلام وستأخذون عظامي اذا امكنكم يوماً ما وتضعونها على ابراهيم  
 ليضمنا ايضاً قبر واحد والآن لآلئحزنوا بل افرحوا لي وتعالوا قبلوني

فارتج على المرأتين وشهقتا كأن نفسيهما ترهقان ولم يعرف الكسندر  
كيف يسلك في ذلك الموقف الحرج

فنظر اليهما نظرة قوية تدل على معنى عظيم كأنه يامرهما ويتوسل  
اليهما بالصبر وعدم النطق بما يزعج المحتضر العزيز

ففهمتا اشارته وكاد ينمى عليهما أنسى لكنه أخذ بيدهما وتقدموا الى  
ذلك الرئيس الحبيب وقبلوه بالدور وكانت دموعهم تغسل وجهه الاصفر  
الباهت فاجتهد ان يقلبهم لكن داعي الموت المقبل وقف بينهم حاجزاً  
فتقلصت تلك القوة وضعفت تلك الشفاه عن ان تبدي قبل لوداع  
وسقطت دمعتان من عينيه وهما ترهجان بحدقتين متسعيتين وقد قاربت  
تلك المقل الجمود

واصابته غيبوبة قصيرة ثم استيقظ وقال بصوت ضعيف - ها انا  
أت ايها العزيز ... اني اراك ... هك النور ... الباب مفتوح ... ثم سقط  
على صدر الكسندر الذي احتضنه واخذته حشجة النزع الاخيرة  
وكانت تفيض روعة الباسلة وتخرج انفاسه بهدو بدون ازعاج  
وامراته وابنته سقطتا كالمائتين بقربه وتحت اقدامه لا تتجاسرا ان تعولا  
بصوت مسموع فحنقتهما العبرات - وبكتا بقلب كبير

ولم تعل الشمس الى الظهيرة حتى كان اورفيلان في عالم الابدية وترك  
جثته هامدة لعائلته الصغيرة ليندبوها في ذلك القفر - في ذلك المنفى البعيد  
عن المدنية - في ذلك الكهف المتوحش

فصاحت المرأتان بالويل والنبور وانفجرت ينابيع دموعهما واعولتا وكان  
حزنهما مضاعفا لان فقيدهما مات في ذلك المحل القاصي البعيد عن بيته  
واصحابه وطار من بينهما بعد ان ظنتا انهما وجدتا وتمسكتا به وانهم

سيعودون معاً الى الوطن لكن داعي المنية لم يمهله لينال تلك الاماني  
ويشاهدها بعينه كما انه لم يمهل « موسى » نبي وملك وقائد تلك الجيوش  
العظيمة بل اخذه قبل ان يدخل ارض كنعان ويراها عن قرب

ومما زادها غماً ان لاشي عندهما ولهما ليقوما بواجب مآته ولا حولهما  
من يعزيهما ويواسيهما سوى الكسندر الذي كان شريكاً لهما في احزانها  
وكل عواطفهما وبكى معهما الفريد بدمع مدرار

وتأسفت اولغا كثير الفقد والدها الحبيب وقالت - سيدي وسندي  
لم يكن سرورنا بقلاك ليوازي حزننا الآن لفراقك ايها الوالد الحنون  
امثال الرجولية والشهامة ايها الهام المقدام. ولم نقدر ان نتعزى وهكذا ايها  
اصحابها دوار وضعف وكادت تحتق اسي وغماً

وندبوا ميتهم وعددوا ما آثره الحسنة وكان اهلاً لكل مدح واعتبار  
عظيم قومه باسلاً شهماً عزيزاً كريماً غيوراً مقدماً لكن خاذه الدهر الخوون  
وضربته المحن والمصائب المتتابعة بما لم يقدر ان يقوم بحمله فانخل ذلك  
التركيب البشري وعاد الى مادته الاصلية وهي « خاتمة كل انسان »

وقام الكسندر وحده بمهمة الميت فخفر له قبراً بشق الانفس بيديه  
مستعيناً ببعض العيدان القوية وقطع الاخشاب مريضاً ذلك التراب والتربة  
الجافة بدموعه صابراً على مر العذاب

فحمله وحوله المراتان تندبان وقد كلت منهما الانفس وازمهرت  
الاعين وكسر قلبها كسراً لا يقبل الجبر ودفنوا فقيدهم العزيز وسقوا اثره  
بدموعهم بعد ان اودعوه القبلات الكثيرة وجدوا حزن ابراهيم وكانت  
حالتهم مؤثرة جداً وظروفهم التعميسة التي تفتت الاكباد تريدهم اسي وغماً

وقال الكسندر على ضريح الفقيـد - الا ترون احبتي كيف يزوي  
الله الدنيا عن محب تارة بالفراق واخرى بالشدة والضيق والجوع ومرة  
بالحاجة كما تصنع الام الشفوقة بولدها تطفله بالصبر المر مرة وبالخص  
اخرى وانما تريد اصلاحه

بنى الله للاخيار بيتاً سماؤه \* هموم واحزان وحيطانه الضر  
وادخلهم فيه واغلق بابه \* وقال لهم مفتاح بابكم الصبر  
فعلينا بالصبر على مر الخطوب ولا تنكسرنا القلوب هي الدنيا وهذه  
طريقها وكل الناس عليه واليه ولنسلم الامر لله فهو اشفق وارفق بنا من  
نفوسنا لنفوسنا وله الحكم والنظر والتدبير وسيدل عسرنا بيسر  
اصبر قليلاً فبعد العسر تيسر \* وكل امر له وقت وتدير  
وللميمن في حالاتنا نظر \* وفوق تدبيرنا لله تدبير  
وانت ايها الفقيـد العزيز سقاك الله من شايـب رحمة ورضوانه  
تركت هذه الدنيا الدنية وسبقنا الى الابدية . تركت دار الشقاء وارحت  
من هذا العناء . هنت بما لا قيت سر بامن . اننا لاننساك ولا ننسى صفاتك  
الشاء ولا همتك القساء ولا مكارمك وودادك وصبرك ووفاءك واننا  
نحن الثلاثة نرتبط ببعضنا ارتباطاً متيناً ونمر بدبحور هذه الدنيا بشجاعة  
توازي شجاعتك وقد اخذناها عنك وبسالة ورثناها منك ونغلب الصعوبات  
ونفوز بارتقاء هذه المقبات ونعيش بحب ووفاء نلهج بذكرك ونقدس  
اسمك ونحلم بحبك وانسك ولا ننساك الى ان تجمعنا واياك ربوع الابدية



## الفصل الثالث الأربعون

( ذهب الكسندر الى ابيه وتجهزه الاحوال )

وقضت العائلة اسبوع حزنها الاول في ذلك القفر وكانت تصرف اكثر اوقاتها على ضريح الفقيد تنادي باسمه وتكرر ذكره ولا من يجيب وقد نفذ او كاد ينفد ما عندهم من الثموت والذخيرة فقال لهم الكسندر يوماً ما وقد ضاقت به الامور

اسمحي ياسيدي ان اعود الى المدينة تليلاً لارى الاحوال فاما ان اعود واخذ كما سرياً بعد ان ادبر لكما بيتاً حسناً للسكن او اعود بشي من الذخائر والمؤنة لتأكلها لثلاث غموت جوعاً فتمسكتا به واذرقتا الدمع السخين وقالتا:

كيف تتركنا يا عمدا وتعزيتنا الوحيد؟ وقالت ام اولغا - بل دمننا الذي يسري في جسمنا ومصدر حياتنا لا لا يا الكس لانتر كك تذهب وحدك فاما ان نسير معك واما ان تبقى معنا

فاحتر الطيب في امره ولم يشأ ان يصدهما وكان فراقهما واخصهما اولغا صعباً عليه جداً؟ بل اصعب من مفارقة روحه لجسده وخصوصاً في تلك الظروف وتلك الوحدة والحزن والخوف لكنه رأى وجوب ذلك لينتشلها من تلك الضيقة او يحضر لهما طعاماً واحتياجات كثيرة كانتا في اشد اللزوم لها

فتوسل اليهما برفق واقنعهما برقة ان تسمحا له بفرقة يوم واحد يعود في ثانيه اليهما والحق عليهما بلزوم الصبر والشجاعة والقوة وان لا تخشيا بأساً والعناية التي حفظتها مدة وحدهما تحفظها بيتك اليومين فاقمتا وودعهما



بلطف وحنان ودموع ولم يسمح لهما بلحاقه للتشيع في تلك البرية القفراء  
بل ردهما الى مأواهما

تذكر الكسندر بزي فلاح كهل من الجبال افترسته الهموم واكلته  
الايوساخ ودخل اطنه في مساء ذلك اليوم فلم يعرفه احد وتجسس احوالها  
فرآها هادئة راتقة وقد حلّ الرعب في الالهلين الباقين بعد المذابح والشتات  
لاخبار المشائق وكان سكوت وهمس في المدينة لانه سيشنق في الصباح  
التالي ١٥ شخصاً لا يدرون من هم

وزار حارة الارمن وهي كناية عن مدينة صغيرة ورأى هاتيك  
الاطلال وتلك الرسوم الدارسة فوجدها قاعاً صفصفاً خراباً لا انيس فيها  
ولا جار ولا نافخ نار بل آثار مندرسة وبنائات ورسوم متهدمة ومحنة  
ينمق فوقها البوم والغربان فوقف جامداً حزيناً آسفاً منذهاً ولم يجد بين  
تلك الخرابات سوى بيتاً واحداً قائماً مكتوب عليه كلمة (مسلم) على  
جانبه الايمن بقرب بيت عمه اورفليان المندرثر غرفة صغيرة تنبعث منها  
رائحة نتانة قوية فتقدم الى بابها ودفعه بقوة فانكسر فوج الى اليسار ورأى  
هناك جثة امرأة عجوز تأكلها الديدان وقد دب فيها الفناء وحامت حولها  
الحشرات السامة تنهشها وتنبعث منها رائحة كريهة جداً تفسد الهواء وتفوق  
الاحتمال دفعت الكسندر الى الورا وقد عرفها الا وهي عدوته اللدودة  
صالته المنشودة التي يطلب ويود لقائها ام خديجة

وكانت قد هرعت الى داخل غرفتها عند رؤيتها المذابح الهائلة واوصدت  
بابها خيفة على نفسها من الموت والبلاء ولم تستطع الخروج خوفاً لانها  
كانت تسمع اصوات الهدم والحريق حوالها وتشعر بالدخان المتصاعد

الى السماء وقد صمت اذانها من التهاب البارود ولعلعة الرصاص المتتابع  
واصوات الجيوش والجموع المتقاتلة وصراخ الجرحى والموتى فماتت رعباً  
وجوعاً في سجنها ولم يدر بها احد وصارت حالتها كما ترى فلاقت ماجتة  
بداها الاثيتمان

فخرج سريعاً وهو يقول ( النعمة لي انا اجازي يقول الرب ) بعدل  
جوزيت ايتها المرأة

ولما اصبح الصباح اجتمع الجاهير وبينهم الكسندر ليروا المحكوم  
عليهم فرأوا المشانق وقد اعدم فيها ستة من الارمن وتسعة من الاسلام  
المتهمين باثارة الفتنة وسمع لفظاً من البعض يقولون :

- المشنقة مرجوحة الابطال - لم نر اشجع من زعيم تلك الحامية  
الارمنية واشد بطشاً منه لو كان لا يزال حياً كانت اعدته الهيئة الحاكمة الآن  
قبل كل انسان

فعلم انهم يقصدونه في ذلك الكلام فاجابه واحد - انه يؤسف عليه  
ولا يليق بمثله ان يموت لانه مثال الشجاعة والشهامة وسيد الابطال وحاشا  
للعادل ان يحكم على مثله بالاعدام وانه هو الذي هرب النساء والاطفال  
الى البراري والجبال وحماهم من سيوف الاعداء واحتاط مدرسة الامير كان  
وحماها بسيفه وابطاله فقال له رفة

- لكنّه مات وطوت سلمي مثله الوفا لكن الشكر للعناية  
انه لم يكن ذلك اليوم الذي اشتدت فيه الوطأة وحمي وطيس النار  
وكان ذلك التشيع من شق الحوامل وهتك الاعراض وقتل الاطفال  
وتلك الفواحش واخصها ماجرى لتلك الشابة الجميلة التعيسة التي اقترسها

خسوس شخصا من المهاجرين ثم عروها وقطعوا ائديها وتركوها تموت بدون  
شفقة لكان فعل فعل الاسود واهلك منا مع حاميته المستخبة المئات والالوف  
فلم يتمكن الكسندر من الوقوف بل اعترته رعشة قوية كادت  
تفضح امره وزاد برعب وانحاز الى ناحية اخرى وقد احمرت مقلناه حزنا  
ونظما واصطكت مسامعه لحوول ماسمع ثم ترك ذلك الجمهور لانه لم يستطع  
الوقوف ايضا

فذهب الى السوق واشترى لوازمه واكثرى من يعملها له من  
المكاريين الساكنين من احدى القرى المجاورة ورجع حسب وعدده مسرعا  
الى عائلته الصغيرة وقد علم ان لاقامة له في تلك المدينة ايضا لان امره  
سيعرف يوما ما ويمكن من اكشافه الاعداء الذين لا يزالون يلجئون  
بذكره وقد ظنوه مات فيكون لهم معة حادث ذو شومون

وصل نصف الليل الى كهفه الصغير وانزل احماله وصرف المكاري الذي  
لم يعلم من امره شيئا ودخل وهو يغني اغنية مؤثرة يندب بها الوطن لتسمعه  
صديقه وتعرفاه ولا ترتابا بدخوله

وكانتا قد صرفتا كل ذلك النهار يتحدثان بامرهم وهما في غاية الاضطراب  
والخوف ولما دب الليل وهجم الظلام ولم يات تضاعف خوفهما واعترتها  
المواجس الكثيرة ومضى قسم من الليل وهما تنتظران قدومه الى ان  
غلبهما النعاس وقد انتهكت قواهما لشدة الحزن وطول السهر وكثرة  
البكاء ونامتا نوما مزعجا شأن كل متعب قلبا وقالبا لكن صوت رثائه  
اللطيف وهو في باب الكهف ايقظهما فهبتا من مرقدتهما كأن ملاك الفرج  
والسعادة هبط اليهما وقامتا ودموع الفرج تنهل على وجهيهما وقد صار  
لها البكاء عادة في افراح وفي احزان

فلاقاهما ماداً ذراعيه بابتسام واشتياق وسلموا على بعضهم وسألها عن سلامتهما بالتهاف وادخل هديته من مأكل وملبس وبعض اواني وجوب وخضر وفاكة وتفرس بشوق شديد في اولغا التي حولت عينها المغرورقتين بالدموع الى الارض وفكر بتلك الشابة التعيسة الجميلة التي سمع بها ذلك النهار وبذلك الفواحش المربعة وتاوه من صميم فؤاده وشكر الله على نجاة اولغا من ايدي البناة ورأى انهم في نعمة عظيمة بالنسبة الى غيرهم وما قاسوه من الاهوال

وحدثهم ببعض الحديث فارعبهم ذلك جداً وشكروا العناية على وجودهم في كهفهم الحصين وتغيبهم عن القتلة الطغاة ثم اخبرهم عن حارة الارمن واندثارها وملاشاتها فبكوا تلك الديار وندبوا الاطلال وايام الغز الفانت وتلاه بنجر ام خديجة فادهشتا ولم تنطقا ببنت شفة وبعد صمت قليل قالت ام اولغا :

- هو الله الكبير يده فوق كل يد وتديره وحكمته عجيبتان اما اولغا فاعتراها الجمود والذهول وراجعت افكارها تاريخ الماضي باجماله ولم تنبته الا على صوت الكسندر الذي اخذ يدها وحدثها ببعض امور مسليا وقد مر اكثر الليل فانتبه الطيب الى ذلك ورقدوا بسلام تلك البقية القليلة رقاداً هنيئاً وقد تركوا بقية الحديث الى الغد

## الفصل الرابع والاربعون

( تدبير الكسندر )

وهبوا في الصباح وكانت قد اعتلت الشمس في مسيرها واكلوا



ماطاب لهم وتذكروا الحبيب اورفيليان وبكوا كمادتهم وشاركم الكسندر  
ثم عزاهم فكفوا عن النحيب وسلموا امرهم لله  
وبعد التداول في احاديث سطحية وضعها الكسندر تمهيداً لما اراد ان يبديه  
لها قال :

عزيزتي ليس لي اقامة بعد الآن في هاته الربوع ولا في هذه البلاد  
لان اعدائي لي بالمرصاد والذين يراقبونني لا يفترون عن النظر وانتقش  
علي والتفتيب حوالي ولو لم يظنني الكثيرون مأثماً مع من ماتوا شهداء  
المذابح لكنت الآن في خبر كان لانهم كانوا فثشوا علي الثقوب والكهوف  
والجبال والوديان ثم اخبرهم حرفياً بما رآه وسمعه بالتدقيق وقال - انتما  
تعلمان اني است جيانا ولا اخاف الموت ولا اخشى الظهور امام الاعداء  
بل اطلب الموت قبل ان يطلبني واقش على الاعداء قبل ان يفتشوا علي  
(ثم صر على اسنانه برعب) لو كنت وحدي لنفسي لكن لاني لكما الان  
ومقيد بجيائي ووجودي لذاتكما وخدمتكما وسعادتكما صارت حياتي ثمنية  
عندي وواجباتي المقدسة الاحتراس عليها لاجل احبتي ومنيتي وهما انتما  
فارتما عليه وشكرتاه وقالت ام اولغا

- بما انك الآن ولدي وبمقام فلذة كبدي اقبلك بلهفة وامتنان  
واشكرك من صميم فؤادي فاخذ يدها باحترام ورفعها الى فمه ثم الى رأسه  
وعاد فقال وقد اسندت اولغا رأسها المتعب اليه كانها تريد امساكه لئلا  
تهاجمه الاخطار

- صممت النية على السفر وترك هذه الاقطار فهل تسافرا معي ؟  
هذه النقطة التي ارغب معرفتها الآن لاعرف احوالي وتسهل اموري  
واوجه افكاري الى خطة سفري ومستقبل حياتي والا فالعكس بالعكس



فقطعتا حديثه وصاحتا بضم واحد: معك - معك لا تترك دقيقة واحدة  
 نحن لك يا الكسي كما انت لنا لخدمتك ومسرتك وبهجتك كما ترغب ان  
 تكون لنا نساfer برفقتك ولك حيث تريد ونكون حيث تكون ونرجو  
 ان لانكون ثقلاً عليك بل بهجة وتعزية لك كما هي امانينا وجل مشتهانا  
 فقال بابتسام جميل

- بورك فيكما ياسيدي هذاماعرفته وتاكدته الان واني لكما في غاية  
 الامتنان ثم لئنظر الى وجهة اخرى مهمة ايضاً فاصغتا اليه بانتباه

فقال - نحن الثلاثة نعلم خلوايدينا من الدراهم وذهاب بيوتنا  
 ومحلاتنا وما فيها طعاماً للنار والدمار لكن قد يوجد لي في البانك مقدار ٣٠٠٠  
 ليرة فعليه لم يدروا ان يلاشوا كل ثروتي بل بقي لي بعضها لكن القوم يظنونني  
 مائتاً كما سبقت فاعلمتكم وهذا قد يفيدني في الحال الحاضر لانه يسترني  
 عن نظر الاعداء والمناظرين لكن قد يعطل علي من جهة اموالي فلا يمكنني  
 سحبها من البانك بل تبقى للورثة بعد تأكدهم موتي فصاح الاثنان -  
 لاسمح الله كفاك تذكر هذه الكلمة التي يعز علينا سمعها

فاجاب شاكرآ لهما وقال - دبرت امراً اعرضه لكما اعطي حوالاة  
 بالقيمة كلها - مع وصية لاولنا ممضية بامضائي مؤرخة من شهرين ونيف  
 تاخذها الى البانك واكون برفقتها بهيئة فلاح كما كنت البارحة او مكاري  
 فلا يعرفني احد وتاخذ المال ثم نساfer جميعاً الى الاقطار المصرية حيث نعيش  
 برخاء ونعمومة بال

فقالتم اولنا: وقد يوجد في البانك العثماني لنا ايضاً ثلاث كميات  
 الواحدة واسفي باسم المرحوم ابراهيم والثانية باسم اولنا والثالثة بأسمي  
 بقيمة ١٥٠٠ ليرة عثمانية

فقال الكسندر - وهذا حسن ايضا يمكن ان تسجباها بحق الملكية والوراثة لكن هل توجد الكمبيالات معكم ؟ فقالت والدمع ينهل من عينيها - وجدتها في جيوب المرحوم اورفيليان في احد الدفاتر الصغيرة فاجاب - مليح مليح . الامور موفقة بمعونة الله

ولم يتمكن الكسندر في منفاه من اوائل الكتابة فلا قلم ولا ورق ولا دواة ليكتب التحويل والوصية لاولنا فقال غداً او بعده نرجع الى المدينة ونأخذ لنا منزلاً في احد الخانات الحظيرة الخارجة عن البلد حيث ادبر المسائل حسبما يرام بكل تنكر واحتراز

وقد سمعت ان الحكومة او الهيئة الحاكمة تريد ان تعوض على المنكوبين مقدار خسائرهم فسوف نعلم هذا بوقته من محل سكنتنا ونرسل تقديره لاولياء الامور ونحصل خسائرنا او اكثرها فقد يحصل لكما لا اقل من ثمانية آلاف ليرة خسائر محلكم التجاري وبيتكم واثاثكم وقد يعوض عليّ بثلاثة آلاف ليرة قيمة بيتي ورياشي والاجزائتين خاصتي مع ما فيها لكن لندع هذا لوقته . ليس لنا الآن التكلم به . علينا فقط ان نجتهد ونحصل اموالنا التي في البنوك كي يمكننا السفر . لاننا لا نقدر ان نذهب في حالتنا هذه المنكرة من النقر الشديد . وخلو اليد ..

- نعم . نعم . قالت اولنا - راياك حميد ..

- لا - لا ياسيدي . لا تقولي حميد . قولي رشيد ..

- ها - ها - نعم الراي الرشيد . الله ينصر ( محمد رشاد ) ويؤيده

بالمجد والفخر وطول العمر . ثم تبسمت وكانت كمن استفاقت من تأمل عميق لانها كانت تراجع تلك التقلبات الفجائية المربعة من الحياة الى القتل .

ومن الغنى الى الفقر . ومن الغز الى الذل . من الوطن الى المهاجرة . فكانت  
كانها في بحر تتقاذفها امواجه . وتتلاعب بها تياراته . تكون هنا فتصبح  
هناك . ترتعب للهلاك ثم تبسم للنجاة . الى ان نطقت بالدعاء للسلطان الجديد  
المجيد ابن المجيد . فنشطت من عقالها وانشرح قلبها .

بعد يومين تها القوم للرحيل وذهبوا الى ضريح الفقيد وودعوه  
واودعوه قلوبهم ودموعهم ورثوه . وقال الكسندر -

- لا نتركك هنا ايها العزيز ! الا الى حين . فحين تروق الاحوال  
ونرجع الى الاوطان . ننقل جثمانك الكريم الى جانب الحبيب ابراهيم .  
ونتمم وصيتك المقدسة . وترفرف فوقنا روحك الطاهرة وترانا . والان  
بتزودنا دعائك الصالح ورضائك ننجح ونفلح في اعمالنا . ونعيش بسلام  
وحب وامان . في اي مصر واي قطر كان . كما ترغب ان نكون .  
والان الوداع ! الوداع ايها النائم المبارك . الوداع ايها الجثمان العزيز .  
فبكي الثلاثة وقبلوا تراب الضريح وذهبوا .

وسبقهما الكسندر الى اقرب القرى المجاورة واكثرى لها دوابا  
للكوب . واركبهما وقد وهب كل الذخيرة الباقية مع الاواني والفرش الى  
الفقراء في طريقه من المنكوبين الذين لا يزالون في تيهانهم .

وهكذا ساروا باسم الله مسراهم وهم في ازيا غريبة - الكسندر في  
زي فلاح كهل قدر لم يلامس جسده الماء منذ المعمودية وام اولفا امرأة  
كهلة بزي فلاحات جبال الاناضول

اولفا انتهت على شاكلتها يعسر على اعظم معلمي الفراسة ان يعرف

حقيقتهم

وصلوا بعد مقاساة مشقة الطريق الى مدخل المدينة وانتخبوا لهم  
 خاناً حقيراً لا يدخله الا واسقو الاغلال والمكارون والفلاحون الفقراء.  
 هناك عمل أنكر الوصية والتحويل بأسم وريثته ونسيته اولفا على  
 ورقة عتيقة موسخة مرت عليها الاهوال مؤرخاً لها منذ ثلاثة اشهر وعلمها  
 ماذا تعمل وذهب معها الى البنك بهيئة مكاري رقيق او خادم مستأجر  
 غريب

## الفصل الخامس والاربعون ( المراهبة )

ودخلت اولفا البنك وقد احمر وجهها خجلاً رغمًا عن رزانتها  
 وشجاعتها وكانت وهي تمر في الاسواق ينظر الناس اليها وقد عرفت  
 كثيرين منهم وهم يحملونها ويعجبون بزيبها الغريب وزبي الخادم الذي يرافقتها  
 وقال بعضهم -

- انه ابله - وقال اخرون ماهذه القذارة ويك يا فلاح ألا يوجد  
 ماء على طريقك فتغسل وجهك

فضحك الكسي باطناً لتاكده انه لا يعرف ولا من ابيه لو كان حياً  
 وكان كثيرون ممن كلموه واستهزأوا به من خيرة اصدقائه وبعضهم من  
 زبائنه الذي كان يعالجههم في امراضهم ويرافقهم في المنزهات ومحلات السرور  
 وقدمت اولفا اوراقها لمدير البنك فتفرس فيها ملياً ثم في خادمها  
 الذي كان صديقاً حميماً له وقال -

- مسكين الدكتور الكسندر آواه على شبابه النضير اظنه مات

من جملة شهداء المذابح فلم تجب اولفا بشي' وحولت نظرها الى الارض  
وازدادت عبوقاً

ونظر اليها الكسي ( الخادم ) من محل وقوفه نظر البسه والعجب  
وقال هامساً - لكن بصوت مسموع

- اذا اخذت المال ياستي ترمي لي بخشيش مليح ؟  
فلم يسمعها كتم تبسمها ثم عاودها الوقار والاحمرار الذي ظنّه المدير  
علامة التأثر والحزن وامر الصراف ان يدفع لها القيمة فعدها بتأن وحسبها  
امامها وقال

- ألا تعرفين الحساب ايتها الشابة المليحة

فقلت - قليلاً يامسيدي

فقال لنفسه ياللاسف كيف تكون نسيية الكسندر جاهلة وفي هذه  
الحالة من الهمجية والزي المستغرب « غير عالم ان الامور بمقاصدها »  
ثم قال الكاتب ان خادم الشابة ابله على ما ظن يطلب البخشيش معجلاً  
فنظر اليه المدير نظر المدقق وضحك قليلاً جاهلاً الحقيقة ثم حثه  
اولفا باحتشام وخرجت يصحبها خادمها ( الموهوم ) وقد حمل الدراهم بدون  
ان ينطق بكلمة

وفي اليوم التالي سحبوا ما لهم كله من البنوكة بواسطة الكسي  
وارشاداته وتهاؤوا للسفر وهاجروا من تلك البلاد بعد ان زاروا تلك  
الخرابات والاطلال البالية وبكوها سرّاً بدون ان يعرفهم احد وكان هذا  
بدهاء ومهارة الكسندر الباسل الهمام

ثم ركبا باخرة افرنسية وقد غيروا زيمهم المستعار ورجعوا الى ما كانوا



عليه واحسن وظهروا بجلالهم وابهتهم ولطفهم فكانوا مطمح انظار الركاب  
واعجابهم

وانشرفت اولغا لرأى البحر العظيم وكان هذا اول سفرها فيه  
فتقدمت الى الكسي وقالت

كم كنا في يأس وحزن عظيم لولائك ايها العزيز بل كم كنا في فقر وتيه  
بل موت وعار

فاجابها - وانا بدوري أقول اني مديون لك بجياقي ايتها الحبيبة التي  
لولائك كنت فقدتها في ذلك الكهف فلك عشت وحييت وبك اوجد  
ولك اكون فقري عينا وانشرحي نفسا وسوف ترجع المياه الى مجاريها بل  
واحسن فقد اضمحلت ايام الغيوم والظلمات وانقشعت تلك الغياهب  
المكربة واتى دور الاشراق والابتهاج فلا ليل الا ويعقبه نهار فسوف  
نقضي حياة هيئة واتحادا سعيدا الا تظنين هكذا؟

فاحمر وجهها خجلا ووضعت يدها بيده فشد عليها قليلا ثم قبلها باحترام

دخلوا مصر السعيدة وتعرف الكسندر ببعض اصدقائه الاقدمين  
الذين كانوا يتجرون هناك واخذ لنفسه بيتا جميلا ورياشا فاخرا وخدماء  
واعدا كل وسائل الراحة والرفاه لرفيقيته واحضر لها الملابس الجميلة  
واشهره اصدقائه كطبيب ماهر وتعرف بالاسرات الشريفة ولم يرض ان  
يتقدم الناس اليهم للسلام وهو ساكن مع خطيبته في بيت واحد مراغيا  
العوائد فاخذ خاطر امرأة عمه والتمس منها سرعة القران بخطيبته فاستشارا  
اولغا التي لم تكن ترضى ذلك قبل مرور السنة لوفاة ابيها واخيها لكن  
لحكم الظروف والتماس الكسي صاحب الحب والفضل العميم والحاحه

قلت اخيراً على شرط ان يكون احتفال الزفاف بسيطاً لا يحتوي  
الا على بضعة من اصدقائه الوطنيين المخلصين وروساء الدين



## الفصل السادس والربعون ( الزفاف )

كان ما كان حدث ولا حرج عن زفاف سعيد وحفلة بسيطة لكنها  
فخيمة وقورة وقف فيها البطل المجيد الكسندر الهام بجانب عروسه الجميلة  
اولغا ترفع فوقهما اكاليل الاتحاد الطاهر وتبارك قرانهما السعيد رؤساء  
الدين الكرام وهما يطفحان بشراً وسروراً بين اصدقاء مخلصين بعد مشاق  
واهوال تذكك لهولها الجبال يرتعان في مجبوحة الحب في بلاد الالام يمتعان  
بلذة الفوز والحياة الجديدة بعد ان ذاقا من المرارة اهوالاً والعذابات  
اشكلاً

ولم تكن الام اقل منهما سروراً بهما سوى انها تذكرت ولا شك  
فقيديها الجبيين واذرفت الدمع السخين سرّاً ولكنها تجلّت امامهما  
وشكرت الله على حسن الختام ودعت لهما بدوام السرور والرفاه وقبل  
يديها اجلالاً واكراماً وزاد احترامها وتعزيتها

وكانت اولغا ترفل بجلال البهاء وحلى المجد وتنالق ببهائها كشمس  
منيرة بين اقرانها ولم يشأ الكسندر الذي هيا لها كل ذلك ان يبقيا ذلك  
الشهر في مصر بل احب ان يعوض عليها تيهها المنكر في الشهر الماضي  
بين هاتيك القفار والادغال والرتاء والدمع والمرارة بشهر عسلي مجيد  
فسافر بها قاصداً البلاد الاوربية ولم تشأ امها ان تكون معها في ذلك

السفر بل احبت البقاء في البيت وكانت تعني بزيادة ترتيبه وشأن الخدم  
فركبا البحر وقصدا باريس عروس المدن وصرفا اياما سعيدة بين غرائب  
وعجائب ومناظر تتجلى ببهائها القليسيها الطاخين حبا وسعادة وبشر بابهي حالاتها

## الفصل السابع والاربعون

( مجنون بلبي )

وكانت اولغا تردداد جمالا مع السعادة والاقبال اتقاما للمثل القائل  
( الخير بخير والفقر يحير ) فكانت موضوع نظر الجميع حيثما حلت وادهشتم  
بحاسنها وبديع صفاتها

ولما كملت ايام الشهر العسلي التي مرت بسرعة على ذنيك الجبيين  
» شأن ايام السعادة « قفلا راجعين الى الوطن المصري الجديد محضرين معها  
كثيرا من التحف للبيت الجديد والهدايا للام الحبيبة والاصدقاء الذين  
سبقوهم للمثل هذا

وبينما هما يمشيان احد الامساء على ظهر القابور يتحادثان بعظمة  
اوربا ومدنها وفخامتها سمعا تنهدا عميقا وشهيق بكا يتلوه صوت نشيد  
موثر فالتفتا ذات اليمين والشمال يفتشان على ذلك التعيس وقد طارت  
نفسهما شعاعا ورجعا بتذكارتهما لماضيهما وتلك الضيقات والاهوال التي  
لاقياها وما كانا به من التعاسة والشدة فاحبا ان ينقذا تلك النفس من  
رعبها وهولها ان امكنهما

ولما لم يجدا احدا اتبعا الصوت بخطوات تكاد لا تسمع الى ان وصلا  
الى مقدم السفينة فرأيا شبعا منحنيا وراء احد المقاعد الضخمة ساترا وجهه

بيديه والدمع ينحدر من مقلتيه ينشد الايات الآتية بلهجة حزنة وهو  
يكاد يذوب وجدا ويأسا

« عشت فالعب بشعرها يانسيم واضحي في خدودها يانجوم »  
من ملاك في بردتها مقيم جسد طاهر وروح كريم  
ومحيا فيه ترى الحسن حيا

سكب الله دمة فاذا هي نفس ليلى بلطفها المتاهي  
لايباهي بجسده متباهي ان ليلى - وذاك قول الاله -

صنع عيني والناس صنع يدياً  
شعرها قطعة من الليل والخد قبلته شمس الضحى فتورد  
وعلى صدرها متى تنهد موجة هزت الصغيرين في المهد  
فاشراباً كن تخوف شيا

ان مشت فالقلوب تحت خطاها لاتبالي نعيمها من شقاها  
ان قلباً تدوسه قدماها ودماه تبل ذيل رداها  
ذلك القلب مات موتاً شهياً

ثم تلمل كالسوع وقال : محبوبك ولا شك كثيرون ياليلي وكانوا كلهم  
يقدرتون شهامتك وعفافك وعصمتك ويعلمون ان بينهم وبينك حجاب  
صيانتك ونفسك المترفة الطاهرة

ياقلوباً جنى عليها الشباب بين ليلى وبينكن حجاب  
امل مثلاً يغر السراب ومنى مثلاً يمر السحاب  
تلهي به الشبية غياً

ثم صر على اسنانه صريراً هائلاً ونظر الى السماء جامعا اصابعه متهددا  
كن مسته جنة وقال :

كان عصر وكان عبد الحميد شر ملك والناس شر عبيد  
شبح الرعب ذو يد من حديد وعيون ترمي بذات الوقود  
فتهز القلوب هزا قويا

يستحل الدم الحرام ويرمي كل شهم في لج كل خضم  
مانجا من سهامه قلب ام كل ام تبكي على كل نجم  
كان في قبة الفخار وضيا

طفحت كأسه مع الدمع والدم سبحت نفسه من الاثم في يم  
يفعل السيف مثلاً يفعل السم في يديه فكبر بريء تظلم  
وجريء قضى وكان برياً

عهد عبد الحميد لا كنت عهداً لمن القصر بالسواد تردى  
اي قلب اصاب سهمك عهداً اي نفس اسلمت للموت حقداً  
اي فجر صيرت ليلاً دجياً

ويك عبد الحميد اية ذله اوجبت قتل صادق شر قتله  
كان حراً وتلك اشرف خلّه واما لابنة على المهدي طفله  
تتغذى حنوه الابوياء

هنا صمت المنشد الولهان قليلاً والعروسان وراءه ينظرانه ويدهشهما  
ما به من العظمة والمهابة ويذرفان الدمع حائناً واشفاقاً عليه وهو لا ينظرهما  
ثم تبسم بفتة رافعاً عينيه الى الهلال في الجهة الغربية ..

وقال

مرّ عهدٌ والعامُ يتلوهُ عامٌ فاذا بالهلال وهو تمامٌ  
برز الصدرُ واستقامَ القوامُ فعلى الثغرِ للصباحِ ابنسائمٌ  
وعلى الحدِّ للآزاهرِ رِيّاً



تلمُ الطفلةُ الصغيرةُ سُتبتْ      وعلى اشرفِ المبادي تَرَبَّتْ  
يوم سُتبتْ نيرانُ تموز سُتبتْ      نارُ ذُكرى في قلب ليلى فلبَّتْ

داعي النفسِ قالَ للروضِ هيّا

ومشتْ نحو روضةِ القصرِ ليلا      فوق رطبِ النباتِ تسحبُ ذَيْلا

حجبتْ وجهها عن البدرِ كي لا      يعلمَ البدرُ أنَّ في قلبِ ليلى

كفناً بالدموعِ يبقى طريّا

.....

ثم تنهدْ طويلاً واصفرَّ لونهُ حتى كادَ يغنى عليه • وقال وهو يقاوم  
ضعفهُ جاهداً نفسهُ : « اغرائك المدلسون ياليلي وازوجوك يا ابنة صادق ..

بمصمة باشا الفاجر • • ومهدوا امامك السبيل يا ابنة الامير • وتفاخروا  
بزوجك • وقرظوه لك افخر تقريظ • • وقيدوك بسلاسل الشقاء • ملبسة  
بزخارف الكلام • وقصدوا ان ينسوك ذكر ابيك المقدس وقد اغضبهم

ندبك اياه • • فاسمعي ما يقولون • • •

« يا ابنة الفجر اي خطب عرائك اي دمع تذيبه عيناك

قدك تبكين في الظلام اباك هالك عبد الحميد في الاسرهاك

ذل الله منه رأساً عتياً

يا ابنة الفجر والحسان ظلام وابنة المجد والاماجد دام

لك بعل له الزمان غلام كابيك الشهيد حر هام

نال بين الاحرار شأواً علياً

يا ابنة الفجر ما لبعلك مثل قر في السنا وفي البأس نصل

هو في صدر كل صدر يحل هو رأس الاحرار بعد وقبل

بل لو اء بظله تتفيا

فاحفظي الورد ناضراً في الحدود وتوقي اذى العيون السود  
 ما بمرء من مطمع بالخلود فارحمي - عصمتا - فقير حميد  
 ان يرى بדרه كسيف المحيا

انت شمس في البيت تمحو الظلاما انت روح في الصدر تحيي العظاما  
 ليل - ان جاء عصمت فابتساما عصمت قلبه يذوب غراما  
 عصمت يعبد اليها الملكيا

ثم صاح : الحب الحب آه من لواعج الغرام الحب يسري في الدم  
 والعظم الحب اله الطبيعة مذل الانسان قائد الحيوان مرافق النبات والجماد  
 كل شيء يحب حتى الطيور تستيه ويستبها الغدير  
 فزفير الطيور ذاك الهدير وهدير الغدير ذاك الزفير  
 ما احب الغرام نشرأوطيا

كل شيء حتى الجماد يحب كل شيء له كقلبك قلب  
 ما لداء الغرام ياليل طب غير ان ينظر المحب المحب  
 باسم الثغر بالعمود وفيا

فاسمعي قولهم ولبي ندائهم فما الموت يناديك وخياله تجسم لديك دنت  
 الساعة يا ابنة الامير فما : صادق : لك بالانتظار ليأخذك في الاحضان  
 ألا فاسمعي كلمة قولهم

فاخلي الليل وارتي بالضياء عصمت جاء ..... فاهرعني للخباء  
 هو في المجد ملء عين الرائي هز في الامس مجلس الوزراء  
 وكوى المجلس النيابي كيا

فاترجع نفسك اليك شخصي الدور الاخير قبيل مفارقتك الحياة امام  
 زوجك المهدى جمالك الذي قيدك به الخداع والظلم والجهل والتم الاستبداد..

( عبد الحميد ) الغاشم .....٠

رجعت ثم نفس ليلي اليها فانثنت بعد مسحها مقلتيها  
 ضمها بعلمها وفي وجنتها زرع الورد ثم من شفتيها  
 راح يحنينه عطرًا ونديا

جلسا ليلة بعيد العشاء وهما يقرآن في الانباء  
 ما لليلي تصفر كالخرباء اي سلك اصايبها كهرباني  
 اي داء عراها كان خفيا

هلعت نفس عصمت مذ رآها فاتاها لكي يرى مادهاها  
 ويك لا تقترب جعلت فداها أنت يا عصمت قتلت اباها  
 فاذكر العهد عهد كنت شقيا

عصمت عصمت ابنة صادق عند شر الوري رماها الخالق  
 رد هذا التقرير ان كنت صادق او تكن قاتلاً ابي يامنافق  
 جاء في ثوب غيره يتزيا

الجواسيس يدعون الاباء الجواسيس يدركون العلاء  
 الجواسيس يعرفون الوفاء لارعى الله ساعة سوداء  
 جعلت ذنب يلدز آدميا

ايها القاتل الاثيم فرارا خذ مع الغيم مركباً طيارا  
 شقّ اما شققت هذي البحارا وافر اما فريت هذي القفارا  
 ان تشأمت وان تشأ فابق حيا

ثم مد يديه كمن يمك شيئاً وصاح القاتل = القاتل = امسكوه

ثم قال ...

عصمت لم يفه ولكن خنجر في يديه كانه النجم يقتر

شكه في فوأدها فتفجر دمه فاكست بثوب احمر  
ثم نامت فوق الثرى ابدياً

.....

في ظلال الصفاف قرب الغدير منذ شهر يرون قبر فقير  
نابتات عليه بعض زهور لاجئات اليه بعض طيور  
حيث ظل الصفاف ينشر فينا

قال راعي القطيع ان هناك شبحاً عينه رأت او ملاكا  
واتى آخر وقال سواكا قد رأى في جفونه اسلاكاً  
تتهادى منهن شيئاً فشيئاً

لجأة ذلك الملاك تجلى وعلى مدفن الشهيدة حلا  
قال روح الاله عز وجلأ أمر الناس ان يشيدوا مصلى  
لحظوظ الاحرار في تركيا

ثم صاح بصوت عظيم: «الشهيدة» الحبيبة شقيقة الروح واغمي عليه  
فاندفع اليه الكسندر واخذه الى صدره واجتمع الناس عليه ليروا الخبر  
فاندھشوا لما راوا وحزن الكثيرون عليه وقال البعض باسف - عرفناه -  
هذا مجنون ليلي نراه كل يوم ينشد الاناشيد المحزنة معدداً ليلاه ثم يغنى  
عليه هكذا واخذ بعضهم يقولون عنه الاحاديث المختلفة وهم بين تفرج  
ومتأثر

لكن الكسندر واولغا كانا اكثر القوم حزناً وشهامة مروءة وكرامة  
فاسرعا اليه ونضحا وجهه بالماء ونشقاها بالمنشآت واحتملاه لغرفتهما  
وبذلا العناية التامة له حتى افاق من غيبوبته ونظر حوله نظر التائه الثمل  
وقال اين انا ومن انتم يا قوم؟ اعداء ام اصدقاء؟ اجواسيس قتلة اطلعت

على سري وهتكتم سترى وامري وقصدم قتلي؟ ام اصدقاء اخذتكم الشفقة  
على من يدعوته (مجنون ليلي) فحلمتوني وانعشمتوني ورددتوني الى عالم  
الظلم بعد ان كنت تأتها في عالم الارواح اكاد اصل الى ليلي واقبض عليها  
واضعها الى صدري وابكي عليها

لا - لاتفعلوا هذا يا احبابي ان كنتم من الصادقين بل عجلوا بقتلي وفك  
اسري فاتبع شقيقة روحي واباها الامير صادق عمي ومن كان سيدي وسندي

فاشار عليه الطبيب الكسندر ان يهدأ قليلاً وكان يركب له بعض  
الادوية التي مازجتها دموع اولغا قصد انعاشه وسقاه منها جرعات متوالية  
وجهاز له طعاما موافقاً لانه كان هازلاً شاحب اللون مما دل على انه لم  
يذق شيئاً منذ ايام

وهكذا كانا يملانه عدة ايام وهم يقطعون البحار الى الوطن العزيز  
الى ان كان ذات يوم وقد قاربوا الوصول وظهر على ضيفهم التعيس بعض  
دلائل الصحة فاتاه الكسندر وفحصه فحصاً مدققاً ثم عبس قليلاً و اشار  
الى اولغا اشارة خفية ان تزليها لا مطعم له في الحياة بل قد تمكن منه داء  
صددي وما هي الا آخر نفضة من زيت القنديل « اوفيقه الموت »

وهذه نتيجة تباريح الهوى والحزن الشديد . العشق واليأس اذا اتحدا  
اولهما سقم وآخرهما قتل

فحزن الحيدان على رفيقهما وصديقهما الجديد واجتهدا ان يبذلا له كل  
عناية ولكن ارادة الله فوق كل ارادة وقد تمكن الداء فلا حيلة في وصل  
جل الحياة ورد ما فات

وكان شابا جميلا فتيا لا يبلغ الخامسة والثلاثين من سنه وعليه لوازم



الذكا. وشمال الرقة والعلاء فاجتمعوا به ليودعاه ويستودعها سره وحديثه  
ذا الشجون

## الفصل الثامن والربعون ( فهمي بك )

فقال اني من عائلة شريفة في الالستانة من اكبر الاسر واعرقها  
أدعى فهمي تربيت في احضان ابوين مجيدين كنت وحيدهما  
لم يطل عليهما الدهر بنعمانه فأتا وبقيت وحدي صيلاً صغيراً لا ازيد  
عن العاشرة من سني لعناية عمي صادق باشا

وقد خلفا لي اموالاً طائلة فاخذني عمي ووصي الي بيته واصافني  
الي عائلته واعتنى بتهذيبي وانساني الحب الوالدي بخنانه وانعطافه وكان  
موجها كل حبه الي والي طفلة له في المهد هي الزهرة في جمالها تدعى ليلى  
فقدت امها عند ولادتها

فكان ينظر الي طفلته نظر الوهان ويخاطبها قائلاً - فقدت امك  
ياللي عند انفتاح عينيك للنيا فله تر بهاءك ولم تقبلك قبل الامومة  
الملذة ولم تري جمالها الفتان وكلها ولم تعرفي شيئاً من رقتها وحنانها  
فها انا لك مكانها وها انك تماثلها مصغراً الان لدي فأن شيت تكوني لي  
خير خلف خير سلف وتعزيني لحسارتي التي لانساها الي ان يضمني اللحد  
الذي ضمها فالتقي واياها في دار الخلود حيث لا فراق ولا دموع

فتبسم له الطفلة عن غير ادراك فيقبلها فها ويتنشق رايها ثم يقول  
= تعال يا فهمي وقبل اختك الحبيبة الان ورفيقة حياتك في الآتي القريب

وتشرب حبها من هذه الساعة لتنمو في صدرك هذه العاطفة الشريفة  
فتعيشان عيشاً هنيئاً في المستقبل

فأقبل الطفلة بشوق شديد وكما هي عادة الاطفال انهم يميلون الى  
الاقرب اليهم سناً ٠٠٠ كانت ليلى تنمو يوماً فيوماً على جي قنم الى ذراعيها  
البديعين وتمسك وجهي ورأسي وتلعب بشعري

وهكذا كان الى ان اكملت الرابعة من سننها فوشى احد الجواسيس  
بل كبيرهم الملقب ٠٠٠٠ باشا ٠٠٠ بعني الشهم الحر الصادق الذي  
كان خيرة الامراء والكبراء في الاستانة ونموذج العدالة والفضيلة لمنازعة  
او غيره حدثت بينهما ولدت البغضاء في قلب الجاسوس الشقي لعبي فقدم  
عنه تقريراً اسرياً الى ذلك السلطان الطاغى يتضمن ما نتيجته الاعدام

وهكذا كان فلم ندر الا نفذ الامر في المرحوم المغفور له الصادق  
الشريف واختفى بغتة عنا ولم يكن من يعرف او يتجاسر ان يفتش على  
اسباب الداهية واساسها

اما انا فكنت صغيراً لا ابالغ من السن اكثر من ١٤ سنة وقد وضعني  
عمي قبل الحادثة ببضعة اسابيع في احد المكاتب الداخلية لاتلقى العلوم  
فكنت اسمع همساً بين الطلبة ارفاقى ما يدل على حدوث الفاجعة في بيتنا  
الى ان انجلت لي الحقيقة وعرفت الامر فبكيت بكاء الشكى ونحت  
نوح الحنساء على ملجائي الوحيد ومن كان سندي وابي بكيت حنانه  
وعلاؤه . بكيت نبالته وشهامته فانتهرني الاساتذة بفؤاد يتفجع علي  
وقالوا لي = اصمت يا غلام والا فالعاقبة وخيمة عليك وكانوا يجبوني  
فاجتهدوا التعزيتي وسلواني ولكن دموعي كانت تتفجر بزيادة عند  
افكارى بليلى الطفلة الحبيبة التي تركت لعناية الخدم لاتعرف اباً لها ولا امّاً

وهكذا بعد كمال السنة المدرسية تركت المدرسة وهرعت للبيت  
فرايت ليلى والهبت وجهها بقبلات حارة وتلاقى نظراناً وامتزجت دموعنا  
ولم اشأ ان اترك البيت بعدئذ بل كان همي منصرفاً لحب ليلى الصغيرة  
والاعتناء بها وكان يحضرا كبر الاساتذة في الاستانة لتعليمي في البيت  
العلوم الواجبة واتقنت بعض اللغات الاجنبية وكنت احضر ليلى من يهذبها  
ويدرسها بحسب سننها واقتدارها فتمت آية في الكمال والجمال واثنوا على  
نباهتها وزكائها وهكذا كانوا معجبين بي ايضاً

فصرنا كطيري حمام اليفين ناوي الى بعضنا ولا يفارق احداً الا آخر  
الاوقت النوم وكنا ميالين الى العلوم والمساعي الخيرية فلم نترك جمعية الا  
دخلناها ولا معهداً ولا لجنة الا وبدلنا فيها دراهمنا بسخاء للبوئساء  
والمعوزين الى ان بلغت ليلى ١٣ من سننها وكانت كأنها البدر في تمامه  
وكنت انا في سنتي الثالثة والعشرين فلم ادر الا وصدرت الارادة بنفسي  
الى احدى جزائر بحر سفيد من غير جرم اقترفته

فأخذت تحت الحراسة كاحد المجرمين الى ذلك المنفى البعيد وليس  
لي ذنب الا ملازمة بيتي وحيي لحبيتي ورفيقتي ومن ستكون شريكة  
حياتي ..

حدث ولا حرج عن ساعة وداعنا وذلك الزفير والشهيق من كليتنا  
وعدة من الخدم الامناء حولنا

وهكذا انفصلنا عدة سنوات « بل قل الانفصال الابدي » والوعتي  
وقد فارقت روحي وسعادتي لا اعرف عن ليلى شيئاً ولا تعرف عني الى  
ان اتاني يوماً انباء من احد اصدقائي يخبرني ان ليلى ملازمة الاخزان

تذكر اباه وتندبه كأنه ابن اليوم في حادثه وتبكيني بدمع سجين وقد  
اشتدت لوعتها لانفرادها وبعادي عنها ورويتها والدين واولادهم ورابطة  
الحنان وعاطفة الابوة الرابطة الجامعة بينهم وانها تتصور اني لحقت اباه  
او سألقه بالعاجل القريب وتبي كلينا بدمع مدرار

فدأط الله عليها المحبون بل المدعون الحب وكانوا يلزمونها فمرفوها  
ببعض العظماء وشوقوها الى العالم ومهرجاته وطار لها صيت في ذلك المحيط  
بجمالها وشریف خصالها فتحدثت بها اللسن وطمحت اليها الاعين  
الى ان صار الانقلاب ودكت اركان الاستبداد العظيمة وهجم النور  
بشعاعه فلاشي ديجور الظلام واوهامه

فتزوجت ليلى وآسفي باراء وامر المحيين الكاذبين المتسلطين «عصمت  
باشا» من الاحرار آنذ وكان مغرماً بهواها عابداً جمالها وكمالها ولم تكن  
لتغيره انتباهاً ولا تظهر له ميلاً كافياً كعادة الأزواج المحيين بل كانت دائماً  
كاسفة حزينة الى ان نبهها اصدقاؤها ولاموها بركة كما سببت فالمت  
واصفون لها علو وعظمة ومكانة زوجها وهيجوا احساساتها باساليبهم  
وتقناتهم

فكان ان عصمت باشا دخل عليها يوماً وقد اصلحت شأنها نوعاً فقبلها  
بلهفة الهائم المغمم المشتاق وضمها الى صدره ضمة الوله العابد وكان ما كان  
بعدئذ بما سبق فاشرت اليه في انشادي فقد سمعتموه فكانت تلك الليلة  
السلام والوداع لابنة الفجر

~~~~~

ثم سقط رأسه على صدره لفرط تأثره وابتدأ خفقان صدره وزاد
اصفراره مما دل الراي على ان ساعته دنت

فاسرع اليه الطيب واعطاه بعض المقويات المنعشات وجس نبضة
وطمان اولغا انها نوبة وقتية تروى لشدة انفعاله وضعفه

وبعد برهة وجيزة فتح عينيه ونظر حوله والدموع تترقق فيهما
وقال بصوت منخفض احبتي اسديكم شكري وامتاني - لاتواخذوا
ضعفي واسمحوا عما اسببه لكم من الاتعاب

فضمه الكسندر اليه وتبسمت له اولغا تبسما ساحراً ممزوجاً بالدمع
والحزن العميق ولاطفاه ببارق العبارات وقلبها يتقطع وفؤادها يتفجع
حزناً عليه وكأنه مرآة حالها الماضية وما ألم بهما من ...
جلس قليلاً وقال متماً حديثه =

- وبعد الانقلاب اتى العصور للمتعين الذين من حملتهم انا لكن وآسفي
لم استطع السفر الى وطني وقتئذ لاني كنت مريضاً وقد انهكني السهر
والبكاء ودرس عافيتي الحزن والشوق والحزن لاجبتي فبقيت مدة اعالج
المرض واقاوم الضعف كمن يطارد الموت لبعد حين ليكمل فرضاً مقدساً
عليه وهو لقاء ووداع مالكة قلبي وفؤادي

فسافرت باذن الله الذي ظننت انه شفق على حالتي ورحم ضعفي
واستمع توسلاتي قاصداً الاسنانة ودخلتها يوم مقتل (ليلي) الذي لم ادري
به لليوم الثالث فزرت ذلك الضريح وسقطت عليه مستهلكاً - وسكنت
نفسي - وسقيته دموعي واذبت مهجتي وحشاشتي وضيعت عقلي وبقيت
عليه بضعة ايام اندب وارثي واعدد

ثم ركبت البحار تاركة الوطن وهو عدوي الالذ
فلا مارب لي فيه « لاناقة ولا جمل » كانه يطاردني حتى وصلت
البلاد الاوربية ثم رجعت قاصداً مصر لاقضي بقية ايامي المعدودة

أو ساعاتي المحدودة وأنا كما رايتوني منفرداً عن كل بشر ارثي وانشد
واندب فقيدي - حياتي - سعادتي انا، الليل واطراف النهار فلقبوني
= بمجنون ليلي = ونعم ما قالوا فانهم صدقوا وحبذا الاسم اتروده فاني
لا اترك ذكرك يا ليلي الي ان يضمني الالحد فنكون شهيدي الظلم والتقي
بك في تلك الانوار الابدية تاركين هذا العالم المظلم وتعاسته
ثم اذرف دموعاً حارة ابردها نار الجحيم شاركه فيها العروسان اللذان
ذاقوا تلك المرارة ولا قيا شبه مالاقي وتجددت معها الذكري



الفصل التاسع والربعون

اللقاء = والفراق

حلّ الفابور في مينا الاسكندرية وطلعت الركاب قاصدة اوطانها
منهما عروسانا الحبيبان وضيئهما = فهمي بك المدنف = وكان لهم لقاء
بهيج وتعجب القوم من الصحة والبهجة التي لقوا بها اولغا، والكسندر
والجمال المتدفق من وجهيهما فسرّوا بهما ودخلا بيتيهما بين صفوف الاصدقاء
وعانقا الام العزيزة بشوق وابتهاج

وورد المهثون والمسلمون عليهما زرافات وافرادا وعرفاهم بفهمي
بك النبل فناكرموا وفادته ورثوا حالته وحل عندهم ضيفاً كريماً بل عيلاً
مفارقاً...

لم تمض عليه الايام القلائل حتى ودع الوداع الاخير بعد بذل
الجهود في تمريره والاعتناء به

وفارق الدنيا واضعا يديه بيدي مضيفيه الكريمين داعيا لهما بالرفاء
والعيش السعيد قانلا لالكسندر =

= اتمنى لك ما كنت اتمناه لنفسي من كل ما يرجوه المرء لنفسه من
نعم وسعادة الحياة ثم التفت الى اولغا وقال

وانت يا شبه لى التمس لك كلما كنت ارجوه للى من السعادة والهناء
والحب الوطيد وطول البقاء والعيش الرغيد اذرفا دمعاً على قبري
واذ كراني : انا الفريد الغريب • المضطهد • الشريد التعيس - الوداع
الابدي يا اكرم الناس عندي • واسلم الروح • وانتقل تعيساً ليحيا سعيداً •
طارت الروح الى خالقها - ورجع الجسم الى المادة التي اخذ منها •
طارت الروح من قيد الرق - الظلم - والضيق - الى فضاء الابدية
الواسع الرحب •••

طارت وهي تفرق بلمعانها •• فوق اسوار الآتيني وتعاتبه •• وكأنه
ينزل اسلاك ناره منها لتعذبه وتلاحقه
فليعتبر المعتبرون ••

فحزننا عليه الحزن الشديد وابنه الموثنون • وراثه الشعراء الراثون
ودفن بالجلالة والاكرام محاطاً بالعلماء والاختيار •••
وسقيا ضريحه وراثه بدموع الحب والاحترام •• وكتبنا على قبره :
« شهيد غريب »

وكانا يزوران دائماً ويكلان مدفنه بالازهار •• ووجدنا تحت وسادته
وصية ضمن غلاف باسمها هكذا
« قائدا الشهامة والصدقة : صديقي الحميان : الكسندر واولغا »

فيها اوراق مالية على البنك كذا ٠٠٠ بمبلغ بضعة آلاف من الليرات مع
 كلمات تذوب رقة ووجد آلو وجد لها هيكل ٠٠ كلمات الوداع والشكر
 والذكرى - فاستقبلها بالدموع ٠ وكانت ذكرها المجيدة كأنها احرف
 من نار ونور سطرت على صفحات نفسيهما العالية ٠ رسخت معها الحياة
 لا تفارقهما ٠ سلام على الحب والاخاء اذا استحكمت وتمكن ٠

وكان لالكسندر واولغا رفة ومقام في الهيئة الاجتماعية ٠ قد رت
 ادابها ومعارفها قدرها ٠ وعاشا برغد ونعيم ٠ وقد راق الزمان لهما وصفا
 ومضت ايام بل اشهر ٠٠٠ وراقت الاهوال في اعلمه ٠ وحل السلام
 واخذت ام اولغا تمويضا على ازراقها ومتلوفاتها نصف القيمة ٠ لكن
 الكسندر لم يطلب شيئا بل تركه واسبل ذبلا عليه ٠
 وذهب بعد بضعة اشهر آخذا طريقة الى الاقطار الاناضولية ومنه الى
 الغار والكهف المقدس حيث التقى باحبته ٠
 ونقل عظام اورفيليان الى مدفن ابراهيم وبكى على تلك الرمة البالية
 (آخرة كل انسان)
 وبني لها ضريحاً فخماً واحضاً عليه تاريخ الشهيدين ٠ ورجع الى مصره
 وعائلته الحبيبة حيث عاشا بنعمة وسلام -



الفصل الخمسون

**** الخاتمة ****

يا مليكي المحبوب واقتوم الرقة والخنان المعبود .
لم اعرض هذا اليك لاهيج اشجانك على زمان مضى انت اعلم مني
فيه . ولا على ظلم . وهلاك غير انت ادرى مني به . ولا ان اهيج سخطك
على ملك سجين - درس الامة وكاد يقضي عليها . هو الان « كيت في
صورة حي . او حي في صورة ميت »

﴿ في حيز اللاشي . او العدم ﴾
بل لاعرض لجلالتك المقدسة تاريخاً مضى - ورواية حقيقة
﴿ قصد الذكرى ﴾

لتزداد رغبة في ما انت اليه وهمة في ما انت عليه من غيرتك السماء
وهمتك القعساء . وصفاتك العليا . بتطيب الامة التي هي في عصر
النقاهة الان بوجودك . وتطيب الشعب الذي هو الان في مهد الطفولية
الدستورية بنهوضك وظهورك .

ولأعرض لديك ان اكف الضراعة من عموم شعوبك باختلاف
نحلهم ومذاهبهم رفع لجلالة الله بطول بقائك . بدوام مجده . بتعزيز
ملكك . بتأييد وتأيد عرشك .

واني مع اول من استرحم . فليحيي جلالة المتبوع الاعظم .
والخاقان الافخم - السلطان ابن السلطان السلطان
﴿ محمد خان ﴾ ادام الله ملكه مدى الدوران

